الجغرافيا السياسية والجيوبولوتيكا

في القرن الواحد والعشرين

الدكتـــور

محمد أحمد عقلة المومني

دار الكتاب الثقافي

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع الحقوق محفوظة للناشر

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(١١٠٨/ ٥ / ٢٠٠٤)

٣٠٤،٢
المومني, محمد
الجغرافيا السياسية والجيوبولوتيكيا في القرن الواحد والعشرين/ محمد المومني.ـ اربد: دار الكتاب الثقافي، ٢٠٠٤
(...) ص.
ر.أ (١١٠٨/ ٥ / ٢٠٠٤)
الواصفات: / الجغرافيا السياسية //الجيوبولوتيكا //العصر الحديث/

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من دائرة المكتبة الوطنية

رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر (٨٩٦/ ٨ /٢٠٠٤)



دار الكتاب الثقافي
للطباعة والنشر والتوزيع
الأردن / إربد
شارع إيدون إشارة الإسكان
تلفون
(٧٢٦١٦١٦ - ٢-٠٠٩٦٢)
فاكس
(٠٠٩٦٢-٢-٧٢٥٠٣٤٧)
ص.ب (٦٢٠٣٤٧-٢١١)

Dar Al-Ketab
PUBLISHERS
Irbid - Jordan
Tel:
(٠٠٩٦٢-٢-٧٢٦١٦١٦)
Fax:
(٠٠٩٦٢-٢-٧٢٥٠٣٤٧)
P. O. Box: (٦٢٠٣٤٧-٢١١)
E-mail:
Dar_ Alkitab ١ @hotmail.Com



دار المتنبي للنشر والتوزيع
الأردن – إربد – تلفاكس: (٧٢٦١٦١٦)



وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى(٢٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى

صدق الله العظيم

الإهداء

إلى المـؤمنين ... أن تعمـيم الديموقراطيـة في جميـع أنحـاء العـالم بصـورة عامـة والوطن العربي بصورة خاصة يتسبب بفقدان الولايـات المتحـدة لـدورها كقـوة عسـكرية وسياسية واقتصادية على المستوى العالمي ويفرض عليها القبول بكونها دولة عادية.

فهرس الموضوعات

فهرس الأشكال

فهرس الجداول



المقـدمـــة:

تعد الجغرافيا السياسية الفرع الأحدث من الفروع الجغرافية الأخرى. ويرجع تأخر ظهورها إلى الخلط بينها وبين الجيوبولوتيكا .

تبحث الجغرافيا السياسية في العلاقات بين الدول وظروفها الجغرافية، لذا فالوصف والتحليل أمران ضروريان لفهم الظاهرات الجغرافية التي تحدد قـوة الدولـة، وللوصـول في النهاية إلى تقميمات لهذا الفرع من الجغرافيا.

ولست هنا بصدد مناقشة أهمية الجغرافيا السياسية، إلا أن أحداث ١١ أيلول عـام ٢٠٠١ وتبعاتها السياسية والعسكرية والاقتصادية، والتي بدأت بقوة في أفغانستان تلاهـا العراق، وكلاهما دولتان احتلال مباشرة من قبـل الولايـات المتحـدة محتلتـان الأمريكيـة بصورة أساسية، تساندها قوات عسكرية من عـدة دول بصـورة ثانويـة. هـذه الأحـداث العالمية تستوجب علينا كجغرافيين سياسيين وضـع القـارئ في وطننـا العـربي عـن صـورة وحقيقة الأحداث السياسية الدولية التـي تجـري في وطننـا العـربي بصـورة خاصـة، ومـا يجري من حولنا في آسيا وأفريقيا وأوروبا والأمريكتان واستراليا بصورة عامة.

ويمكن القول بأن الجغرافيا السياسية سـتدخل مرحلـة الإنطـلاق والتحـرر مـن كـل القيود في مجالات دراساتها الدولية بعد أحداث ١١ أيلول عام ٢٠٠١. وأكاد اجزم هنا أن فهم طبيعة الصراعات الدولية في القرن الواحـد والعشرـين ، وأهـدافها ومـدى اتسـاعها تختلف عما كان عليه في الألفية الثانية، لذا أعود لأوأكـد عـلى ضرورة قيـام الجغـرافيين السياسيين في الوطن العربي بزيادة اللحمة بينهم لعلهم يقدرون على إنشاء مراكز بحثية علمية تقف على جميع الدراسات الجغرافية السياسية في دول العـالم ذات القـدرة عـلى الفعل السياسي الدولي، لعل هذه المراكز تعالج التطورات المستجدة على العالم الإسـلامي والوطن العربي لا أقول من قبل الولايات المتحدة الأمريكية فقط، بل ممن هـم يصـبون حقدهم على كلا العالمين واقصد بهم الصهيونية أولاً وما يسـمى بـالأحزاب اليمينيـة في الغرب ثانياً، والسياسة البريطانية ثالثاً.

الجغرافيا السياسية في تغير مستمر، إلا أنها بعد أحداث ١١ أيلول عام ٢٠٠١ ولمائة سنة قادمة، سيشتد البرعم الجغرافي (الجغرافيا السياسية) الذي ما زال غضاً منذ نشأته في منتصف القرن التاسع عشر، لتصبح الجغرافيا السياسية علم الساعة لما يجري من تبدلات ومفاجآت دولية على الأرض والإنسان على حد سواء في المائة سنة القادمة.

ولأن كتابي هذا يأتي في الوقت الذي يجري فيه احتلال العراق والذي يعد برأي كارثة لا تقل بأي حال من الأحوال عن كارثة احتلال فلسطين، والفارق بينهما أن احتلال العراق هو استعمار أمريكي عسكري مؤقت ليحل محله استعمار أمريكي ثقافي اقتصادي وتابع سياسي، إلا أنه في النهاية سيتحرر من القوات الأجنبية، أما احتلال فلسطين فهو احتلال دائم يتطلب مقاتلة اليهود لفترة قد تطول لعشرات أو مئات السنين. هذان الأمران العراق وفلسطين يستوجبان من الجغرافيين السياسيين في وطننا العربي تنوير المواطن بكل تداعيات ومستجدات الساحة الدولية، وفي توضيح الوضع الاستراتيجي في العالم.

إن هجمات ١١ أيلول ٢٠٠١ على برجي التجارة في نيويورك ومبنى البنتاغون في واشنطن وما تبعها من أحداث عسكرية وسياسية واقتصادية وثقافية على الساحة الدولية محددة معالم النظام الدولي الجديد الذي يحمل في طياته مزيداً من الرعب لمعظم سكان الشرق الأوسط خوفاً من الطوفان القادم من الولايات المتحدة الأمريكية الذي يهدد بإغراق كل شيء مجرد الاشتباه أو التكهن بأن أمر ما سيحدث.

وقد يكون اخطر تبعات هجمات ١١ أيلول ٢٠٠١ على البشرية إجبارها على رضع الثقافة الأمريكية، فهي ثقافة الاستهلاك واقتصاديات السوق والشركات عابرة القارات، وإضعاف سلطة الحكومات القومية. وباختصار فان فرض النموذج الأمريكي مثل الذي انتهت إليه الولايات المتحدة البشرية، يهدد بتلاشي الثقافات المتنوعة ومحو هويتها.

وآمل أن يكون كتابي هذا بمثابة لبنة علمية ذات فائدة تضاف إلى لبنات أخرى كان قد سبقني في بنائها الكثير من الجغرافيين السياسيين، ويكون حافزاً للآخرين على متابعة المزيد من الدراسة والتحليل لما ستجد من تطورات وأحداث على الساحة الدولية بعد مضى أكثر من سنتين على أحداث ١١ أيلول عام ٢٠٠١ والتي من المفترض أن تطرح موضوعات جديدة في الجغرافيا السياسية لعلها تصل إلى شكل ومضمون الوحدات السياسية الجديدة في ظل العولمة والتجارة الحرة وفرض إرادة الولايات المتحدة الأمريكية على جميع دول العالم كبيرها قبل صغيرها.

ويتكون هذا الكتاب من ثمانية فصول هي :

الفصل الأول: وخصص لدراسة الجغرافيا السياسية: مفهومها، أهميتها، طرق البحث فيها، علاقتها بالجيوبولوتيكا والسياسة والدولة.

فيما يتناول الفصل الثاني نظريات الاستراتيجية في الجغرافيا السياسية والجيوبولوتيكا. أما الفصل الثالث فقد تناول الجغرافيا السياسية والإمبريالية، والفصل الرابع تناول الدولة في القرن الواحد والعشرين، والفصل الخامس تناول مفهوم الأمة والقومية في الجغرافيا السياسية، والفصل السادس جغرافية الانتخابات والفصل السابع الجغرافيا السياسية للمحليات. والفصل الأخير تناول مشكلات وتحليلات في الجغرافيا السياسية.

الدكتور

محمد أحمد عقله المومني

الأردن ٢٠٠٤

الفصـــل الأول

الجغرافيـة السياسيـة

الجغرافيا السياسية

مفهومها:

تكون الجغرافيا الطبيعية والجغرافيا البشرية علم الجغرافيا، وتندرج الجغرافيا السياسية تحت لواء الجغرافيا البشرية التي تتكون بدورها من أربعة فروع هي: جغرافية السكان وجغرافية السكن والجغرافيا الاقتصادية وأخيراً الجغرافيا السياسية ويتفرع عن الجغرافيا السياسية، الجغرافيا العسكرية وجغرافية الانتخابات.

تتناول الجغرافيا السياسية الظاهرات الطبيعية التي تتفاعل مع الظاهرات البشرية السياسية فينتج عن هذا التفاعل ظاهرات سياسية متباينة [١]. تتناولها الجغرافيا السياسية بالدراسة والتحليل.

وقد كان مفهوم الجغرافيا السياسية قبل عام ١٩٥٠ أنها تزويد لأسماء من الدول وعواصمها ومدنها [٢] أي مفهوم الجغرافيا السياسية أنها العلم الذي يهتم بدراسة الدولة [٣]، لأنها القوة المؤثرة في حياة الإنسان السلوكية والمعاشية ومختلف أنشطته [٤]. لذا فدراسة قوة الدول أصبحت في مقدمة اهتمامات الجغرافيا السياسية[٥].

وقد عرف بعض الجغرافيين الجغرافيا السياسية: هي العلم الذي يبحث في قوة الدولة، وذلك عن طريق التوظيف للظواهر الجغرافية والتقنية، في خدمة مبادئ السياسة التي ترتكز عليها الدولة، بغية إضفاء القدر الأكبر والممكن عليها من القوة لتكون عاملاً مؤثراً في الساحة الدولية [٦].

وعرف الكسندر (Alexander) الجغرافيا السياسية: هي دراسة الأقاليم السياسية التي ينقسم إليها سطح الأرض كظاهرة من ظاهرات سطحها [٧]. وقد عرفها مودي (Moidie) بأنها عبارة عن تحليل العلاقات بين البيئة والمجتمع [٨].

ووصفت بعض تعريفات الجغرافيا السياسية بأنها تعريف للمقومات الجغرافية للدولة [٩]. وينظر البعض إلى الجغرافيا السياسية من منظور اقتصادي وآخر من منظور عسكري استراتيجي، وآخر من منظور مفردات أو معطيات الجغرافيا

الإقليمية أو الاقتصادية [١٠]. وبعضهم تجاوز المفاهيم المتداولة للجغرافيا السياسية مثل تعريف كارل ساور والذي عرف فيها الجغرافيا السياسية بأنها الطفل غير الشرعي لمجموعة العلوم (The Wayward Child Of the Geagtaphical Sciences) ومن خلال الإطلاع على الإرث التاريخي لمفهوم الجغرافيا السياسية وتباينه شبّه الجغرافيا السياسية بالهواء الحار الذي يخف وزنه عند ارتفاع درجة حرارته، فيخف وزنه ويتصاعد إلى أعلى ثم يبرد ليهبط مرة أخرى من أعلى إلى أسفل، وهكذا حركة مفهوم الجغرافيا السياسية، فهي في تبدل وتغير مستمر حسب الأحداث السياسية والصراعات الدولية غير المستقرة.

ومهما كان فالجغرافيا السياسية وفروعها الجغرافيا العسكرية وجغرافية الانتخابات، فقد قدم الجغرافيون السياسيون للجغرافيا دراسات وبحوثاً قيمة ساهمت في تنمية الفكر الجغرافي وفي تقديم أوليات لحل المشكلات السياسية المعاصرة، وأنوه هنا إلى أن العالم بعد أحداث ١١ أيلول من عام ٢٠٠١ سيأخذ بالجغرافيا السياسية ويدفعها إلى الأمام. ومن الطبيعي أن يكون القرن الواحد والعشرين فترة ذهبية للجغرافيا السياسية وبصفة خاصة بعد تبدل مراكز القوى العالمية، وتنوع المشكلات السياسية العالمية، إذ نجد أن فهم الإطار الجغرافي لهذه المشكلات ضروري للتحليلات السياسية للمشكلات القائمة وما للظروف الجغرافية من أثر في توجيه الأحداث السياسية وتشعبها في قارات العالم القديم والجديد.

نخلص إلى القول أن الجغرافيا السياسية (Political Geography) هي العلم الذي يتناول بالدراسة والتحليل التكتلات الكبرى والدول والأقاليم والوحدات السياسية، بإبراز أثر العوامل الجغرافية في قيمة وحدة الدراسة واتجاهاتها السياسية وسلوكها في التعامل السياسي محلياً وإقليمياً وعالمياً بسواء.

وتعد الجغرافيا السياسية من أشيع وأوسع فروع الجغرافيا البشرية (Human Geography) في الوقت الحاضر لما لها من أهمية خاصة في دراسة الوحدات السياسية (Political Units) من حيث منشأتها ومقوماتها الجغرافية ومشكلاتها وعلاقاتها وسلوكها السياسي.

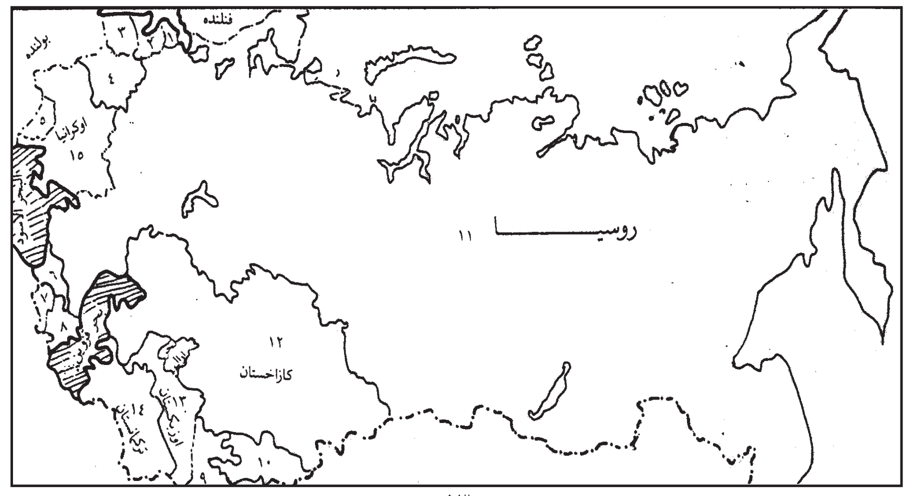
ومن أبرز الوحدات السياسية التي تتناولها الجغرافيا السياسية بالدراسة والتحليل، وإبرازها أثر العوامل الجغرافية في السلوك السياسي للدولة بمفهومها السياسي الحالي.

ونعني بالدولة هنا : الكيان المنظم تنظيماً سياسياً مستقراً "دولة القانون والمؤسسات " يعيش على أرضها – المحدودة المعالم والمعترف بها سياسياً من دول الجوار الجغرافي- سكاناً، قادرة على توفير الأمن والحماية لهم. وهناك شروط يجب توفرها في الكيان السياسي حتى نطلق عليها اسم دوله هي [11] :

١. رقعة من الأرض معروفة المساحة والحدود السياسية، ومعترف بها، وتمارس عليها سلطة سياسية منظمة قادرة على حمايتها من التعدي الخارجي.
٢. وجود سكان متماسكين، لهم روابط تاريخية أو أهدافه أو مصالح تدفعهم جميعاً للعيش معاً.
٣. تنظيم سياسي قادر على تنفيذ مخططات وأهداف الدولة الداخلية والخارجية، وقادرة على استغلال موارد الدولة.
٤. استقلال الدولة في قراراتها السياسية بعيداً عن أي تأثير خارجي.
٥. جيش قوي قادر على حماية الدولة من الأطماع الأجنبية.

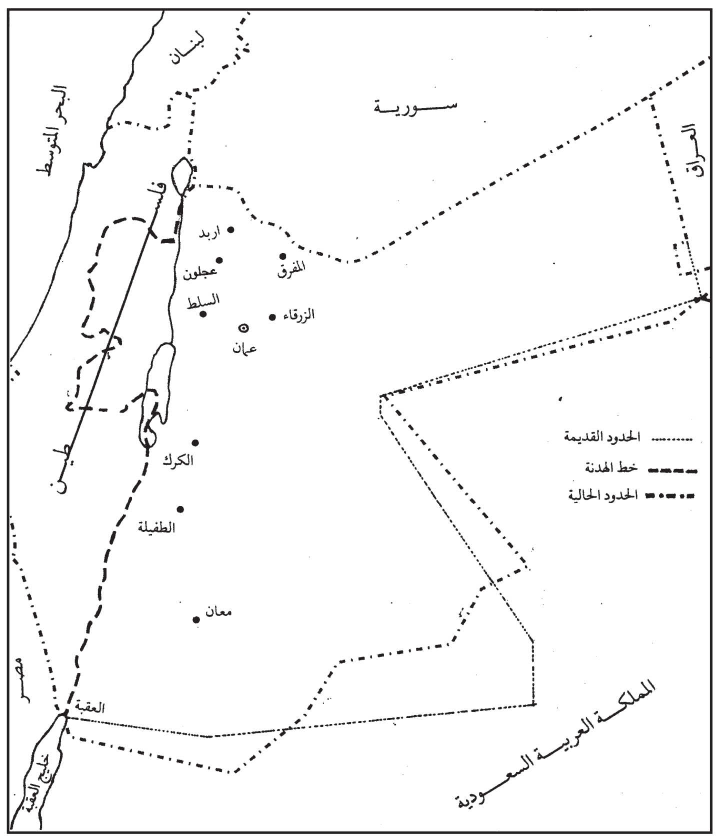
الشكل (١)

تغير مساحة وشكل الاتحاد السوفيتي (سابقاً)



الشكل (٢)

تغير الحدود السياسية للأردن



ويختلف الإقليم السياسي (الدولة) عن الإقليم الجغرافي بخمسة فوارق هي[١٢]:

- الإقليم الجغرافي رقعة من الأرض تتشابه به الظروف الطبيعية والمناخ والنبات والحيوان، فهو إقليم طبيعي مثل الإقليم المداري أو القطبي أو إقليم البحر المتوسط. أما الإقليم السياسي فهو من صنع الإنسان يتمثل برقعة من الأرض محددة بحدود سياسية.

- يحف الإقليم الجغرافي مناطق انتقال بمعنى أنه ليس بالإمكان تحديد حدوده بصورة قاطعة، أما الإقليم السياسي فله حدود سياسية قاطعة.
- الإقليم الجغرافي ثابت من حيث المساحة والمناخ والعوامل الجغرافية الأخرى – في ظل الظروف الطبيعية –، أما الإقليم السياسي فعرضة للتغير من حيث المساحة الحدود. فعلى سبيل المثال تبدلت مساحة الاتحاد السوفيتي بعد تفككه إلى عدة دول شكل (١) كما تبدلت الحدود السياسية للأردن بعد تعديل حدودها مع السعودية والعراق. شكل (٢).
- سهولة الحصول على المعلومات الإحصائية في حالة الإقليم السياسي لتوفرها في أكثر الأحيان، وصعوبة الحصول عليها في حالة الإقليم الجغرافي لسعته وامتداده في أكثر من دولة.
- الإقليم السياسي ظاهرة بشرية حديثة نسبياً، بينما الإقليم الجغرافي طبيعي قديم قدم الأرض.

ليس من الإنصاف أن نقول أن جمع دول العالم متساوية أو متقاربة من حيث القوة، لذا فلكل دولة سلوكها الذي قد يعكس قوتها السياسية والاقتصادية، ويمكن أن نجمل دول العالم في فئات من حيث قوتها، وهي كما يأتي [١٣]:-

فئة الدولة القوية والقانعة (Powerful and Satisfied) وهي الدول التي ترى أنها قد وصلت إلى درجة من القوة تناسب حجمها ومكانتها الطبيعية، وهي راضية عن مدى نفوذها العالمي[١٤]. ومن أمثلتها اليابان وفرنسا وأسبانيا وإيطاليا واستراليا. إلا أن مشاركة إيطاليا وأسبانيا الولايات المتحدة بقوات عسكرية لاحتلال العراق عام ٢٠٠٣ مؤشر على أنهما من الفئة الثانية وعندهما حنين لإحياء الاستعمار في القرن الواحد والعشرين.

فئة الدول القوية وغير القانعة (Powerful and Dissatisfied) وهي الدول التي ترى أن تأثيرها السياسي الدولي أقل من قوتها الفعلية، لذا تسعى إلى مزيد من تواجدها الدولي في معظم مناطق العالم بالقوة العسكرية أو بالقوة الاقتصادية ومن أمثلتها الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا وألمانيا وبريطانيا. وتشير الأحداث الدولية في عام ٢٠٠٤ إلى عدم مقدرة روسيا ممارسة دورها العالمي التي ترغب فيه.

فئة الدول الضعيفة القانعة، وهذا ينطبق على دول العالم النامي، يستثنى منه دول مثل الهند وباكستان ودول أوروبا الشرقية-سابقاً – التي شاركت الولايات المتحدة بغزو العراق عام ٢٠٠٣.

إن التفاوت في وجهات النظر بين الفئة الأولى والفئة الثانية يعود لطبيعة المعايير المستخدمة في عمليات القياس والمقارنة، وهذا يتعلق أيضاً بعدة أمور هي:-

١. تعتقد بعض الدول أن تأثيرها مساوٍ أو أقل من دول أخرى في الساحة الدولية رغم اختلاف الإمكانات الطبيعية والبشرية [١٥] . مثل بريطانيا التي تنافس فرنسا في معظم الشؤون الدولية.

٢. اعتقاد بعض الدول أنها انتقلت في قوتها من مستوى أقل إلى مستوى أكبر، ولم يصاحب ذلك علو في شأنها الدولي. مثل ألمانيا بعد توحيدها والتي تطالب في دخولها كعضو دائم في مجلس الأمن الدولي. وهذا ينسحب أيضاً على اليابان التي هزمت في الحرب العالمية الثانية وحجمت من حيث القوة العسكرية، إلا أنها في عام ١٩٩٩ نافست الولايات المتحدة الأمريكية في قوتها الاقتصادية.

أهميـة الجغرافيـا السياسيـة:

تساعد الجغرافيا السياسية صانعي القرارات وأصحاب القرار السياسي والعسكري على وضع سياسات اقتصادية واجتماعية وسياسية وعسكرية لدولهم، لتحقيق الأهداف والأماني والتطلعات الشعبية. بالإضافة إلى تناول الجغرافيا السياسية قضايا حيوية واستراتيجية تهم الدول مثل نزاعات الحدود السياسية ورسم الحدود السياسية بين الدول كما هو في مشكلة كشمير بين الهند وباكستان، ومشكلة تقسيم جزيرة قبرص في البحر المتوسط بين دولتين، الأولى موالية لليونان والثانية موالية لتركيا. كما تتناول الجغرافيا السياسية مشكلات استراتيجية مثل دراسة مشكلات الدول الحبيسة مثل أفغانستان والجيك وسلوفاكيا وتشاد وسويسرا ودراسة مشكلات الدول الحاجزة مثل : دول : نيبال وبوتان وسكيم بين الصين والهند كما ترجع أهمية الجغرافيا السياسية لدراسة المشكلات السياسية والاقتصادية العالمية، وتقدم المعلومات والإحصاءات الدقيقة للموارد التي تمتلكها الدول، بالإضافة إلى كل

ما يتعلق بالموقع الجغرافي والمساحة وشكل الدولة والمناخ والأنشطة الاقتصادية، والتي جميعها عناصر تحدد أنشطة الدولة السياسية وعلاقاتها مع دول الجوار الجغرافي ومع مراكز القوى العالمية.

مناهج البحث في الجغرافيا السياسية:

لا يوجد منهج واحد لدراسة الجغرافيا السياسية ، بل عدة مناهج يتبعها الجغرافيون في معالجة ما تتناوله الجغرافية السياسية من مواضيع. والمنهج هو الطريق الذي يرسمه الباحث لنفسه للوصول إلى الهدف أو إلى الحقائق العلمية ويتم اختيار المنهج المناسب حسب موضوع الدراسة. وعند تناول مشكلة ما في الجغرافيا السياسية يسير الباحث في خطوات علمية تتلخص بـ: الشعور بالمشكلة وأهميتها وتحديد المشكلة ووضع فرضيات لها (والفرض حل ذكي محتمل) ثم جمع البيانات والمعلومات والأرقام عن المشكلة موضوع الدراسة وتحليلها والتأكد من صحة الفرضيات في محاولة للتوصل إلى تعميمات أو حقائق علمية تساعد في حل المشكلة.

لذا تتبع الجغرافيا السياسية في دراساتها خطوات البحث العلمي (هو دراسة متعمقة، للوصول إلى حقائق علمية جديدة أو التأكد من صحة حقيقة علمية قديمة ومعروفة وإضافة شيء جديد لها).

ولحداثة الجغرافيا السياسية كعلم بالنسبة لفروع الجغرافيا الأخرى، ما تزال تتجاذبها المناهج وطرائق البحث ومن هذه المناهج [١٦] :-

أ. المناهج القديمة:

١. المنهج الإقليمي (The Regional Approach):

هو المنهج الذي يتناول بالدراسة والتحليل الدولة أو مجموعة دول كوحدة واحدة. ويهتم بدراسة العلاقات المتبادلة بين العوامل الجغرافية وسياسة الدولة.

ويقصد بالعوامل الجغرافية – العوامل الطبيعية والاقتصادية والبشرية- فالعوامل الطبيعية مثل حجم الدولة وشكلها والمناخ والموارد الطبيعية، أما العوامل الاقتصادية فيقصد بها الأنشطة الاقتصادية الزراعية والصناعية والتجارية ، أما العوامل

البشرية فيقصد بها السكان ونموهم وتوزيعهم الجغرافي.

ونشير هنا إلى أنه من الضروري أن يتذكر الجغرافي السياسي أن دراسته للدولة ليست دراسة إقليمية بل عليه أن ينتقي ويسيس العامل الجغرافي لفهم علاقات الدولة السياسية محلياً وإقليماً وعالمياً.

فالجغرافيا السياسية تبعاً لهذا المنهج تدرس الدول مباشرة من وجهة نظرها، ويمكن لهذا المنهج أن يتناول بالدراسة والتحليل علاقة الدولة بالدول الأخرى والمشكلات السياسية الاقتصادية مثل الحوار بين الشمال والجنوب والتعاون بين الدول الغنية والفقيرة، كما يدرس التكتلات السياسية مثل السوق العربية المشتركة، والسوق الأوروبية، ومنظمة الجات العالمية.

٢. المنهج المورفولوجي (Morphological Approach):

هو المنهج الذي يقوم بتفسير الظاهرات السياسية للدولة في محاولة للوصول إلى تحليل علاقات الدولة الداخلية والخارجية للدولة. ويتركز هذا المنهج على دراسة الخصائص المورفولوجية للدولة مثل الشكل والمساحة والموقع وموقع العاصمة والأقاليم الحضارية والسكان ومراكز الثقل الاقتصادي والسياسي في الدولة. والأقاليم المتطورة والأقاليم الأقل نمواً(١٧). ويمكن لهذا المنهج دراسة مشكلات الدولة السياسية، بحيث تتناول الدراسة مجموعة من العناصر الجغرافية من حيث النمط والتركيب، ويقصد بالنمط الموقع والشكل، وبالتركيب السكان والعاصمة والحدود السياسية (١٨) والمناطق الفقيرة في الدولة الطاردة للسكان والمناطق الغنية الجاذبة للسكان.

٣. المنهج التحليلي (منهج تحليل القوة The Analysis Approach):

هو المنهج الذي يقوم بتحليل علاقة الموقع الجغرافي والعناصر الجغرافية بقوة الدولة. وعند اتباع الجغرافي السياسي لهذا المنهج في دراسته فينبغي أن يُقيّم العناصر الجغرافية شدة أو ضعف ارتباطها بالظاهرات السياسية، وهي تتلخص في ست موضوعات هي(١٩):-

١. البيئة الطبيعية – كأشكال سطح الأرض، والمناخ والمجاري المائية والبحيرات والمناخ والتربة والنبات الطبيعي .

٢. الحركة والإنتقال أي وسائل طرق النقل البرية والبحرية والجوية والتي بدورها تنقل البضائع والركاب والتيارات الفكرية والآراء ووجهات النظر.

٣. الموارد الاقتصادية ، وتشمل المواد المصنعة ونصف المصنعة، إضافة إلى دراسة الموارد الاحتياطية والمتوقع الكشف عنها واستغلالها مستقبلاً مثل المعادن وزيادة الإنتاجية الزراعية وخطط التنمية.

٤. السكان من حيث عددهم ومعدلات نموهم وتركيبهم العمري وتوزيعهم الجغرافي وصفاتهم.

٥. الأوضاع السياسية والإدارية ، ويشمل دراسة نظام الحكم وأهدافه الواقعية وليس النظرية.

٦. المكان، يدرس تأثير وأهمية المكان ، في العلاقات الداخلية والخارجية للدولة.

تأسيساً على ما سبق، فهناك تقارب بين الجغرافيا السياسية والإقليمية، فلم يعد هناك صراع بينهما فكلاهما أصبح مساعداً للآخر[٢٠].

وهذه الأسئلة أمثلة يمكن تطبيقها عند تناول مشكلات سياسية دولية في العالم مثل مشكلة كشمير بين الهند وباكستان ومشكلة الفوكلند بين الأرجنتين وبريطانيا. ويمكن تناول الموقع الجغرافي حسب هذا المنهج للدولة، فمثلاً عند دراسة الموقع الجغرافي للأردن، نجيب عن الأسئلة الآتية :-

١- هل أهمية الموقع الجغرافي للأردن واحدة عبر العصور؟ ولماذا ؟

٢- هل مازال الموقع الجغرافي للأردن يحمل نفس الأهمية لفلسطين؟

٣- ما الأهمية العسكرية والسياسية والاقتصادية للموقع الجغرافي للأردن بالنسبة للعراق وشبه الجزيرة العربية والولايات المتحدة ولفلسطين؟ .

٤. المنهج التاريخي (The Historical Approach):

هو المنهج الذي يتتبع التطور التاريخي للمشكلات السياسية الدولية، بهدف فهم تلك المشكلات وأسبابها التاريخية وأسباب استمرارها واقتراح الحلول المناسبة لها.

إن للمشكلات السياسية الدولية جذوراً تاريخية تعود لأعماق التاريخ، وعند تناول هذه المشكلات من قبل الجغرافي السياسي لا بد له من أن يدرس التطور التاريخي لهذه المشكلات فعند دراسة مشكلة إقليم كوسوفو باستخدام هذا المنهج نجيب عن الأسئلة الآتية:-

١. ما هي القيمة السياسية لموقع كوسوفو الجغرافي بالنسبة لكل من ألبانيا والصرب؟

٢. ما القيمة الاقتصادية والسياسية والعسكرية لإقليم كوسوفو بالنسبة للصرب وألبانيا؟

٣. ما الجذور التاريخية لسكان إقليم كوسوفو؟ وما مدى علاقتهم بكل من الصرب وألبانيا؟

ب. المناهج الحديثة:

١. المنهج الوظيفي:

يدرس هذا المنهج الدولة (الإقليم السياسي)، والأسباب المؤدية لاستمرار الدولة محلياً وإقليماً ودولياً، وما أثر العوامل الجغرافية الطبيعية كالتضاريس والمناخ وأيضاً أثر تعدد القوميات داخل حدودها السياسية على توجهات الدولة السياسية وعلى أنماط العمران واستغلال موارد الدولة وعلى تطورها ونموها في المجالات الاقتصادية. كما يتم دراسة أثر العوامل الجغرافية على المشكلات التي تعاني فيها الدولة مع دول الجوار الجغرافي لها . بمعنى أن المنهج الوظيفي يدرس الوظيفة أكثر من دراسة تطورها وتركيبها [٢١].

وتجدر الإشارة إلى تداخل المنهج الوظيفي مع المنهج التاريخي، فالتاريخ بأبعاده عامل أساسي في تفسير الاختلافات الأقلمة داخل الحدود السياسية للدولة مثل دراسة حالة إقليم كويبك في كندا ودراسة جنوب الولايات المتحدة ودراسة حالة

يوغسلافيا سابقاً. كما تفيد العوامل التاريخية في تتبع تطور الدولة وتشكلها، مثل دراسة كيفية قيام إسرائيل في فلسطين ودراسة ادعاءات اليهود تاريخياً في فلسطين[٢٢].

وهناك ملاحظتين عن العلاقة بين المنهج الوظيفي والمنهج الإقليمي يجدر الإنتباه إليهما هما [٢٣]:-

١. أثر العناصر غير السياسية على وظيفة الإقليم.

٢. أثر الإقليم السياسي على المظاهر غير السياسية.

فالملاحظة الأولى تؤكد على أنه بالرغم من أهمية العناصر الجغرافية غير السياسية كالتضاريس والمناخ والموقع الجغرافي والموقع البحري والمعادن في سياسة الدولة، إلا أن تقييم أثر هذه العناصر لا يمكن تعميمها على جميع الدول، لأن استجابة الإنسان لها تختلف من دولة لأخرى [٢٤] . فاستجابة الإنسان في اليابان تختلف عنه في أفغانستان. ففي الأولى تغلب عليها الإنسان بالتكنولوجيا بينما الثاني لم يبدأ بعد في تطويعها.

إن التقدم العلمي والتكنولوجي قد مهد للإنسان في نهاية القرن العشرين إلى تخطى الصعاب التي تفرضها الطبيعة الجغرافية للمستنقعات (كما هو في جنوب العراق) والصحارى (مثل صحراء تكساس في الولايات المتحدة) والمرتفعات الجبلية (مثل مرتفعات الألب في أوروبا).

كما تجدر الإشارة إلى أن دراسة المنظمات الاقتصادية مثل السوق العربية المشتركة يؤدي إلى دراسة آثارها السياسية: كالتقارب السياسي وتخفيف أثر الحدود السياسية وقوانين الجمارك والعبور على التقليل من أهميتها كموانع وعوائق اقتصادية بين الدول العربية.

أما الملاحظة الثانية فيقصد بها مثلاً دراسة أثر تقيم الحرب العالمية الأولى على سيليزيا كاقليم صناعي[٢٥].

٢. نظرية المجال الموحد:

يقوم هذا المنهج على تحليل الدولة من وجهة نظر الجغرافيا السياسية عن طريق الوصف والتفسير والتعليل . وتتكون عناصر النظرية من خمس حلقات مترابطة ، فإذا تأثرت حلقة تؤثر على الحلقات الباقية، والحلقات الخمسة هي[٢٦]: -

١- الفكرة: مثل القومية العربية والقومية الصهيونية.

٢- القرار: مثل وعد بلفور للحركة الصهيونية بإعطاء فلسطين لليهود لإنشاء دولة.

٣- الحركة: متمثلة في هجرة اليهود إلى فلسطين.

٤- المجال: الإجراءات في البدء بإنشاء الدولة اليهودية في فلسطين، بدءاً في إنشاء المستعمرات المدنية والعسكرية حتى قيام الدولة.

٥- الوصول إلى المنطقة السياسية، أي إعلان قيام الدولة اليهودية عام ١٩٤٨.

٣. منهج النظام – نموذج تحليل النظام:

يقوم منهج النظام على دراسة الإجراءات التي تنفذ من قبل الإنسان لإنشاء نظام سياسي. ويركز هذا المنهج على دراسة وتحليل الإجراءات التي تتأثر بالمجتمع والمكان وطبيعة النظام السياسي فالعملية السياسية مفتاح لفهم العلاقات البشرية بالحيز الجغرافي، مما يزيد من البصيرة الجغرافية في التحليل والتفسير[٢٧].

٤. المنهج السلوكي:

يتناول هذا المنهج سلوك البشر إما أفراداً أو جماعات تجاه الانتخابات مثلاً من جوانب العملية السياسية كاتخاذ القرارات والأفكار السياسية والإدراك المكاني السياسي والانتماء الحزبي وغيرها[٢٨].

ويرتكز المنهج السلوكي على فكرة المثير والإستجابة في علم النفس[٢٩] (مثلاً عند رؤية الكلب لقطعة اللحم يستجيب إليها باللعاب) فالبيئة الجغرافية هنا هي المثير وسلوك الإنسان تجاه البيئة الجغرافية هو الاستجابة وتتمثل الإستجابة بكيفية إتخاذ القرار وبالتالي السلوك الذي يسلكه.

تأسيساً على ما سبق ، فدراسة الجغرافية السياسية تخضع لعدة مناهج، يتم انتقاء الواحد منها حسب موضوع الدراسة ومستلزماته وإمكانية الدارس. فكل منهج له خصوصيته ومزاياه ومثالبه. وإذا تجردنا عن العنصرية للمناهج، نجد أنفسنا إمام تناول أكثر من منهج دراسي في الدراسة الواحدة إلا أنه ومن المهم أن نذكر ضرورة اتباع خطوات البحث العلمي والأمانة العلمية عند دراساتنا في الجغرافية السياسية والإبتعاد عن الأهواء السياسية والاتجاهات الحزبية، والتأكيد على الموضوعية والنزاهة ، لنتمكن من الوصول إلى النتائج العلمية من البحث. ويمكن أن نحدد خطوات البحث العلمي بالآتي :-

- الشعور بالمشكلة والرغبة في دراستها وتحليلها .
- تحديد المشكلة .
- صياغة الفروض (والفرض هو حل ذكي مؤقت).
- جمع المعلومات وتحليلها.
- الوصول إلى النتائج والتعميمات.

علاقة الجغرافية السياسية بالعلوم الأخرى

تقدم فروع الجغرافية الطبيعة والجغرافية البشرية للجغرافية السياسية المعرفة الضرورية لدراسة المقومات الطبيعية والسكانية والاقتصادية للدولة ، لفهم العلاقات بين البيئة والمجتمع. ولبيان دورها في نمو الدول وتطورها، وتفسير علاقاتها السياسية الخارجية، وبالتالي تقدير وزنها السياسي.

علاقة الجغرافية السياسية بالجيوبوليتيكا والجيوستراتيجية (Geopolitics Geostrategy):

تعرف الجيوبوليتيكا بالعمل الذي يهتم بدراسة المطالب المكانية للدولة، أي بمجالها الحيوي أو بما يهم الدولة خارج حدوده السياسية.

ويعني مفهوم الجيوبوليتيكا السياسة الجغرافية، فالكلمة مكونة من مقطعين هما (Geo) أرض و (Politic) سياسة.

تفرعت الجيوبوليتيكا عن الجغرافية السياسية، والفارق بينهما أن الجغرافية السياسة تبحث في الدولة داخل حدودها السياسية، وتعنى بصورة أساسية بدراسة

وتحليل مقوماتها الجغرافية داخل حدودها السياسية. أما الجيوبوليتيكا فتقوم بدراسة أماني وأحلام الدولة ومطالبها المكانية خارج حدودها السياسية، أي دراسة مطالبها المكانية الأرضية. ومن أمثلة ذلك مطالب كل من إيران والإمارات العربية المتحدة في جزر أبو موسى في الخليج العربي، ومطالب تركيا واليونان في جزيرة قبرص، ومطالب الهند وباكستان في كشمير، ومطالب الفلسطينيين واليهود في فلسطين .

تدرس الجغرافية السياسية علاقة الإنسان بالأرض، فإذا حللنا العناصر المكونة للدولة الطبيعية والبشرية نصل لتقدير قوتها وفعالياتها السياسية. ومن تحليل العلاقة بين الجغرافية السياسية وقوة الدولة ندرك أن علم الجغرافية السياسية ينتمي إلى علم الدراسات الخاصة بسياسة القوة (Power Politics) فبعض الجغرافيين السياسيين التزموا بهذا المبدأ في دراساتهم في حدود المصلحة القومية للدولة بينما لم يكتفِ بعض الجغرافيين السياسيين بهذه الحدود الضيقة [٣٠]، فبناءً على العلاقة بين الجغرافية السياسية وقوة الدولة وسعوا دراساتهم عالمياً. لذا فالاتجاه التطبيقي للجغرافي السياسي نحى منحيين هما: الجيوبوليتيكا بمفهومها الضيق، والجيوستراتيجية بمفهومها الواسع.

الجيوبوليتيكا أو السياسة الجغرافية (Geopolitic)

في بداية القرن العشرين اهتم الجغرافيون السياسيون بعلاقة الجغرافية السياسية بقوة الدولة، فظهرت دراسات الجيوبوليتيكا الضيقة.

فعلم الجيوبوليتيكا يرتكز على مبدأ أن لكل حيز أرض محدودة المعالم لها أهمية نسبية في تحدي وإبراز مغزى النظام السياسي العالمي.

تدرس الجيوبوليتيكا العلاقة المتبادلة ما بين الأرض أو الحيز الجغرافي أو رقعة الدولة الأرضية التي تقوم عليها أو ما تطمع مد سلطاتها السياسية والعسكرية عليها من أراضٍ مجاورة لها، وبين الإتجاهات السياسية التي رسمتها لنفسها، لقناعاتها بأنها تصبح دولة قوية من خلال فهمها للعوامل الجغرافية في هذه الأراضي. فالجغرافيا السياسية هي منطلق نشوء برعم جديد منها، وهو الجيوبوليتيكا[٣١]. ولكنهما معاً يهدفان من دراساتهما إلى إبراز العوامل الجغرافية التي تقوي الدولة.

وكان رودولف كيلن (Rudolf Killwn) السويدي أول من استخدم جيوبوليتيكا عام ١٩١٧ بمعنى أن الدولة كائن جغرافي تشغل حيزاً من الأرض ، ودراسة الدولة حسب مفهوم الجيوبوليتيكا هو دراسة الدولة خارج حيزها الجغرافي.

ويرى البعض أن الجيوبوليتيكا هو التطبيق السياسي للجغرافيا أو التطبيق الجغرافي للسياسة.

ويعرف جون كيفر (Johne Kiefer) الجيوبوليتكيا بأنها السلوك الدولي للدولة من خلال دراسة المبادئ السياسية للدولة على أساس دراسة موقعها السياسي الدولي. ويرى جون كيفر أن تأثير الدولة في اللعبة السياسية الدولية تعتمد بشدتها على قدرة الدولة الصناعية، ومدى قدرتها الصناعية في السوق العالمي. والدولة الصناعية المتطورة تكنولوجيا تحاول توسيع مجالها الحيوي اقتصادياً لضمان تسويق منتجاتها الصناعية، وتأمين المواد الأولية من خارج حدودها السياسية ضماناً لاستمرار ازدهار صناعتها، وحسب هذا المفهوم نرى أن الولايات المتحدة الأمريكية بعد ما يسمى بالنظام العالمي الجديد، والذي بدأ عملياً بعد عام ١٩٩٠ باقتناع الولايات المتحدة الأمريكية أنها الدولة التي تتربع على السيادة الدولية دون منازع، فمجالها الحيوي العالم بأسره.

إن سياسة الولايات المتحدة الأمريكية الحالية تعكس النظرة الجيوبوليتيكية بمفهوم التوسع في المجال الحيوي، فتطبيقاتها العملية تتمثل في الوقت الحاضر بتطبيق سياستها ذات القطب الواحد لتحقيق مصالح اقتصادية لها وأن سياستها الخارجية هي تطبيق لنظرية السلوك الدولي الذي تعتبر فيه الدولة هي الأم الحقيقية، والتي من الضروري أن تطلق سياستها الخارجية من وجهة النظر المحلية التي تحقق أماني وتطلعات الشعب، دون الالتفات إلى ما يلحق بالضرر للأمم الأخرى التي تعتبرها الولايات المتحدة أقل منها صناعياً وتكنولوجياً.

فسياسة الولايات المتحدة الخارجية تقوم على أساس الدونية في الصناعة والتطور والتكنولوجيا لباقي دول العالم، وهذا ما يجعل طبيعة العلاقات السياسية بين الولايات المتحدة والدول الصناعية الأخرى في العالم غير متوازنة ، ولا تقوم على التكافؤ والمساواة من خلال شروطها التي تفرضها على الدول الصناعية الأقل تطوراً من الولايات المتحدة [٣٢]، مما يحقق مكاسب مادية لسكان الولايات المتحدة على حساب شعوب العالم الأخرى.

إن السياسات الخارجية للدول الصناعية في بداية القرن الحادي والعشرين ستشهد تنافساً وصراعاً اقتصادياً وعسكرياً من أجل توسيع مدى المجال الحيوي لهذه الدول، ويكون التنافس الأقوى في توسيع المدى الجغرافي للدول الصناعية في أراضى الدول النامية أو غير الصناعية في كل من دول قارة آسيا خارج الصين واليابان وكوريا الجنوبية وروسيا، ودول قارة أفريقيا وأمريكيا الجنوبية.

وخير الأمثلة العملية لإثبات سياسة الولايات المتحدة الخارجية والمتمثلة بالسيطرة على مجالها الحيوي العالمي الصناعي منه وغير الصناعي، قيامها بأعمال عسكرية منها : تحطيم القدرة العسكرية العراقية، والتي بدأت بها الولايات المتحدة عام ١٩٩٠ وما زالت العمليات العسكرية مستمرة حتى الآن (آذار ٢٠٠٤)، لتحقق خوفاً دائماً في دول شبه الجزيرة العربية من العراق، ولقيام هذه الدول بشراء أسلحة أمريكية ودفع تكاليف الجنود الأمريكيين على أرض شبه الجزيرة العربية من جهة ، ومن جهة أخرى تخويف إيران وتحجيم نفوذها الإقليمي وإبقاء مجالها الحيوي داخل الحدود السياسية الإيرانية إلا أن الهدف الأكبر للولايات المتحدة الأمريكية يتمثل بالسيطرة على بترول حقل الخليج والذي يقدر أن يبقى النفط به إلى آخر حقل في العالم والذي يقدر حتى عام ٢١٠٠، وهذا الحوض يشتمل على البترول الإيراني والعراقي والسعودي والكويتي والإماراتي والقطري والبحراني والعماني.

والمثال الآخر على تطبيق مفهوم الجيوبوليتيكا بمعنى التوسع في المجال الحيوي للولايات المتحدة الأمريكية ، الضربات العسكرية ليوغسلافيا والتي بدأت في الخامس والعشرين من شهر آذار من عام ١٩٩٩، في محاولة من الولايات المتحدة للقضاء أولاً على آخر حليف شيوعي لروسيا في أوروبا الشرقية، ولكسر انف اليوغسلاف وتقسيم دولتهم إلى خمس دول تتمثل في البوسنه والهرسك وكرواتيا وكوسوفو ومقدونيا ويوغسلافيا (الصرب). ولإثبات قوة الولايات المتحدة في أوروبا التي تسعى لتكوين قوة اقتصادية عالمية تنافس القوة الاقتصادية للولايات المتحدة والتي شكلت في بداية عام ١٩٩٩ قوة اقتصادية رمزها عملة اليورو الأوروبية.

إلا أن مفهوم الجغرافيا السياسية وأهميتها ومناهجها التي سبق وان ناقشناها في هذا الفصل أكاد أن اجزم بأنها ستكون في القرن الواحد والعشرين إرث تاريخي،

ليحل محله مناهج جديدة تواكب التطورات السياسية لعالم القطب الواحد، وما افـرزه من نظريات جديدة على المستويات السياسية والعسكرية والاقتصادية ومـا يريـد فرضـه مـن توجهات روحية ومعتقدات دينية ونظم حياتية.

ويبدو أن منهج الجغرافيا السياسة القائمة على التركيز على الدولة قد انتهى ب ١١ أيلول ٢٠٠١ وحـل محلـه مـنهج " الـنظم العالميـة" في تحليـل الجغرافيـة السياسـية لعالمنـا الواحـد والعشرين، هـذا المـنهج ورد في كتـاب عـام ٢٠٠٠ لمؤلفـه: (Political Geography-world-Economy Nation stste peter and Colin and Loeality).

إن ما نشر في تقرير التنمية للعام ١٩٩٦، الصادر عـن الأمـم المتحـدة مـن أن نحـو ٣٥٨ نسمة الأغنى في العالم يملكون ما يعادل مجموع ثروات ٢.٥ مليار نسمة الأفقر في العـالم [٣٣]. وسيستمر في القرن الواحد والعشرين مبدأ الثروة: الأغنياء يصبحوا أغنى، ومعظم فقراء العـالم يصبحون أفقر، أنها حقيقة العولمة، هذه الحقيقـة نلمسـها في التجمعـات السـكانية الصـغيرة (القرى والبلدان)، وفي التجمعـات السـكانية الكبـيرة(المـدن)، وفي الدولـة، وفـيما بـين الـدول، بمعنى تتغلغل حقيقة الفقر والغنـى باتجاهاتـه المتناميـة نحـو الشـمولية الكونيـة في جميـع قارات العالم. هذه الحقيقة يبدو أنها القرن الواحد والعشرون وتسعى الفئات الغنية في العالم لترسيخها وديمومتها.

دخلـت العولمـة حلبـة الفلسـفة السياسـية مـن أوسـع أبوابهـا، فهـي تـدفع بالمنافسـة الاقتصادية الكونية إلى السيادة والقمة في الفكر السياسي، وهـي مسـؤولة عـن سياسـة إعـادة توزيع الـثروة بـين الـدول بحجـة ضرورة إعـادة النظـر في بـرامج الإصـلاح الاجتماعـي (New Deals) ومكافحة الفقر، والمعونات الدولية.

والواقع أن مستقبل الدولة في ظل العولمة اصبح في ظل منهج النظم العالمية مـن وجهـة نظر الجغرافيـا السياسـية موضـع تسـاؤل. في الوقـت الـذي شـكلت فيهـا الدولـة الأسـاس في الجغرافيا السياسية طيلة القرن العشرين. إلا أن السؤال هل ستلغى الدولـة أو تـزول فعـلاً في ظل العولمة الكونية؟ أم أن هنـاك صـياغة عالميـة جديـدة لمفهـوم الدولـة ومغزاهـا السـياسي والاقتصادي.

تقوم منهج النظم العالمية ، على أساس التجاوز عن كون الدولة الركن الأساسي في دراسـة الجغرافيا السياسية لقرن مضى من الزمن. وليس من حق

العولمة الإدعاء بأنها جديدة بل هي تاريخ من التداخلات والتشابكات العالمية الحضارية وما لازمها أو اقترن بها من أنظمة سياسية جغرافية تمثلت بسلطة الدولة وما صاحبها من فوارق طبقية في الثراء، هذه جميعاً إرث العولمة وشكلها المستقبلي (Globalization(s) and Political Geography).

العولمة (أو العولمات) والجغرافيا السياسية :

العولمة المعاصرة هي آخر تجليات العمليات الجغرافية التاريخية لسنوات خلت، ولدّت الجغرافيا السياسية المتمثلة بالدولة والسلطة والتآمر والاستعمار ومناطق السيطرة والنفوذ.

ونتساءل بحق ما هي العولمة؟ إن مفهوم العولمة هو أحد تلك المفاهيم متعددة الأوجه حسبما يراد بها. فمثلاً من وجهة نظر الاقتصاديين لا تعنى نفس المعنى من وجهة نظر الجغرافيين السياسيين وللإحاطة بمفهوم العولمة نتحدث عن ثمانية أبعاد لها هي [٣٤] :

أولاً: **العولمة المالية (Financial globalization):** ويقصد بها الأسواق المالية العالمية والتي تعمل على مدار أربع وعشرين ساعة يومياً.

ثانياً: **العولمة التكنولوجية (Technological globalization):** تصف المجموعة المترابطة من تكنولوجيا الكمبيوتر والإتصالات والأقمار الصناعية والإنترنت.

ثالثاً: **العولمة الاقتصادية (Economic Globalization):** وتصف نظم الإنتاج العالمية التي تمكن الشركات العابرة للقارات من التحرك عبر دول العالم بسرعة وبديناميكية.

رابعاً: **العولمة الثقافية:** ويقصد بها استهلاك النتاجات الكونية، لما لها من تأثير مهيمن كما في تعبير الكوكلة (Cocacola- Ization) وعالم ماك (Mc word).

خامساً: **العولمة السياسية (political globalization):** وتتمثل بسيادة الأجندة: "الليبرالية الجديدة" المتمثلة بالخصخصة ورفع الرسوم الجمركية وتبني الاقتصاد الحر، وسياسة الباب المفتوح على مصراعيه.

سادساً: **العولمة البيئية (Ecological globalization):** أي الشراكة البيئية ومسئولية العمل الجماعي لعولمة سياسية خضراء تعم أرجاء كوكب الأرض الحي.

سابعاً: **العولمة الجغرافية (Geographical globalization):** وذلك بالنظر للحدود السياسية بأنها خطوط لا تعني شيئاً، والنظر إلى العالم من منظور مجموعة من المدن العالمية المترابطة. وإحلال السلطة العالمية في كوكبنا الأرض محل السلطة القومية أو سلطة الدولة.

ثامناً: **العولمة السوسيولوجية (Sociological globalization):** ويقصد بها الخيال الجديد الذي يستشرف ظهور " مجتمع عالمي" واحد، أو كل اجتماعي مترابط يتعدى مفهوم المجتمعات القومية.

الأبعاد الثمانية للعولمة مترابطة ومتداخلة كشبكة العنكبوت، وهي محل شك وريبة بين الأكاديميين. إلا أن الحقيقة توحي لنا في القرن الواحد والعشرين أن هناك تخطيطاً سياسياً مقصود به إعادة تشكيل النطاقات الجغرافية وبالتالي إعادة تشكيل حياتنا كعاملين، ومستهلكين، ومنتجين، ومستثمرين، وناخبين، ومشاهدين، وكل ما يتصل بأنشطتنا الاجتماعية المعاصرة.

فالمشاكل الكونية هي الشغل الشاغل للجغرافي السياسي على مختلف مدارسهم ومشاربهم، وهنالك حذر من تناول العولمة وتبني منهج النظم العالمية، وتناسى إرث الجغرافيا السياسة ومناهجها التي بناها وتبناها في القرن العشرين علماء الجغرافيا من الشرق والغرب.

إلا أن تعامل الجغرافيا السياسية على أساس نظام كوني سياسي بنظرة شمولية جاءت على يد ماكيندر، إذ أدرك أن الأحداث العالمية لا يقتصر تأثيرها على محيطها بل صداها يدوي في بقاع أخرى من المعمورة [٣٥] فأصحاب الشركات عابرة للقارات متعددة الجنسيات تجيز لنفسها منذ بدايات القرن الماضي بأن الشمس

لن تغيب عن أرض الإمبراطورية البريطانية، ولقد شهدت فترة ماكندر ثلاث أيدلوجيات لتصور أوضاع العالم السياسية هي [٣٦]:-

١- نادى الاستعماريون بضرورة تبنى مبدأ المنافسة بين الدول، وهذا يتيح للدول الكبرى الفتية الازدهار على حساب الدول الصغيرة والضعيفة عسكرياً واقتصادياً وسكانياً. وكان أهم نتائج هذا النهج حربين عالميتين ذهب ضحيتها أربعة وعشرون مليوناً من البشر.

٢- تمسك الليبراليون بمعارضة أيديولوجية الاستعماريين ونموذجهم السياسي. وتبنوا نموذجاً عالمياً وهو سياسة "السوق الحرة" بين دول العالم بقاراته القديمة والجديدة. أنشأت المنتديات الدولية من أجل حفظ السلم العالمي كان أبرزها عصبة الأمم أولاً، ثم هيئة الأمم المتحدة ومنظماتها الموزعة على دول العالم ثانياً، كمؤشر على ضرورة الابتعاد عن السياسة الاستعمارية وضبط الترسانات العسكرية من التهور والوقوع بمنزلق الحرب العالمية الثالثة.

٣- الاشتراكيون، الذين أكدوا على أهمية الشرائح الاجتماعية أكثر من اهتمامهم بالدول. بمعنى ضرورة التفاف والتزام جميع الأحزاب الاشتراكية في مختلف دول العالم بمبدأ الاشتراكية الدولية وبإطارها العالمي.

تأسيساً على ما سبق، يتضح أن صورة العالم كانت واضحة في أذهان الاستعماريين والليبراليين والاشتراكيين في القرن الماضي أي زمن ظهور علم الجغرافيا السياسية. فهي بحق مدركة للعولمة أي مدركة ومهتمة بالقضايا العالمية المتمثلة بحركة الاستعمار الأوروبي والاستيطان الاستعماري والحروب بين الدول الاستعمارية خارج حدود قارة أوروبا وأهدافها الاقتصادية والسياسية. كلها تعبير واقعي عن تضاد الدول الاستعمارية واختلاف أهداف الصراعات والاستراتيجيات الدولية.

أما في القرن التاسع عشر فقد شهد وحماً أوروبياً في نهب ثروات القارة السوداء. وفي القرن الثامن عشر اشتد الصراع الاقتصادي العسكري بين بريطانيا وفرنسا شمل الأراضي الواقعة من الهند شرقاً إلى كندا غرباً، وفي القرن السابع عشر كان التحدي بين هولندا وأسبانياً في السيطرة على جزر الهند الشرقية، كما

شـهد القـرن السـادس عشرـ احتكاكـاً مريـراً بـين البرتغـال وأسـبانياً تـوج إطـلاق يـدهما الاستعماريتين وفق معاهـدة تـورديزيللاس Tordesillas سـنة ١٤٩٤م بتقاسـم العـالم خـارج أوروبا، وذلك وفق خط يمر عبر المحيط الأطلسي، لإسبانيا الأراضي الواقعة غرب خط التقسـيم الوهمي، وللبرتغـال حـق الهيمنـة ونهـب ثـروات الأراضي الواقعـة شرق الخـط. لـذا فـالفترة الواقعة بين القرن الخامس عشر والعشرين هـو تـاريخ الـدول الأوروبيـة المنشـغلة عالميـاً في السيطرة على العالم [٣٧].

لاشك أن الإشارة إلى حالـة العـالم في فـترة الـ ٥٠٠ عـام السـابقة هـي مـؤشر للسـاحة العالميـة في الوقـت الحـاضر. فالشـائع تاريخيـاً أن الثـورة الصـناعية ١٧٦٠-١٨٤٠ هـي الحـد الزمني بين المجتمعات التقليدية والمجتمعات الصناعية. والصناعة هي إحدى سمات العولمـة المعاصرة، إلا أن الصناعة لم تعد في نهاية القرن العشرين حكراً على دولٍ بعينهـا، بـل امتـدت مصانع الصلب والصناعات الثقيلة لدول كثيرة في العالم المعاصر [٣٨].

وجدير بالذكر أن منهج الـنظم العالميـة يفصـل بـين الصـناعي والحـديث، فالحداثـة ترتبط زمنياً بالتوسع الجغرافي للقوة الأوروبية ومـا ارتـبط بـه مـن مفهـوم الاقتصـاد العـالمي الرأسمالي في أوروبا عام ١٤٥٠ ليشمل العالم كله عام ١٩٠٠ [٣٩].

إن تعبير العولمة للإشارة إلى العمليات الجارية عبر العالم أمرٌ لم يكـن معروفـاً للعـالم سابقاً، فهو من تعابير عالمنا المعاصر، يعكس عالمنا السياسي المعاصر، الذي شهد تقسيم العالم إلى ثلاثة عوالم، أول وثاني وثالث. اختفـى العالمـان الأخـيران، فالثـاني اختفـى بتفكـك الاتحـاد السوفيتي واندماج اشتراكيات أوروبا الشرـقية بالرأسـمالية الأوروبيـة الغربيـة تحـت مسـمى أمريكي جديد هو أوروبا الجديدة، هذا المصطلح أطلقه بأول في أثناء معارضة فرنسـا وألمانيـا الولايات المتحدة غزو العراق عـام ٢٠٠٣ واختفـى الثالـث بظهـور الاقتصـاديات الآسـيوية في جنوب شرق أسيا، ليصبح العالم عالماً واحداً مرتكزاً عـلى ثـلاث منـاطق عالميـة هـي:- أمريكـا الشمالية، وأوروبا الغربية، وآسيا الباسيفيكية، هذا التقسيم للعالم وصفه هولم بأنه عولمة غير متكافئة [٤٠].

وتعد الإتصالات الفورية في عصرنا الحاضر من أهم مظاهر العولمة، إلا أنها لم تسـفر عن نهاية الجغرافيا والتاريخ والإرث الحضاري والثقافي لشعوب

العالم. ونشير هنا إلى أن الجغرافيا السياسية طيلة القرن الماضي ركـزت دراسـاتها عـلى تراثها الكوني في محاولة لفهم الدولة ككيـان سـياسي وعلاقاتـه المحليـة والإقليميـة والدوليـة. إلا أن العولمة المعاصرة تتضمن إعادة تحديد نطاقين (rescaling) للأنشطة بمعنى كوني دون إهمال النطاقات الجغرافية المعروفة للجغـرافيين كالنطاقـات المحليـة أو القوميـة. وهـي حالياً لـب الجغرافيا السياسية، إذ أن العلاقات المتداخلة بين النطاقات الجغرافية تشكل نقطة محوريـة للجغرافيا السياسية التي يرسم العالم معالمها حالياً، ولن تكون دراسات الجغرافيا السياسية في القرن الواحد والعشرين تدرس النطاقات الجغرافية بصورة منفصلة عن النظريات الاجتماعية التي تمهد الطريق وتقدم التفسير وتقيم الحجة لما تتناولـه الجغرافيـا السياسـية مـن دراسـة وتحليل بمعنى أن دراسـة الجغرافيـا السياسـية سـتركز عـلى تحليـل الـنظم العالميـة وليسـت المحلية أو القومية.

ويعتبر نهج النظم العالمية لدى إيما نويل ولارشتاين في التعامل مع العلم الاجتماعـي اللبنة الأولى لمجال دراسة الجغرافيا السياسية المعاصرة [٤١].

الجغرافيا السياسيـة وفـخ العولمـة: (Die globalisierungsfalle and political Geography):

إن قضـية العولمـة (Globalization) في القـرن الواحـد والعشرـين سـتهم الجغرافيـة السياسية بالتحديد ، ولا غرو في ذلك، لأن قضـية العولمـة لهـا مـن الجوانـب مـا يثـير اهـتمام الجغرافيين السياسيين، وتبدو قتامة المائة سنه القادمـة مـن ٢٠٠٠-٢١٠٠ نابعـة مـن وحشـية الرأسمالية الأمريكية وهي في فجر شبابها تفترس كل ما هو له قيمة في بلاد الفقراء، تاركة كـل النظريات في الجغرافيا السياسية في مزبلة التاريخ، لتؤكد فقـط عـلى مـنهج القـوة والإحـتلال والدمار ثم إعادة الإعمار بأيدي الشركات الأمريكية العابرة للقارات.

والجغرافيا السياسية في القرن والواحد والعشرين وفي ظل العولمة مـدعوّة أكـثر مـن أي وقت مضىـ إلى تنـاول المبـادئ الجيوبولوتيكيـة للعولمـة التـي تنـادي بهـا الولايـات المتحـدة لتوضيح أهدافها ومغزاها.

ويكفي أن نذكر أنه في القرن الواحد والعشرين سـيكون هنـاك فقـط ٢٠% مـن سـكان العالم، الذين يمكنهم العمل والعيش في بحبوحة، و٨٠% الباقية فتمثل السكان

العاطلين من العمل، الذين لن يمكنهم العيش إلا من خلال الإحسان والتبرعات[٤٢]. والعولمة ستكرس هذا الوضع وتؤكد على المقولة " إن مراعاة البعد الاجتماعي واحتياجات الفقراء في العالم أصبحت عبئاً لا يطاق" و " إن دولة الرفاه تهدد المستقبل ، وأنها كانت مجرد تنازل من جانب رأس المال إبان الحرب الباردة، وإن ذلك التنازل لم يعد له الآن ما يبرره بعد انتهاء هذه الحرب " وبأن اللامساواة في ظل العولمة بين بني البشر لا مناص منه. وفي ظل هذه الطروحات عن العولمة يرى البعض أن العولمة تحتوي في داخلها على بذور دمارها، تتمثل بعد ١١ أيلول عام ٢٠٠١ بالاضطرابات والخلافات السياسية وفي ازدياد البطالة وعدم استقرار الأسعار وفقدان المصداقية للأمم المتحدة والولايات المتحدة وبريطانيا، وسيطرة أصحاب رؤوس الأموال في العالم على اتخاذ القرارات السياسية والعسكرية بما فيها الولايات المتحدة.

تأسيساً على ما سبق، يقع على عاتق الجغرافيا السياسية في القرن الحالي مهمة تناول المشكلات السياسية العالمية والعولمة والتجارة الحرة بالدراسة والتحليل، إذ من المفترض أن تتميز الجغرافيا السياسية في هذا القرن بطابع العالمية والشمول، ودراسة وتحليل العلاقات الخارجية بين الدول، كما تتميز الجغرافيا السياسية باتساع مجالها وتعقد العلاقات الداخلية والخارجية للدول بعد أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ وذيولها، وما جرته من مآسي على أفغانستان والعراق وليس من السهل التكهن بما سيحدث مستقبلاً، فالتوترات السياسية العالمية حبلى بمفاجآت في عالم الغيب.

منهج النظم العالمية في التحليل (World – Systems Analysis):

يركز منهج النظم العالمية في الجغرافيا السياسية لتحليل التحولات الاجتماعية العالمية. ونميز هنا بين مصطلحين هما المجتمع والبلدان فالمجتمع مثلاً مثل المجتمع العربي أو الصيني ... وهلم جرا. لذا فعلماء دراسات التغير الاجتماعي يدرسون نحو ٢٠٠ مجتمع عالمي في ٢٠٠ دولة. إلا أن منهج النظم العالمية يتناول بالدراسة والتحليل التحولات الاجتماعية في دول العالم كمؤثرات متداخلة لها انعكاسات عالمية. ويفترض وجود نظام عالمي تشكل فيه الدول أو البلدان أجزاءاً من كل.

لذا نفهم التغيرات في مجتمع ما من خلال مدى تأثير وتأثر هذا المجتمع بالإطار الأوسع أي بالنظام العالمي الكبير. فمثلاً انهيار بريطانيا في القرن التاسع عشر ليس ظاهرة مجتمعية بريطانية، ولكنها جاءت لعمليات ومتغيرات عالمية نطلق عليها انهيار الهيمنة. أو تقليص دور القوى المهيمنة أو بداية العودة من القمة إلى القاعدة.

والجدير في فكر ولارشتاين أنه جمع بين تحديين واجها المنهج التقليدي في العلوم الاجتماعية فهو قد جمع بين مبادئ مدرسه الحوليين الفرنسيين (French Annales) في التاريخ في الابتعاد عن الإطناب في السرد التاريخي والإتجاه نحو النظرة الشمولية في تفسير الأحداث السياسية كون الحدث السياسي مجرد جزء من كل عالمي، فالأحداث السياسية والسياسيون يجيئون ثم يروحون، ويبقى نمط الحياة اليومي للناس ومدى تكيفهم مع بيئاتهم الجغرافية. فهذه المدرسة الفرنسية ركزت على دراسة النواحي الاقتصادية والاجتماعية للناس أكثر من دراستها للجوانب السياسية. وقد عبر عن ذلك فرنان برودل بمصطلح الدوام الطويل (Longue duree) بمعنى الاستمرار المادي الذي تتقلب على سطحه الأحداث السياسية(٤٣).

أما التحدي الثاني فيتمثل بنظرية نقد الماركسيين لنظريات التطور في العلم الاجتماعي، بمعنى أنه لا يمكن نقل نظم ومرتكزات حياة الناس في الدول الغنية أو الاستعمارية إلى الناس في الدول الفقيرة دون تشويه المنظومة العالمية بالشرذمة. فمثلاً مرت الدول الغربية والغنية بمرحلة التنمية التاريخية بالتدرج المنطقي، أما الدول الفقيرة فهي الآن تمر بمرحلة ما يمكن أن نطلق عليه تنمية التخلف (Development of under-development) بمعنى أن همَّ الدول الفقيرة التي استقلت عن الاستعمار هو التغير الجوهري لمجمل عملية التنمية من منظور اللحاق بمستوى الدول الغنية لا بالغنى ولا بالعلم (٤٤).

ويحاول نهج النظم العالمية الوصول في دراساته إلى علم اجتماعي تاريخي يتسم بالشمولية، بمعنى إعادة الجغرافيا إلى دائرة العلوم الاجتماعية. وإذا أردنا بالجغرافيا النجاح وفهم العولمة المعاصرة ترك مجال دراستها التقليدي أي الدولة، والإبتعاد عن وضع نموذج الدول المتقدمة في بداية القرن الواحد والعشرين كنموذج يحتذى وهدف نصل إليه، أو محك نحتكم إليه (٤٥) .

تحاول العلوم الاجتماعية الوصول إلى قواعد تصلح لمختلف الأزمان والأمكنة، فمثلاً تحاول تقيم أسباب تدهور الإمبراطوريات السابقة واضمحلالها مثل الإمبراطورية الرومانية والفارسية والإسلامية والبريطانية والعثمانية. تماماً مثل الطبيعة الإنسانية التي تشتمل على خاصية مشتركة بين جميع أبناء الأرض. بمعنى أن أسباب التقدم في الدول المتقدمة يمكن أن تنتقى منه الدول الفقيرة ذات الثقافات المختلفة، فمثلاً تاريخياً ارتبطت دافعية الربح في أسواق تثبيت الأسعار بالمجتمعات الحديثة، ولا يصح تطبيقها على حضارات كانت موجودة سابقاً، فهذا ما اصطلح عليه بالمغالطة الاقتصادية، ولنصل إلى تعميمات صحيحة، أطلق ولارشتاين مصطلحاً هو الأنظمة التاريخية (Historical Systems)، ويعني بها المجتمعات وهي تتألف من عناصر متداخلة ذات أبعاد تاريخية بمعنى ولدت ثم مرت بمرحلة الطفولة فالشباب فالشيخوخة ثم الموت [٤٦] .

إن لكل نظام تاريخه وسماته الخاصة به، إلا أن ولارشتاين صنف النظم التاريخية إلى ثلاث على أساس أسلوب الإنتاج أي تنظيم الموارد المادية ثم تنظيم الأساس المادي للمجتمعات وهي [٤٧]:-

١- النظام الصغير (Mini System) يقوم على أساس تبادل الإنتاج، بمعنى تبادل الصيد بالثمار بين مجتمعين وهي مجتمعات محلية جغرافياً. هذا النظام إما اندثر وإما اندمج مع مجتمعات أكبر.

٢- نظام الإمبراطوريات العالمية (World-empire) وتقوم على أساس توزيع الإنتاج في الدول الزراعية التكنولوجية بما تنتجه من حاجتها الغذائية وتصدر فائضها الإنتاجي، الذي هو أساس قيام صناعتها فيما بعد، نتج عنه ظهور فوارق مادية طبقية بين أفراد المجتمع الواحد.

٣- نظام الاقتصاد العالمي (World Economy) يقوم على أساس نمط الإنتاج الرأسمالي ومعيار الإنتاج فيه هو مبدأ الربحية، وفيه تنتشر السلع الجيدة على حساب السلع الرديئة وهذا النمط من الإنتاج هو الذي يحدد معالم الاقتصاد العالمي.

يتضح في ظل الاقتصاد العالمي الجديد أن الوحدات الإنتاجية الصغيرة وقليلة الجودة ومحدودية الإنتاج، قد ابتلعت في عباءة الكيانات الاقتصادية الكبرى. وقد قدر للاقتصاد الأوروبي البقاء منذ عام ١٤٥٠ ليغلف قارات العالم أجمع[٤٨].

ويرجع أسباب فشل استمرار الهيمنة الاقتصادية الأوروبية على العالم إلى سيطرة رجال البنوك على المستوى الدولي، وظهور رؤوس أموال وبنوك في أوروبا وجنوب شرق آسيا. بالإضافة إلى قوة الاقتصاد الأمريكي وسيطرته على بترول الشرق الأوسط في الخليج العربي وبحر قزوين للحد من نمو وازدهار الاقتصاد الأوروبي والياباني والصيني، فما زالت القوات الأمريكية حتى عام ٢٠٠٤ تحتل مناطق النفط في آسيا الوسطى الإسلامية والعراق.

هناك أربعة أنماط للتغير هي (Types of Change) [٤٩]:-

١. **النمط الأول:** تحول من نمط إنتاج معين إلى نمط إنتاج مغاير. مثل تطور بعض النظم الصغيرة إلى إمبراطوريات كبرى. فمثلاً تلى الاقتصاد الرأسمالي الأوروبي النظام الإقطاعي، وهو ما أطلق عليه مصطلح النقلة النوعية. هذا التحول داخلي دون مؤثرات خارجية.

٢. **النمط الثاني:** التحول نتيجة عوامل خارجية، ونعني به دمج أو ابتلاع النظم الكبرى للنظم الصغرى، ويقع في العادة للشعوب المغلوبة على أمرها، مثلما حدث للشعوب المستعمرة من قبل المستعمرين الأوروبيين. مثل استعمار بريطانيا لكل من العراق ومصر والأردن وفلسطين واستعمار فرنسا لبنان وسوريا وغيرها.

٣. **النمط الثالث:** (النمط المؤقت)، وهو نتيجة لوجود مركزين للإنتاج في رقعه جغرافية واحدة، فينهار أحدهما فيولد نظام جديد لهما، ومثال ذلك الصين، حيث اندمجت وحداتها الاقتصادية معاً في وحده واحدة.

٤. **النمط الرابع:** (نمط الاستمرارية) وفيه يكون الإنتاج إما يتبع المسار الخطي أو الدائري، فالاقتصاد العالمي بمساريه ينمو ثم يصاب بالركود.

لقد عفا الزمن على اعتماد المناهج التقليدية للعلوم الاجتماعية لدراسة التطور، ولفهم مرتكزات النظام الاقتصادي الرأسمالي العالمي ندرس المجتمع الموحد للوقوف على أسباب التغير الاجتماعي المعاصر [٥٠].

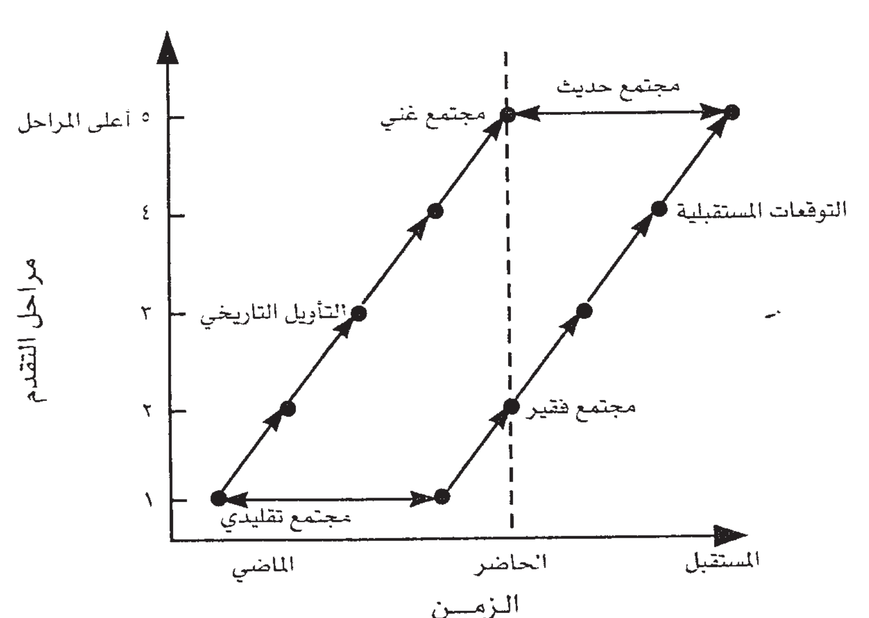
لقد اعتمدت العلوم الاجتماعية المراحل التاريخية التي يفترض أن تمر فيها جمع المجتمعات والدول للتطور والازدهار، مما حفز الدول الفقيرة في وقتنا الحالي تبنى الأسلوب التاريخي في التطور الاجتماعي أو تطور الدول الغنية (انظر

الشكل ٣) فقد تصور روستو تاريخ الاقتصاد البريطاني في شكل سلم من خمس درجات أولها بالمجتمع في بداياته التقليدية وآخرها المرحلة التي يصل إليها المجتمع في أوج الاستهلاك الشامل.

الشكل (٣)

النزعة القائلة بالتطور

Developmentalism



المصدر: نيتر تيلور وآخرون، (٢٠٠٢)، الجغرافيا السياسية لعالمنا المعاصر، ترجمة عبدالسلام رضوان وآخرون عالم المعرفة، ص ٣٢ عن Peter and Colin.P.١٠

قسم نموذج روستو البريطاني عام ١٩٦٠ مجتمعات أو دول العالم إلى فئات حسب درجات السلم الخمس، فالدول الفقيرة تقبع في أسفل درجات السلم، وأغناها تتربع على قمة درجات السلم. وادعى بعض علماء الجغرافيا أن بإمكان الدول الفقيرة السير بنفس خطى الدول المتقدمة للوصول إلى الغنى، إلا أن الصواب لكل

دولة ظروفها التي تتطور من خلالها. ولا يقبل نهج النظم العالمية التحليلي الأخذ بنموذج روستو لتفهم أحوال عالمنا المعاصر [٥١] .

يرتكز الاقتصاد العالمي على سوق عالمية واحدة، وهي سوق الرأسمالية والإنتاج بقصد التصدير وتحديد الأسعار العالمية. وبما أن أسعار السلع العالمية غير ثابتة وتخضع لمبدأ المنافسة حسب الجودة ، لذا من السهل على الشركات العالمية المتربعة على رأس المال والمتخصصة إنتاج سلع ذات جودة عالمية تكون الفرصة مواتية أمامهم لإزاحة المنتجات الأقل جودة من السوق العالمية. والنتيجة أن تعبير العولمة المعاصرة هو التعبير الأحدث للسوق العالمية.

يسلم العالم بوجود سوق عالمية واحدة (Single World market) ، يباع فيها فائض الإنتاج العالمي وعلى رأسها الأسواق الأمريكية والأوروبية إلا أننا لا يمكن غض البصر عن اختلاف النظم السياسية في العالم، فهي ليست كالسوق العالمية. هذا التعدد السياسي ضروري، لأن الهيمنة السياسية تعني في النهاية الهيمنة الاقتصادية، وبالتالي يلف الاقتصادي العالمي في عباءة هيمنة دولة ليس من السهل كبح جماحها. لذا فإن دعوة الولايات المتحدة لغرض مبدأ ما تم الاصطلاح عليه بالعولمة على شعوب الأرض، فهي بحد ذاتها " أمركة" العالم، وهذا التفسير يمثل لب السياسة الأمريكية والعالمية كل من وجهة نظره، إلا أن الدلائل تشير أن هناك تصدٍ – ولو أنه بحياء – للهيمنة الاقتصادية والسياسية الأمريكية من قبل اليورو الأوروبي والصين وفرنسا وألمانيا. فاحتلال العراق عام ٢٠٠٣ من قبل الولايات المتحدة وتفرد شركاتها باستثمار الموارد الطبيعية وعلى رأسها النفط لقي معارضة ونقداً من قبل روسيا والصين وفرنسا وألمانيا.

المنظومة الثلاثية (A Three-tier Structure) :

يرى ولارشتاين أن عمليات الاستغلال الجارية عبر الاقتصاد العالمي تعمل ضمن صيغ ثلاثية الأطراف، وذلك لخلق التوازن النسبي وهذا ما تحرص عليه الدول الغنية بعكس الدول الفقيرة التي تدعي أن الصراع بين الأغنياء والفقراء. والذي يفرض الطرف الثالث في العملية هم أحزاب الوسط والطبقة الوسطى. لذا يمكن القول أن نظام الدولة يتسم بعدم الاستقرار في المنظور القريب أو المتوسط بالنظر إلى تحجيم أو تآكل الطبقة الوسطى، لذا تحرص الطبقة الحاكمة في الدول

الرأسمالية القوية اقتصادياً على وجود ما يسمى طبقة وسطية من فقراء البيض (poor Whites) لحفظ التوازن في المجتمعات التعددية. ولم يكن الإعتراف بحقوق الهنود والسود والبيض في الهند وأمريكيا وجنوب أفريقيا سوى التخطيط المسبق من قبل الطبقة الحاكمة لحماية مكتسبات البيض كخلق طبقة وسطى "حاجز إثني" وسطي[٥٢] .

وقد يكون أطلس باراكلاف التاريخي عام ١٩٧٩ والطبقة المنقحة منه عام ١٩٩٨ يكفي للجغرافي السياسي لتوضيح الصورة التاريخية. ويقسم باراكلاف تاريخ العالم إلى سبعة أقسام وفق الترتيب الزمني هي[٥٣]:-

عالم الإنسان الأول.

الحضارات الأولى .

الحضارات الكلاسيكية في أوروبا وآسيا.

العالم وتواريخ أقاليمه ما بين ٦٠٠-١٥٠٠م.

العالم وقت بزوغ الغرب كقوة كبرى ١٥٠٠-١٨٠٠م.

عصر الهيمنة الأوروبية (القرن التاسع عشر).

عصر الحضارة العالمية (القرن العشرين).

إلا أنه من الممكن إطلاق التقسيمات الآتية على التاريخ وهي :-

العصر الحجري

العصر البرونزي

عصر الحديد القديم

العصور المظلمة.

عصر الكشوف الجغرافية.

عصر القرن التاسع عشر وازدهار حركة التجارة والإمبريالية.

عصر القرن العشرين وهو عصر العولمة والحروب العالمية الكبرى.

إن بناء هيكلية تاريخية للجغرافيا السياسية لإبراز مزايا تبني نهج تحليل النظم العالمية عند تناول اقتصاديات العالم في كليته، وليس تناول الأحداث التاريخية مجردة من معناها الجغرافي السياسي كما فعل باراكلاف. ومن الضروري دراسة

وتحليل الحروب العالمية من منطلق الجغرافي السياسي إذ يمثل البعد الزمني لرحلة الاقتصاد العالمي الناتج الاجتماعي لديناميات الاقتصاد العالمي، أما البعد المكاني فيمثل ناتجاً اجتماعياً لبنية الاقتصاد العالمي. هذا التداخل والتفاعل للبعد الزماني والمكاني في مشوار الاقتصاد العالمي يمهد للوصول إلى إطار عام للجغرافيا السياسية.

يحاول العالم الخروج من الركود الاقتصادي (١٩٧٠-٢٠٠٠)، كما يحاول الحد من التباطؤ في النمو الاقتصادي العالمي الذي أضحى مشكلة عالمية ليست مقصورة على دولة بعينها في ظل العولمة وتداعياتها، ورغم أن هناك انتعاش اقتصادي في بعض دول العالم إلا أن مستويات الفقر ترتفع في الولايات المتحدة، كما ترتفع نسبة البطالة في ألمانيا، وذلك حسب المؤشرات الاقتصادية العالمية عام ٢٠٠٤.

تعكس العولمة المعاصر الاقتصاد العالمي الذي يمر بكساد وتباطؤ في النمو. فمثلاً بلغ معدل نمو التجارة العالمية نحو ٦.٧% سنوياً في الفترة من ١٩٩٠-٢٠٠٠ هبطت إلى ١% في عام ٢٠٠١ والى ٢.٥% عام ٢٠٠٢ و٣% عام ٢٠٠٣[٥٤]. إلا أن التاريخ يعطينا الأمل في معافاة الاقتصاد العالمي مما هو فيه من كساد وتباطؤ. حيث يمر الاقتصاد العالمي بدورات متعاقبة كما جاء في كتابات العالمي الروسي كوندراتيف الذي ينسب إليه تحديد خمسين دورة. تتألف دورات كوندراتيف (Kondratieff) من مرحلتين هما[٥٥] :-

أ. دورات الانتعاش الاقتصادي.

ب. دورات الركود الاقتصادي.

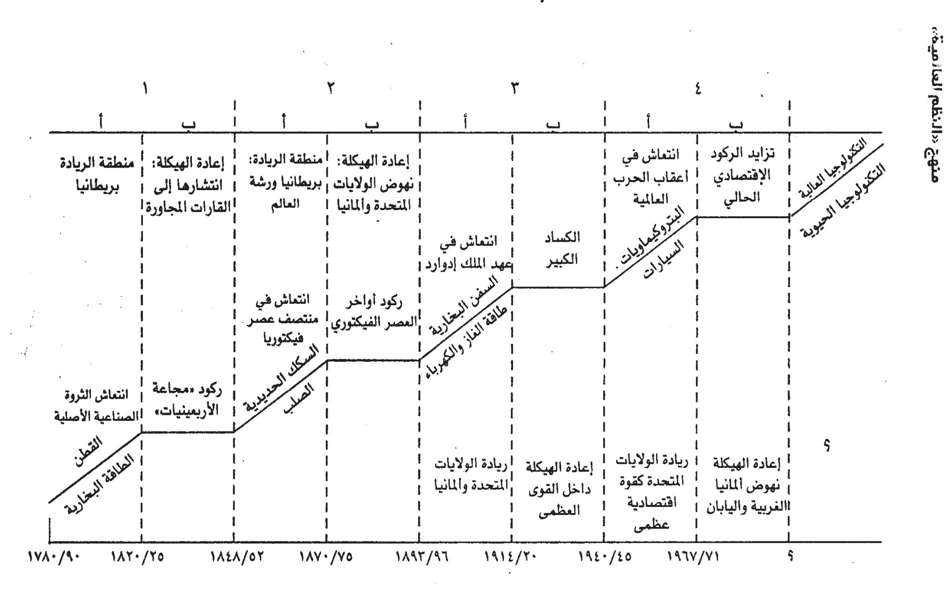
وطبقاً لدورات كوندراتيف فإن العالم يمر اليوم بمرحلة الركود الاقتصادي. وأغلب الظن أن هذه الدورات ترتبط بالتحولات التكنولوجية التي شهدها العالم. فمراحل الانتعاش الاقتصادي لصيقه بفترات تاريخية شهدت قفزات تكنولوجية شكل (٤).

من الملامح الرئيسية لدورات كوندراتيف في أهميتها بالنسبة للجغرافيا السياسية أنها تساعد على توليد دورات من السلوك السياسي، أو مطابقة بين الدورات السياسية ودورات الركود أو الانتعاش الاقتصادي العالمي.

الشكل (٤)

دورات كوندراتيف

Kondartieff Cycles



المصدر: عبد السلام رضوان، ص ٤١ عن Peter and Colin, P.١٥

كيف كانت أحوال الاقتصاد العالمي قبل عام ١٧٨٠م؟ اخذ الاقتصاد العالمي معالمه ابتداء من عام ١٤٥٠ ولكن ما هي القوى المحركة للاقتصاد العالمي؟ يعتقد برودل أن دورات كوندراتيف تصدق على الاقتصاد العالمي قبل عام ١٧٨٠م. ويعتقد العلماء أن بعض الفترات التاريخية تصل إلى نحو ٣٠٠عام يطلق عليها مصطلح الموجات اللوجستية (Logistic Waves)، وهي مثل دورات كوندراتيف تتضمن فترات ركود وفترات انتعاش اقتصادي. وتبرز فترتان لهما أهمية خاصة في التحليل، وهي[٥٦] :-

١- من سنة ١٠٥٠ إلى ١٢٥٠ فترة انتعاش (٢٠٠سنه)

من سنة ١٢٥٠ إلى ١٤٥٠ فترة ركود (٢٠٠سنه)

٢- من سنة ١٤٥٠ إلى ١٦٠٠ فترة انتعاش (١٥٠سنه)

هاتان الفترتان تنطبقـان عـلى مـا قبـل ظهـور مفهـوم الاقتصـاد العـالمي. فـالفترة الأولى (الانتعاش) تلت انهيار الإقطاع في أوروبا.

ومن منظور ولارشتاين[٥٧] تنطبـق عـلى اللوجسـتية الأولى مـن ١٠٥٠-١٤٥٠، إذ بـرز في أعقابها فكرة الاقتصاد العالمي. وتعكس فترة الركود الاقتصادي في اللوجستية الأولى تـدهوراً في الإنتاج الاقتصادي بسبب تراجع النشاط الزراعي في أوروبا، ويطلق عـلى هـذه الحقبـة محنـة الإقطـاع وخـرج الركـود الاقتصـادي إلى الانتعـاش الاقتصـادي في اللوجسـتية الثانيـة أعقـاب الكشوف الجغرافية وما رافقه، وتلاه من الاستعمار الأوروبي ونهب ثروات الشـعوب بمـا فيهـا ثروات الأمريكتين، تلاها فترة ركود اقتصادي بما عرف باسم محنة القـرن التاسـع عشرـ سـببه الكساد الذي حل بالعالم.

اصطبغ الاقتصـاد العـالمي مـا بـين ١٤٥٠-١٩٠٠ بالصـبغة الأوروبيـة. وقـد تمثـل النطـاق الجغرافي للعـالم (الوحـدات الجغرافيـة للإنتـاج) بتقسـيم العـالم إلى نطاقـات إنتـاج وأنشـطة متخصصة، هذه النطاقات شـهدت في أجـزاء منهـا حركـة تجاريـة سـلعية، وبعـض منهـا ظـل هامشياً محلياً.

وقد شهدت الفترة من ١٤٥٠-١٩٠٠ أشكالاً متعددة للنهب الأوربي لثروات شعوب العالم. والقضاء على كل ما يقع من أنشطة خارج دائرة الهيمنة الأوروبية فيما عـرف باسـم السـاحة الخارجية. وفي هذه الفترة تم بناء المدن الأوروبية الجديـدة والعملاقـة في حجمهـا ومسـاحتها وأنشطتها وجامعاتها على حساب ثروات الشعوب المستعمرة.

مفهومـا المركـز والأطـراف: (The concepts of core and periphery)

يعني مفهوم الأطراف المناطق التي لم يحسب لها حساب في النظام الاقتصادي العالمي. وهي الفقيرة في العالم. أما مفهوم المركز فيعني الدول الغنية.

إن نموذج المركز- الأطراف- ظاهرة استاتيكية طبيعية. على أن استخدام الاقتصاد العـالمي الحديث لما اصطلح عليه المركز والأطراف مختلف، فكلاهما يشير إلى عمليات مركبـة وليسـت إلى المناطق أو الأقاليم أو الدول بصورة مباشرة.

ونتساءل ما هي الأسس التي يتم من خلالها وصف المكان بالأطراف أو المركز؟ فالمكان أو الإقليم أو المنطقة أو الدولة لا تصبح متسمة بالمركزية إلا بممارسة أنشطة مركزية، وكذلك التي توصف بالأطراف هي تلك التي تقوم بأنشطة أطرافية. فالطريقة التي تتم فيها نموذجية المكان أو استثماره هي التي تحدد أمركز هو أم طرف. إذ إن المكان بحد ذاته لا يصنع من المكان مركزاً أو طرفاً، وإنما ما يتم داخل هذا المكان من أنشطة اقتصادية ذات قيمة إنتاجية ملموسة عالمياً في فترة زمنية معينة. لذا فإننا نلقى خريطة العالم مرصعة بالمراكز والأطراف نتيجة طبيعية لتفاوت تنمية المكان واستثماره بالشكل العلمي الصحيح.

ويوضح ولارشتاين بأن المركز هو (المستغِل) والطرف هو (المستغَل). فالمركز يتمتع بتقنية عالية وأجور عمالة مرتفعة، أما الأطراف تقوم على أساس أيدي عاملة منخفضة الأجور وتقنية تقليدية. هذه السمات عرضه للتغير مع تطور الاقتصاد العالمي.

إلا أن هناك أشباه أطراف بمعنى أنها تجمع بين الخاصيتين في بنية الاقتصاد العالمي (The spatial Structure of the economy) ، وهي الأقاليم أو المناطق أو الدول التي لا تظهر فيها عمليات المركز أو الأطراف. وتلعب دور الوسيط بين المركز والأطراف.

مصفوفة مكانية زمانية للجغرافيا السياسية: (A space-time matrix of political geography)-:

يمكن تصور مصفوفة تتضمن عشر حقب تاريخية للانتعاش والركود الاقتصادي وثلاثة أنماط مكانية من مركز وأطراف وأشباه أطراف (جدول ١) تمثل السمات الأساسية للاقتصاد العالمي، والتي من خلالها فهم جغرافيتنا السياسية. من دراسة الجدول نخلص إلى :-

١. يعد النشاط التجاري العالمي أساس قواعد النظام الاقتصادي العالمي، لعبت فيه حركة التجارة بين الدول الأطراف ودول المركز دور بلورة النظام الاقتصادي. وفي المرحلة التي وصفت باللوجستية المتدهورة برز الاقتصاد العالمي بصوره الثلاث وهي :

أ. قيام سوق عالمية واحدة تهيمن عليها أوروبا الغربية.

ب. ظهور قانون دولي ينظم علاقة الدول .

ج. قيام هيكلية ثلاثية الأبعاد قسم فيها الإنتاج الزراعي والعمالة، بين عمالة حرة كما كان في دول شمال أوروبا، وعمالة تقوم على السخرة والقهر في العالم الجديد، وعماله أطلق عليها مرحلة الإقطاع الثاني في بلدان شرق أوروبا.

جدول (١)

مصفوفة مكانية زمانية

(A space-time information matrix)

الدورات	دول المركز	دول أشباه الأطراف	دول الأطراف
اللوجستية	أ. الكشوف الجغرافية المبكرة على يد إسبانيا والبرتغال لكن الانتعاش الاقتصادي في مناطق شمال غرب أوروبا.	تدهور نسبي لمناطق وسط أوروبا وشواطئ البحر المتوسط الأوروبية.	إمبراطورية أيبيريا في العالم الجديد- مرحلة الإقطاع الثاني في شرقي أوروبا .
	ب. دول شمال غربي أوروبا تحكم قبضتها على الاقتصادي العالمي.التنافس الهولندي ثم الفرنسي- الإنجليزي حول المستعمرات.	تدهور أحوال ايبيريا- ارتفاع مستوى السويد وبروسيا وشمال شرقي الولايات المتحدة.	انكماش في أمريكا اللاتينية وبلدان شرقي أوروبا انتعاش صناعة السكر في دول الكاريبي- هزيمة فرنسا في الهند وكندا.
دورة كوندراتيف (١)	أ. الثورة الصناعية في بريطانيا- الثورة الكبرى في فرنسا-هزيمة فرنسا.	تدهور نسبي في كل مناطق أشباه الأطراف -قيام الولايات المتحدة الأمريكية.	تصفية بعض المستعمرات - حركة التوسع-السيطرة على مقدرات الهند رسمياً، وعلى أمريكا اللاتينية بصورة غير رسمية.
	ب. سيادة بريطانيا الاقتصادية- بدايات الفكر الإشتراكي في بريطانيا وفرنسا.	انتعاش نسبي في أمريكا الشمالية وبلدان وسط أوروبا.	اتساع دائرة النفوذ البريطاني في أمريكا اللاتينية-بدايات الانفتاح على بلدان شرقي آسيا.

دورة كوندراتيف (٢)	أ. بريطانيا تصبح ورشة العالم في الصناعة في زمن التجارة الحرة.	إعادة تشكيل مناطق أشباه الأطراف-الحرب الأهلية في الولايات المتحدة-الاتحاد الألماني الوحدة الإيطالية روسيا تدخل الحلبة.	المرحلة الكلاسيكية للإستعمار غير المباشرة- نمو بلدان أمريكا اللاتينية.
	ب. تدهور أحوال بريطانيا مقارنة بالولايات المتحدة وألمانيا- ظهور الدولية الاشتراكية الثانية.	تدهور أحوال روسيا وبلدان سواحل البحر المتوسط الأوروبية.	حركة التوسع- الصراع الأوروبي حول أفريقيا- عصر الإستعمار بصورة الكلاسيكية.
دورة كوندراتيف (٣)	أ. السيادة الاقتصادية للولايات المتحدة وألمانيا- سباق التسلح.	دخول اليابان في الحلبة - ظهور دول السيادة.	المستعمرات الجديدة في أفريقيا- انتعاش التجارة في الصين.
	ب. هزيمة ألمانيا-الامبراطورية البريطانية وكيفية صيانتها- السيادة الاكيدة للاقتصاد الأمريكي.	انتصار الاشتراكية في روسيا وقيام الاتحاد السوفيتي-دخول الأرجنتين في الحلبه.	إهمال أحوال بلدان الأطراف وثورات بلدان الأطراف -بدائل الإستيراد في بلدان أمريكا اللاتينية.
دورة كوندراتيف (٤)	أ. الولايات المتحدة كقوة عظمى اقتصاديا وعسكريا في العالم -مرحلة جديدة للتجارة الحرة.	قيام بلدان شرق أوروبا -الحرب الباردة - ظهور مجموعة أوبك في الساحة العالمية.	انتصار الاشتراكية في الصين-تصفية الأشكال القديمة للاستعمار ليحل محلها الاستعمار في ثوبه الجديد.
	ب. تدهور أحوال الولايات المتحدة مقارنة بأوروبا واليابان-سباق التسلح النووي.	بروز دول شبيهة باليابان في بلدان شرقي أسيا-انهيار النظام الشيوعي في شرقي أوروبا-نهاية الاتحاد السوفيتي-ازدياد ديون بلدان العالم الفقيرة لدول المركز.	أزمة اقتصادية حادة وقيام الصراعات الدولية- استشراء الفقر في بلدان العالم.

١- مر الاقتصاد العالمي بدورات انتعاش كما هو موضح في دورات كوندراتيف، وأنها فترة اليهمنة الأمريكية والبريطانية على الاقتصاد العالمي، وأنها فترة خبو الاقتصاديين الفرنسي والألماني. تلاه تدهور الاقتصاد الأمريكي والبريطاني وظهور النزعة الحمائية (Protectionism) أي الحماية الجمركية.

٢- كانت بريطانيا في فترة الركود الذي أصاب اللوجستية (ب) تعد من دول المركز، واستمر ذلك حتى رغم دخولها فترة الركود (ب) التي رصدها كوندراتيف وأيضاً كانت فرنسا من دول المركز. وقد تأثرت فرنسا بما لحق بها من هزائم في مناطق الأطراف تزامنت مع دورة الركود في اللوجستية (ب) كانت هذه الأحداث سبباً في الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م. أما الولايات المتحدة وألمانيا فقد شهدتا تقلباً اقتصاديا، فقد وضعت حرب الاستقلال الأمريكية الولايات المتحدة في موقع الأطراف، ثم انتعشت بعد الانتصار في الحرب الأهلية بين الشمال والجنوب. ثم توالت قوة الولايات المتحدة اقتصادياً حتى أصبحت القوة الأعظم في القرن العشرين. أما ألمانيا فهي الآن قوة اقتصادية تناطح الولايات المتحدة، واليابان الأكثر خطراً في الاقتصاد العالمي (دورة كوندراتيف الثانية) أما روسيا فقد أخذت تتراجع مع دورة كوندراتيف الثانية. ثم أصبحت قوة عسكرية سياسية اقتصادية كبرى إثر تجمعيها تحت اسم الاتحاد السوفيتي (وإن ظلت ضمن مناطق أشباه الأطراف).

أما الصين فقد ولجت بوابات الاقتصاد العالمي بصورة لم يشهدها التاريخ ضمن مناطق الأطراف مع نهاية دورة كوندراتيف الأولي ثم صعدت إلى دول أشباه الأطراف مع دورتي كوندراتيف الثالثة والرابعة (أ).

وتمثل العولمة المعاصرة إعادة تنظيم اقتصاديات دول العالم، ولا يعني أن مجرد إعادة الهيكلة السياسية للدولة يضمن لها النجاح اقتصادياً. فمثلاً لم تنجح الدولة العثمانية رغم تغير سياستها (دورة كوندراتيف (أ)) في بناء اقتصادها. فدول أشباه الأطراف معظمها يلجأ إلى إعادة ديكورات لبنائها السياسي مسايرة لروح العصر، كما تلجأ لتبنيج شعوبها بإظهار برامجها للإصلاح الاقتصادي. وهذا يقودنا لمناقشة السلطة والممارسات السياسية في النظام العالمي الجديد.

القـوة والسياسـة في الاقتصاد العالمـي:

أُخذ على آراء ولارشتاين الاقتصادية بأنها تفتقر إلى البعد السياسي، وقد عبر عن ذلك زولبرج[٥٨] بقوله " إن السياسة هي الحلقة المفقودة في نهج النظم العالمية". ومن المهم فهم البعد السياسي لنصل معاً إلى شكل الاقتصاد العالمي من منظور الجغرافيا السياسية.

لقد أوضح شيس-دون (Chace-Dunn)[٥٩] أن السياسة عامل مؤثر في الاقتصاد العالمي. فالإنتاج الرأسمالي مبني على فائض الإنتاج وتكوينه. هذا الفائض الاقتصادي إما يتم تسويقه، أو الاستيلاء عليه بالسياسة أو القوة لتسويقه، وهذا ما تتبناه الولايات المتحدة اليوم بوقوفها بقوة السلاح خلف الشركات الأمريكية متعددة الجنسيات.

وقد عبر شيس [٦٠] عن ذلك بقوله " إن الاعتماد المتبادل فيما بين القوة السياسية العسكرية والميزة التنافسية في الإنتاج في الاقتصاد العالمي، يكشف عن أن منطق عملية التراكم يتضمن في داخله منطق بناء الدولة وتوجهاتها السياسية تجاه العوامل الجغرافية والبشرية". بمعنى أن العمليات السياسية تقع في صميم الاقتصاد العالمي الرأسمالي ، فالسياسية توجه القوى الاقتصادية والعسكرية لتحقيق مآربها، وأيضاً القوى الاقتصادية تتعاون مع القوى السياسية والعسكرية لمزيد من الكسب المادي عبر شركاتها العابرة للقارات. فالولايات المتحدة اندفعت وراء شركاتها عابرة القارات في عام ٢٠٠١ لاحتلال أفغانستان لتكون في قلب العالم، واحتلت العراق عام ٢٠٠٣ لتبسط سيطرة شركاتها النفطية على معظم أماكن إنتاج النفط عالمياً.

إن أي صراع بين أي دولتين، لا تتوقف على قوة الدولتين، وإنما هي مرهونة بالأطراف الأخرى التي إن شاءت أو أبت سيكون لها نصيب في التداخل في الصراع بين الدولتين. فأهم عنصر في الاستراتيجية السياسية لكلا الدولتين هو توسيع دائرة الصراع خاصة من جانب الدولة الأقل قوة.

ومن الأمثلة على ذلك قوى اليسار واليمين، ففي حين تبنى اليسار سياسة الجماعة فوق الفرد، فإن اليمين تتبنى سياسة الفرد فوق الجماعة. ففي القرن التاسع

عشر عمل اليمين على توسيع دائرته الانتخابية، في الوقت الذي سعى فيه اليسار، إلى توسيع دائرة مصلحة الدولة الوطنية عالمياً فوق أي اعتبار. فأهتم اليمين بسياسات الأحزاب وبرامجها وممارسات الدولة، في حين اهتم اليسار بقيام النقابات العمالية لتوسيع قاعدة الحرب الصناعية بين الدول، ليقف أصحاب العمل بوجه العمال. من هنا نستنتج أن الديموقراطية من ناحية، ومسيرة النقابات العمالية من ناحية أخرى هما شكل من أشكال تغيير الصراعات.

أطلق شاتشنايدر(٦١) (Schattschneder) على هذه الصراعات (بالصراعات السياسية التحتية) التي لاشك أنها ستوسع دائرة الصراع الدولي، فاليسار يؤيدون بقوة فكرة الصراعات الدولية والتي ترجع في أصولها إلى مفهوم الأممية الأولى التي جاء بها أولاً ماركس عام ١٨٦٢م، وحالياً تلجأ الدول الفقيرة إلى الأمم المتحدة في محاولة لتدويل مشكلاتها، ويحضرني مثال على قضية العراق مع الولايات المتحدة، إذ تصر العراق بضرورة البت من قبل هيئات الأمم المتحدة في كون العراق قد أوفى بالتزاماته تجاه فرق التفتيش الدولية التي أوقفها العراق منذ عام ١٩٩٧، ليعلن في شهر أيلول من عام ٢٠٠٢ عن تدويل مشكلته بدلاً من انفراد الولايات المتحدة الأمريكية بحل قضية العراق، وما زال العراق وهو محتل حتى الآن (آذار ٢٠٠٤) يحاول تدويل قضيته يؤيده كل العالم باستثناء الولايات المتحدة.

واليوم ونحن في بدايات القرن الواحد والعشرين تعد قضية العولمة الشغل الشاغل لشعوب الأرض، لأن رأس المال هو الذي يحكم العولمة (٦٢) وهو بأيدي الدول القوية اقتصادياً مثل الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وألمانيا والصين واليابان.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه، كيف استطاعت الدول القوية تضييق نطاق الصراعات الدولية في القرن العشرين، وما المؤسسات الرئيسية المؤثرة في ذلك؟

يحدد ولارشتاين أربع مؤسسات لها جل التأثير في الاقتصاد العالمي هي(٦٣):

١. **الدولة "states":** لأنها المسؤولة عن سن القوانين الاقتصادية.

٢. **الشعوب "People":** وقد يكون داخلها أقليات عرقية تسعى للاستقلال، كما هو في حركة التأميل الانفصالية عن سيريلانكا، والباسك في إسبانيا.

٣. **المؤسسية "Classes"**: بمعنى يقسم العالم إلى شرائح اقتصادية (طبقات) على أسس الإنتاج، ولما كان الإنتاج يتسم بالكونية، فإن الطبقات تصبح كونية.

٤. **العائلات "Households"**: وهي فئة تجمعها شراكة في نشاط مالي معين، تواجه عالماً يضمر لها العداء. فالعائدات (الشركات) هي الذرات المكونة للاقتصاد العالمي، واللبنة الأساسية للمؤسسات الأخرى.

هذه المؤسسات الأربع هي مكونات الرأسمالية، تتفاعل مع بعضها عبر قنوات اقتصادية وسياسية، همها الأكبر إنجاح مبدأ الرأسمالية العالمية.

وفي الوقت نفسه، نسأل، من الذي يحكم الدولة، وما درجة سيطرة الدولة على المؤسسات الرئيسية المؤثرة في داخل الدولة؟ الإجابة على السؤال يقودنا إلى تحديد تراتبيات القوة داخل المؤسسات الأربع وفيما بينها[٦٤].

من خلال دراسة وتحليل (جدول ٢) نجد أن النسبة المئوية للعضوات النساء في برلمان بعض دول العالم لعام ١٩٩٧ ضئيلة، والغلبة بها للرجال، ففي السويد تصل نسبة النساء في البرلمان نحو ٤٠%، تهبط إلى ١٢% في أمريكيا، وإلى نحو ١٠% في المملكة المتحدة وإلى نحو ٦% في الأردن وإلى ١% في اليمن وإلى صفر في الكويت، فهيمنة الرجال على غالبية برلمانات العالم واضحة. أما رئيسات الحكومات أو الدول يرجع الفضل في تبوئهن هذا المنصب إلى المكانة الخاصة لعوائلهن، مثل رئيسية الفلبين كورازون أكينو، أرملة زعيم سياسي، وبنظير بوتو، ابنة الرئيس الباكستاني ذو الفقار علي بوتو، أما الشخصيات السياسية النسوية مثل تاتشر فهي حالة لا يقاس عليها. بمعنى أن مراكز القوة في العالم هي بأيدي الرجال، فهم أصحاب القرار في الاقتصاد والسياسة.

الجدول (٢)

النسبة المئوية للعضوات النساء في برلمانات ٥٧ دولة، العام ١٩٩٧.

Percentage of Women members in world parliaments ١٩٩٧

البلـد	النسبة المئوية	البلـد	النسبة المئوية
السويد	٤٠	المكسيك	١٤
النرويج	٢٩	بولندا	١٣
فنلندا	٢٤	البرتغال	١٢
الدنمارك	٢٣	جامايكا	١٢
هولندا	٢١	أمريكا	١٢
نيوزيلندة	٢٩	جزر الرأس الأخضر	١١
جزر سيشل	٢٧	إيطاليا	١١
النمسا	٢٦	أنجولا	١٠
ألمانيا	٢٦	روسيا	١٠
الأرجنتين	٢٥	المملكة المتحدة	١٠
أيسلندا	٢٥	كرواتيا	٨
جنوب أفريقيا	٢٥	ماليزيا	٨
إسبانيا	٢٥	بنين	٧
إريتريا	٢١	البرازيل	٧
سويسرا	٢١	رومانيا	٧
جرينادا	٢٠	الأردن*	٦
كوريا الشمالية	٢٠	فرنسا	٦
لوكمسبرج	٢٠	اليونان	٦
فيتنام	١٩	اليابان	٥
كندا	١٨	هايتي	٤
ليتوانيا	١٨	أوكرانيا	٤
ناميبيا	١٨	كوريا الجنوبية	٣
تركمنستان	١٨	البارجواي	٣
تشاد	١٧	سنغافورة	٣
استراليا	١٦	بوتان	٢
سلوفاكيا	١٥	اليمن	١
التشيك	١٥	الكويت	صفر
زيمبابوي	١٥	تونجا	صفر
إيرلندا	١٤	سان لوسيا	صفر

المصدر: Peter and Colin .P ٢٩

* تم إضافة الأردن إلى الجدول، والرقم ٩% يمثل البرلمان الأردني عام ٢٠٠٣.

أما بالنسبة إلى القوة على مستوى الشعوب Power between peoples فإنه يوجد في عالمنا المعاصر تمايز مادي وسياسي بين الشعوب، وقد نتج هذا عن ثلاثة أنماط من "الشعب"- الأعراق، والأمم، والجماعات العرقية (٦٥).

ويلعب العرق دوراً أساسياً في عالمنا في تقسيم العمل، فالرجل الأبيض في نقاط المركز هو الذي يتحكم في شعوب الأطراف من الملونين، فالتفرقة العنصرية Apartheid أيديولوجية عنصرية ساهمت في إضفاء شرعية على التفرقة والتمييز على مدار تاريخ الاقتصاد العالمي.

أما مفهوم الأمة فقد ترسخت في دول العالم، ولعبت دوراً أساسياً في إدامة التفاوت وانعدام المساواة بين الدول، وقد ترسخت النزاعات القومية في القرن العشرين، حيث سادت فكرة الأمم والقوميات للتضحية في سبيل بلادهم.

وقد برز مفهوم الجماعات العرقية من خلال توزيع أنواع العمل في شكل تراتبي بحيث يصبح لكل جماعة عرقية (في الدولة) نطاق عمالة لصيق بها، مما أدى إلى البحث عن قومية مغايرة تستظل بها هذه الأقليات الصغيرة.

وللشعوب أهمية في تراتبيات القوة، بداية من المستوى العالمي إلى النطاق الإقليمي، حيث تمثل الشعوب مؤسسات تتناطح فيها الاتجاهات السياسية والاقتصادية في آن . وفي ظل العولمة تتزايد أصوات الشعوب كونها ثقافات متباينة تقاوم التجانس الثقافي الذي تنادي به العولمة.

أما القوة على مستوى الطبقات "power of class" فترتبط باسم كارل ماركس، الذي نبه إلى الصراع بين رأس المال والعمالة، فالبرجوازية تملك رأس المال ووسائل الإنتاج، تشتري قوة العامل، قوة البروليتاريا. أي تحكم البرجوازية في جهد البروليتاريا.

ويؤمن ولارشتاين بصراع الطبقات في منظومته عن الاقتصاد العالمي، إلا أن مفهومه عن الطبقات مختلف، فالعمال حسبما يرى ولارشتاين هي الأطراف التي تساهم في الإنتاج شاملة الإجراء والمنتجون بغير أجور، وهؤلاء وأولاء أطلق عليهم (المنتجون المباشرون). أي تضم البروليتاريا الفلاحين المنتجين، والنساء والأطفال الذين يعملون هم أيضاً.

ويتربع على إدارة دفة الإنتاج أصحاب رأس المال والصفوة الحاكمة وهم ليس شرطاً أن يكونوا من أصحاب رؤوس الأموال، فهم يتفقون بقوة فاعلة، ويدخل ضمن هذه الشريحة كبار موظفي الدولة الذين لهم صلة بأصحاب رؤوس الأموال خصوصاً مع أصحاب الشركات عابرة القارات، ويعرف هؤلاء وأولاء (بالبرجوازية الجديدة) للقرن الواحد والعشرين.

ويرى ولارشتاين أن تزايد ونمو وظائف أصحاب الياقات البيضاء على حساب تناقص أعداد أصحاب الياقات الزرقاء هو توسيع شريحة الطبقة الوسطى الواقعة بين البرجوازية والبروليتاريا، وهم بحق كوادر الاقتصاد العالمي الحديث، فهم تحولوا من مندوبين للشركات الرأسمالية في الأمس إلى رأس إدارة المؤسسات اليوم. وهذا مثال لبنية ولارشتاين ثلاثية الأطراف التي تسهل استقرار الاقتصاد العالمي، والتي تتعرض للتقويض بفعل العولمة المعاصرة [٦٦].

إن تعريف مفهوم الطبقات على أساس نمط أو أسلوب الإنتاج، ينتج عنه في ظل الاقتصاد العالمي طبقات عالمية النطاق أطلق عليها طبقات موضوعية.

وهكذا فالطبقات إما أن تكون على المستوى المحلي، وهنا يمكن وصف الطبقة بأنها ذاتية الهوية، وإما على المستوى العالمي، وهنا يمكن وصف الطبقة بأنها موضوعية، والفاعلة الحقيقة للرأسمالية وإدارة المؤسسات الدولية، لذا أصبح هناك توأمة بين الطبقة المحلية الذاتية والطبقة الموضوعية، وهذا ما نجده في الشركات متعددة الجنسيات، وفي الظل ينزوي العمال دون استراتيجيات فاعلة يواجهون بها أحايل هذه المؤسسات الرأسمالية، وهذا يجر الدولة إلى حلبة الصراع في عالم معولم. وهذا أمر يدخل في صلب الجغرافية السياسية للقرن الواحد والعشرين.

السياسة والدولة: (politics and the state)

إن جميع المؤسسات غير الرسمية في الدولة تملك نصيباً في سلطة الدولة ورسم سياستها، وكما هو معروف فإن دراسات الجغرافيا السياسية التقليدية تركز اهتمامها على الدولة، إلا أن هذه الأفكار أصبحت لا قيمة لها من منظور النظم العالمية [٦٧] لأن فاعلية مؤسسات الدولة فعلياً أقل بقليل مما يتصوره الجغرافيون السياسيون عن فعل المؤسسات غير الحكومية. لذا لن تكون الدولة عنصراً بالغ الأهمية في دراسات الجغرافيا السياسية في القرن الواحد والعشرين.

من دراساتنا عن الصراعات الدولية والقوة، ظل الوقوف على أسباب قوة الدولة يؤرق دارسي الجغرافيا السياسية. إذ إن قياس قوة الدولة لا يكون بالمسطرة والقلم. لذا يلجأ الجغرافي السياسي لمعرفة الخصائص الجغرافية للدولة والتي تنبئ بقوة هذه الدولة.

ومن طرق قياس حسابات قوة الدولة في الجغرافيا السياسية اتباع المعادلة الآتية:

حساب المحصلة عن قوة الدولة = حاصل تكعيب المنتج القومي الكلي للدولة مضروباً في الجذر التربيعي لعدد سكانها [٦٨]، هذه المعادلة تحمل في طياتها مغالطات، إذ إن العبرة في النتيجة تتأثر سلباً أو إيجاباً بقطاع الإنتاج والسكان وأيضاً بعوامل أخرى مساندة.

لذا يمكن حساب قوة الدولة بالطريقة الاستقرائية إلا أننا عندما ننظر إلى هزيمة الولايات المتحدة أمام الفيتناميين نتوقف عند أحكامنا على قوة الدولة، ولم تكن نتيجة الحرب في حسبان أحد قبل نشوب الحرب.

وعلى ذلك، فقد اقترح (موير، Muir) ليكون حساب قوة الدولة قريباً من الصحة والأخذ بالتقديرات الجغرافية بقوله "لا سبيل هناك لبلورة مقياس كامل نقيس به القوة". لذا فالأخذ بالتقديرات الجغرافية سبيل لحل هذا النقص الحاصل في تقديرات قوة الدولة. ويقترح (موير، Muir) خمسة معاملات تعيننا على حساب قوة الدولة هي [٦٩]:

١. مساحة الدولة.
٢. عدد سكانها.
٣. حجم إنتاجها من معدن الصلب.
٤. حجم جيشها.
٥. قوة غواصاتها النووية.

أمام هذه المعطيات نتساءل، لماذا خسرت الولايات المتحدة الحرب أمام الفيتناميين؟ ولماذا لم تنتصر بريطانيا في حربها مع أيسلندا في فترة السبعينات من القرن العشرين، فيما عرف باسم حرب الحيتان في شمال المحيط الأطلسي؟ لقد كان العالم يتوقع انتصار القوتين العظميين على القوتين الأصغر (فيتنام وأيسلندا). ولكن هذا لم يحدث. لذا فقوة الدولة تحمل في جوانبها عوامل أخرى وهذا أيضاً ما ينطبق على هزيمة الاتحاد السوفيتي سابقاً أمام الأفغان.

ولسنا في وضع يسمح لنا الآن بالتحدث عن هزيمة أو كسب الولايات المتحدة لحربها في أفغانستان والعراق فالعمليات العسكرية ما زالت مستمرة حتى الآن.

ويمكن أن يكون تقدير قوة الدولة باستخدام جوانب القوة الظاهرة والقوة الكامنة (الخفية) وعلاقة هذه بتلك في لعبة الأمم هو أقرب إلى الصحة من المقاييس الأخرى ونعني بمفهوم القوة الظاهرة هي: ما يلمسه الناس على ساحة القتال، أما الكامنة هي: تلك الملكة

ولسنا في وضع يسمح لنا الآن بالتحدث عن هزيمة أو كسب الولايات المتحدة لحربها في أفغانستان والعراق فالعمليات العسكرية ما زالت مستمرة حتى الآن.

ويمكن أن يكون تقدير قوة الدولة باستخدام جوانب القوة الظاهرة والقوة الكامنة (الخفية) وعلاقة هذه بتلك في لعبة الأمم هو أقرب إلى الصحة من المقاييس الأخرى ونعني بمفهوم القوة الظاهرة هي: ما يلمسه الناس على ساحة القتال، أما الكامنة هي: تلك الملكة الخفية الذكية التي بها يمكن لطرف ما أن يحقق أهدافه دون اللجوء إلى العنف، وتقودنا هذه الدراسة إلى أربعة أنماط من مفردات القوة، نمطان ظاهران ونمطان كامنان [٧٠].

إن أكثر أشكال علاقات القوة أهمية هو الشكل الهيكلي (Stuctural Position) وهو ينجم عن أداء الاقتصاد العالمي فمثلاً من خلال ملاحظة جغرافية لدولة البرازيل وسويسرا، تكون أغلب مؤشرات القوة اللحظية للبرازيل أكثر قوة من سويسرا. لأن البرازيل طبقاً لمقياس موير ذات مساحة وعدد سكان أكبر وأضخم من سويسرا، وهي أيضاً تعد أوفر إنتاجاً من الحديد والصلب، وعدداً أكبر في القوات المسلحة، ولكن المفاجأة أن الهيكل التراتيبي لمواقع الدول في الاقتصاد العالمي، فإن دولة سويسرا تعد دولة مركز، والبرازيل دولة شبه أطراف، وسويسرا تستغل البرازيل، وذلك لأن الاقتصاد العالمي مهيكل بطريقة تعطي الأفضلية لسويسرا على حساب البرازيل. وليس مطلوباً من سويسرا أن تبرز قوتها الظاهرة للعالم، فهي دولة ذات علاقات تجارية واسعة. فرجال البنوك السويسريون هم جزء من عائلة البنوك الدولية الفارضة للشروط على البرازيل لإعادة جدولة ديونها، وأيضاً نذكر أن الشركات التجارية السويسرية متعددة القوميات مثل شركات (نستلة)، تخدم في النهاية المساهمين السويسريين. فعلاقة كل من البرازيل وسويسرا بالسوق العالمية تظهر أن الغلبة لسويسرا، فالسويسريون ملتزمون بلعبة وقواعد الاقتصاد العالمي، وهم دولة ذات اقتصاد مبني على علاقات إنتاج (المركز)، ويملكون زمام المبادرة في العلاقة مع الدول التي لا تستطيع أن تتنافس اقتصادياً معهم، مثل دولة البرازيل أو غيرها [٧١]. وهذا ما ينطبق على أفغانستان وهولندا، فالأولى دولة أطراف والثانية دولة مركز.

تعد الدولة مهيمنة في حالة إمساكها بأغلبية الإمكانات الاقتصادية للاقتصاد العالمي. وهذا ما حققته الولايات المتحدة في القرن الماضي (القرن الأمريكي) لما

تمتعت به من قوة اقتصادية وقوة عسكرية وكفاءة في الإنتاج الاقتصادي، وسيطرة على حركة التجارة العالمية، ولتبوؤها المرتبة الأولى في الإيرادات أمنت لها السيطرة المالية على الاقتصاد العالمي ما ذكر، هي صفات تتطلبها الدولة لتصبح دولة قوية، أما على صعيد القوة تقوم الدولة القوية بإظهار قوتها العسكرية المبنية على قوتها الاقتصادية من خلال فرض أجندة عمل لدول أخرى(٧٢).

أي أنها تظهر وتلمح أنها الدولة قائدة العالم الذي تتبعه الدول الأخرى (٧٣). فالولايات المتحدة تعبر في بداية القرن الواحد والعشرين عن قوتها المهيمنة اقتصادياً وعسكرياً بغرض ما تراه مناسباً من ضرائب على تجارتها الدولية في الحديد والصلب، وعسكرياً ما فعلته في أفغانستان والعراق وما أطلقته على كوريا الشمالية وإيران والعراق "محور الشر". وعبرت عن قوتها أيضاً بالترويج والإدعاء لحرية التجارة والديمقراطية وحقوق الإنسان. والعولمة لما تعنيه من ذروة التعبيرات عن القوة الأمريكية. بل تعدت ذلك لقيامها في عام ٢٠٠٤ بالعمل الجدي تغير المعتقدات الدينية لدى شعوب الشرق الأوسط عن طريق إجبار الحكومات الشرق أوسطية بتغير المناهج إذ طرحت الولايات المتحدة في شهر آذار ٢٠٠٤ ما يسمى الشرق الأوسط الكبير، تضمن الطرح إجبار هذه الحكومات على السير في الطريق الذي ترسمه الولايات المتحدة لهذه الدول. وبالمقابل عقدت الجامعة العربية في ٢٠٠٤/٣/١ اجتماعاً تمخض عنه تصريح باسم الجامعة العربية من أن التغير يجب أن يأتي من شعوب المنطقة وليس بإملاء من الولايات المتحدة.

إن أقوى أشكال القوة المستترة ما اصطلح عليه "صنع القرار" Non- decision -Non Making"، إذ ورد هذا المصطلح في دراسته للديمقراطية الأمريكية، إذ يعتقد أن "كل تنظيم هو انحياز"، بمعنى أن الصراعات السياسية تعبير خفي عن المصالح. أما الصراعات الأخرى فيتم تمثيلها خارج نطاق الأجندة السياسية لكي لا تصبح سبباً لأي علاقات قوة معلنة (٧٤).

وقد تمثلت دراسات شانشنايدر وفيما بعد باشراش وباراتز(٧٥) Bachrch & Baratz بدراسة الموضوعات التي تعرف باسم صنع اللاقرار في المجتمعات الحضرية، إذ أن دراسة العملية المعلنة لصنع القرار ينطوي على تناسي وضع أجندة تتوخى حدوث ما تم وما لم يتم أخذه بعين الاعتبار، هذه الأفعال مناورة لتمرير القرارات عبر وجهات نظر معينة للحفاظ على الوضع القائم، والقوة هنا

مستترة. من حيث إن القرارات في الموضوعات غير المدرجة في الأجندة ليس هناك من موجب لاتخاذها. ومن هنا تفسر "صنع القرار". وهذه الأفكار من الضروري أخذها بالاعتبار على طريق فهم قوة "الوضع القائم" Statusquo في الاقتصاد العالمي.

وبعد أفول عصر الاستعمار، جرت محاولات جدية لتغيير أجندة السياسة العالمية في الأمم المتحدة بعد دخول وإحراز أغلبية "عالم ثالثية" في الجمعية العامة للأمم المتحدة.

وعلى الرغم من الكلام المعسول في مؤتمرات الأمم المتحدة والتنمية، وحالة الاقتصاد العالمي، ومؤتمر كانكون للحوار بين الشمال والجنوب عن ضرورة تنمية الدول الفقيرة إلا أن أجندة العالم السياسة لم تتغير حيث إن الحوار بين الشمال والجنوب لا يحكم العلاقات الدولية كما هو الصراع بين الشرق والغرب في النصف الثاني من القرن العشرين، فالأجندة السياسية لم تتأثر بآراء مفكري تفعيل الأمم المتحدة أو بمطالبات الدول الفقيرة بالمساعدات الاقتصادية، بل حذفت الدول الكبرى من فترة الحرب الباردة ١٩٤٦-١٩٨٩ فكرة حل التفاوتات المادية بين شعوب الكرة الأرضية من الأجندة الرئيسية لها. وذلك نوع من صنع القرار بالنظر إلى أنه يترك الوضع القائم كما هو دون أن يطوله المسار الرئيسي للسياسة العالمية. إلا أنه وبعد انتهاء الحرب الباردة عام ١٩٨٩ لم يحل محل هذه الأفكار والممارسات محلها بديلها على الصعيد الجغرافي السياسي، كالحوار بين الجنوب والشمال، بل أخرجت هذه الأفكار لتحل محلها العولمة التي أغفلت ممارساتها السياسية الهدف السياسي المتعلق بالتنمية الاقتصادية للعالم النامي [٧٦]. بالإضافة إلى بروز ما يسمى بالجغرافيا السياسية "الضربات الوقائية"، فالولايات المتحدة تضرب الآن أي دولة بالقوة العسكرية لمجرد الشك بأنها قد تعارض سياستها الدولية.

القوة الفعلية والقوة الكامنة: (Actual and Latent Force)

القوة المعلنة هي التي تفصح عن نفسها في العلاقات السياسية أثناء الحرب، ونتيجة الحرب تكون من نصيب الأقوى عسكرياً واقتصادياً، ويحقق بذلك مصالحه التي تبناها، ومن الأمثلة على ذلك انتصار الشمال القوى على الجنوب الضعيف في الحرب الأهلية الأمريكية. وأيضاً انتصار الحلفاء في الحرب الثانية على المحور،

حيث مثل الحلفاء الطرف الأقوى في الحرب، وقد بلغ عدد الحروب ما بين ١٨١٦-١٩٨٠ نحو ٣٥٩ حرباً، منها ٢٠٩ حروب بين الدول وحروباً إمبرالية، و ١٥٠ حرباً أهلية شهدها العالم خلال ١٦٤ عاماً [٧٧].

يسبق إعلان الحرب بين دولتين مفاوضات دبلوماسية، تستند على قوى الدولة، فمثلاً استندت الولايات المحتدة في مفاوضاتها مع الاتحاد السوفيتي -سابقاً- وكوبا إبان أزمة الصواريخ الكوبية عام ١٩٦٢ على قوتها. فيما أطلق عليه ديبلوماسية الزوارق الحربية Gunboat diplomacy، وسياسة حافة الهاوية.

وقد ذكر بلشمان Belchman وكابلان Kaplan [٧٨] حادثة وقعت ما بين ١٩٤٥-١٩٧٦ انتهجت فيها الدبلوماسية من قبل الولايات المتحدة لحل مشكلات مع دول أخرى دون اللجوء إلى الحرب العسكرية، فمثلاً في عام ١٩٤٦ تحركت حاملة الطائرات الأمريكية ميسوري لمساندة تركيا تعبيراً عن وقوف الولايات المتحدة معها ضد تحرش الاتحاد السوفيتي بتركيا مطالبة بأجزاء من أراضيها. وقد عبر عن ذلك (بلشمان و كابلان) بقولهما: "إن الرسالة التي ينطوي عليها هذا الحدث كانت جلية للعيان، لقد نبهت واشنطن باستعراضها هذا الاتحاد السوفيتي والقوى الأخرى أن الولايات المتحدة قوة عسكرية عظمى".

ومن الجدير بالذكر أن الولايات المتحدة استخدمت قوتها الكامنة لتحقيق مصالحها دون اللجوء إلى الحرب في ثمان مرات ويوضح (جدول ٣) ٣٦٦ حالة من حالات القوى الكامنة عند الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي -سابقاً- في الفترة الواقعة ما بين ١٩٤٦-١٩٧٥.

وعند تناول (جدول ٣) بالدراسة والتحليل نصل إلى ما يلي:

١. أن الفترة الزمنية الواقعة بين ١٩٤٦-١٩٧٥ قد قسمت إلى أربعة حقب، الأولى من ١٩٤٦-١٩٤٨، والثانية من ١٩٤٩-١٩٥٥، والثالثة من ١٩٥٦-١٩٦٥ والرابعة من ١٩٦٦-١٩٧٥.

جدول (٣)

استخدامات القوة الكامنة ما بين ١٩٤٦-١٩٧٥

٣٩٩ examples of latent

forces: U.S.A and USSR armed forces aused as political instruments ١٩٤٦-١٩٧٥.

الساحة	الفتــرات الزمنيــة							
	١٩٤٦-١٩٤٨		١٩٤٩ - ١٩٥٥		١٩٥٦ - ١٩٦٥		١٩٦٦ - ١٩٧٥	
	الولايات المتحدة	الاتحاد السوفيتي	الولايات المتحدة	الاتحاد السوفيتي	الولايات المتحدة	الاتحاد السوفيتي	الولايات المتحدة	الاتحاد السوفيتي
أوروبــا/ البحــر المتوسط	١٥	١٠	٦	٢٤	١٣	١٢	٥	٢٣
الشرق الأوسـط/ شمال أفريقيا	٢	٢	٢	٢	١٨	٥	١٥	٢٣
جنوب آسيا	صفر	صفر	صفر	صفر	٢	صفر	١	٢
جنوب شرق آسيا	صفر	صفر	٤	صفر	٢٦	٥	١٢	١
شرق آسيا	١	٦	٨	٥	٧	٢	٥	٦
أفريقيا جنوب	صفر	صفر	١	صفر	٨	٢	١	٦
الصحراء	٢	صفر	٢	صفر	٢٥	٢	٦	٢
الكاريبي	٢	صفر	صفر	صفر	٩	صفر	صفر	صفر
المجموع	٢٤	١٨	٢٤	٢١	١١٨	٤٢	٤٥	٦٤

المصدر: peter and Colin. ٣٧

٢. كان اهتمام الولايات المتحدة منصباً في الحقبة الأولى على المشكلات الأوروبية. أما في الحقبة الثانية فقد انتقل اهتمام الولايات المتحدة إلى دول شرق آسيا. وفي الحقبة الثالثة إلى دول أمريكيا الوسطى والبحر الكاريبي وجنوب شرق آسيا. وفي الحقبة الرابعة تورطت الولايات المتحدة في شؤون الشرق الأوسط وشمال أفريقيا وجنوب شرق آسيا.

٣. من أهم الأحداث الدولية التي واجهت القوتين العظميين في الفترة المشار إليها، كانت أزمة برلين في الحقبة الأولى، وحرب الكوريتين في الحقبة الثانية، وأزمة الصواريخ الكوبية في الحقبة الثالثة، وحرب فيتنام في الحقبتين الثالثة

والرابعة. ولم يتم اللجوء إلى القوة في هذه المشكلات إلا في الحرب الفيتنامية والحرب الكورية وحديثاً غزو الولايات المتحدة للعراق عسكرياً والذي مازال مستمراً حتى الآن (شباط ٢٠٠٤).

٤. استعراض الاتحاد السوفيتي -سابقاً- كقوة عظمى قوته الكامنة في المشكلات السياسية العالمية، ووقف للولايات المتحدة الند للند كما حدث في الحرب الكورية والفيتنامية، وإلى حد ما في مشكلة العراق وفلسطين عام ٢٠٠٢م.

إلا أن الولايات المتحدة لم تلتفت فعلياً في سياستها تجاه فلسطين والعراق إلى أي من الدول الكبرى العالمية مثل فرنسا أو روسيا أو ألمانيا أو الصين، فهي دولة مارقة على كل القوانين الدولية تجاه تلك المشكلتين (فلسطين والعراق).

لكل دولة في العالم مفرداتها التي تتمتع فيها من قوة power . وتبدو قوة الدولة انعكاس لمقدرتها على ممارسة أنشطتها المختلفة، وهذا ما يضعها كدولة مركز أو شبة الأطراف أو الأطراف. وإذا آمنا بأن فرص نجاح الدولة يبنى على قوتها العلنية؛ لكانت النتيجة أن دول المركز تتمتع بفرص النجاح المؤكد أولاً، يليها ثانياً أشباه الأطراف، ثم تأتي دول الأطراف في المرتبة الثالثة والأخيرة. ولكن ليس هذا هو الحال، لأن للقوة الخفية دورها الفاعل في كسب الدولة للحرب أو للانتصار على خصومها.

وعلى ذلك، فإن دول المركز تتبع في سياستها الأسلوب الليبرالي حيث إن قوتها مبنية في المقام الأول على قوتها الاقتصادية، كما هو في بريطانيا والولايات المتحدة، فهي دول ليبرالية المذهب، التي تسمى بدول السيادة.

ويلاحظ بوجه عام أن دول أشباه الأطراف تتجه أنظمة الحكم فيها إلى السلطوية، مثل دول الانقلابات العسكرية في أمريكيا الجنوبية، والدول الشيوعية قبل تفكك الاتحاد السوفيتي عام ١٩٨٩/١٩٩٠ ودول الشرق الأوسط هذه الدول تخفي تحت ردائها بؤساً اقتصادياً. فمثلاً الاتحاد السوفيتي قبل تفككه كان في ذيل قائمة دول العالم الثالث رغم امتلاكه ترسانة نووية، هذه الترسانة لم تشفع له من التفكك ولا الفقر ولا الترهل. وفي النهاية اعتبر الاتحاد السوفيتي -سابقاً- دولة شبة أطراف [٨٠].

أما دول الأطراف فهي تمثل أكثر الدول ضعفاً، فعندما بدأ النظام الاقتصادي العالمي يتشكل كانت هذه الدول تحت وطأة الاستعمار، وبعد تحررها انزلقت تحت صيغة جديدة من الاستعمار أو التبعية الاقتصادية بما يمكن أن نطلق عليه "الإمبريالية المقنعة" أو الاستعمار الحديث. وفي دول الأطراف ينتفي الأمن، وتسود الانقلابات العسكرية، والقمع. وما تقوم به هذه الدول من عرض لقوتها العسكرية إلا ذر الرماد في العيون كونها تفتقر إلى أي قوة فاعلة في الاقتصاد العالمي [٨١]. كما هو الحال في دول الشرق الأوسط ووسط آسيا وبعض دول أمريكيا الجنوبية.

إن التعقيد لمفهوم القوة والمتمثل بالقوة السياسية والعسكرية، لا يلغى دور القوة الاقتصادية. فمثلاً كل من اليابان وألمانيا حققنا نجاحاً باهراً في الاقتصاد، فقد أفادتا من هزيمتها في الحرب الثانية، فبعد أن حرمتا من بناء قوتهما العسكرية، تمكننا من توجيه مواردهما لبناء اقتصاد قوي.

إلا أن الوقوف على أسباب قوة الدولة ما زال يتطلب منا الدراسة والبحث، فما زلنا حيارى في تفسير عدم ربح كل من الولايات المتحدة وبريطانيا في حربهما في فيتنام وأيسلندا على التوالي. وللإجابة على السؤال نقول: إن الجغرافيا السياسية تدعو لفهم النشاط السياسي الخارجي للدولة، والنشاط السياسي الداخلي للدولة، فهما يشكلان مجالين غير مستقلين. ففي حرب الحيتان بين بريطانيا وأيسلندا، كانت الحرب بالنسبة للأيسلنديين مسألة مصيرية والشغل الشاغل للسياسة الخارجية، بينما لم تكن بالنسبة لبريطانيا من أولويات السياسة الخارجية لأنها ببساطة لا تقرر المصير البريطاني، ولدى بريطانيا أولويات وقضايا أخرى على الساحة العالمية.

أما بالنسبة إلى الحرب الأمريكية الفيتنامية، ففي فيتنام نجحت حركة تحرير فيتنام في حشد الفيتناميين داخلياً ضد الأمريكيين، فوجدت الولايات المتحدة نفسها أمام عدو مترابط داخلياً، يحارب بأسلوب العصابات، وذات طبيعة جغرافية غابية، بالإضافة إلى أن الولايات المتحدة قد وجدت نفسها أمام حرب قذرة ينبذها العالم، وتعاطف معها بعض شرائح المجتمع الأمريكي. هذه العناصر الخفية في القوة الكامنة وهي دول أشباه الأطراف أعطتها الفرصة للانتصار عسكرياً على الولايات المتحدة الأمريكية.

إلا أن الواقع الاقتصادي يفرض نفسه على ساحة المعركة ويقرر من المنتصر في تلك الحرب، ففيتنام على الساحة الاقتصادية دولة من دول أشباه الأطراف،

ترزح تحت عبء الديون، ووجدت نفسها بعد انتهاء الحرب مدمرة البنية التحتية، وجاءت الحرب لتجر عليها خراباً مدمراً، فانتصارهم بالحرب كان مسرحية انتهت بحالة فقر مدقع. وبالمقابل فإن معدلات النمو الاقتصادي في الولايات المتحدة تستمر في النمو والازدهار [٨٢].

منظور جغرافي سياسي للاقتصاد العالمي:

هناك طريقتان تدخل بهما الجغرافيا في علاقات القوة، الأولى أن المكان هو ميدان للصراع، والتالية أن هناك "هندسة قوة" أو شبكة من الروابط في أي مكان تؤثر على القوة، وهذه الروابط عالمية في انتشارها، وكأن العولمة هنا دمج الناس مع المكان، لذا فالعولمة تتسم بطابع التفاوت في جغرافيتها [٨٣].

فمثلاً أثر الضغط الزماني والمكاني للاتصالات -وخصوصاً الخلوي- على رجال الأعمال والعاملين بحركة الطيران والمكاتب السياحية، بينما لم يكن له أثر مباشر في حياة النساء الأفريقيات العاملات في الجمع والالتقاط والزراعة البدائية بقصد سد العوز، بمعنى هناك تفاوت في نسبة أهمية العولمة وهضمها وحاجتها وفهمها، وللمكان أهمية بما نطلق عليه "الإحساس التقدمي بالمكان" وحسب مفهوم هندسة القوة، ترتبط الأماكن بروابط اقتصادية وروابط ثقافية نابعة من أصول جغرافية لأجزاء المجتمع.

إلا إن المكان لا يفهم من خلال النظر إلى قيمته أو علاقاته الداخلية، فالعلاقات الخارجية للمكان مهمة، وترتبط مع نطاقات جغرافية أخرى، وتلك هي نقطة البدائية للجغرافيا السياسية [٨٤].

تأسيساً على ما سبق فإن الاقتصاد العالمي من منظور الجغرافيا السياسية منطلق لفهم ودراسة شبكة العلاقات الدولية [٨٥] المستترة والظاهرة.

نهايــة العولمــة:

يرى هاورلد جيمس في كتابه نهايـة العولمـة the End of Globlizataion الـذي صـدر قبل أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ أن مشروع العولمة سـيفقد بريقـه وينهـار لعـدم مقـدرة الـدول الأوروبية على التجديد، واستبعاد دول الجنوب الفقيرة من مكاسب العولمة، والنفوذ السـياسي للفئات الخاسرة في دول الشـمال مـن العولمـة وهـي الأيـدي العاملـة غـير المـاهرة[٨٦] وبفعـل تطلعات الولايات المتحدة الأمريكية لإملاء شروطها على جميع دول العالم وبالقوة العسكرية، ولاقتناع معظم دول وشعوب العـالم بـأن العولمـة لا تخـدم مصـالح البشر ـية، بـل تهـدف إلى هيمنـة الولايـات المتحـدة عـلى العـالم اقتصـادياً وسياسـياً. فلـم تعـد الولايـات المتحـدة تأبـه باتفاقيات تحرير التجارة أو بأحكام القانون الدولي ولا بالشرعية الدوليـة. فأسـاطير السياسـة الخارجية في واشنطن تخطط لأن يكون الواحد والعشرين قرن الإمبراطورية الأمريكية وإحيـاء الاستعمار وتصدير الحضارة الأمريكية على العالم اجمع.

تأسيساً على ما سبق فإن العولمة مشروع أمريكي يرمي للعودة لعصر الاستعمار واحـتلال مناطق تواجد البترول في العالم. كما هـو الحـال في قيـام الولايـات المتحـدة بـاحتلال عسـكري لمناطق النفط في حوض بحر قزوين واحتلال العراق وبالإضافة إلى السيطرة التامة على الـنفط في شبة الجزيرة العربية.

مراجع الفصــل الأول:

١- محمد مـرسي الحريـري (١٩٩٣)، دراسـات الجغرافيـا السياسـية، دار المعرفـة الجامعيـة، الإسكندرية، ص ٣.

٢- Freeman T.W (١٩٦١) , A Hundred years of Geography , Duk Worth, London, p ٢٠٥.

٣- عبـد الله عطـوي (١٩٩٤)، الدولـة والمشـكلات الدوليـة -دراسـة في الجغرافيـا السياسـية، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ص ١٦.

٤. محمد مرسي الحريري، مرجع سابق، ص ١٤.

٥- عـلي عبـدالله الجبـاوي (١٩٩٠)، الجغرافيـة السياسـية (الجيوغراسـيا)، مطبعـة جامعـة دمشق، ص٥.

٦- المرجع السابق، ص ٤.

٧- محمد محمود الديب (١٩٧٨)، الجغرافيا السياسية أسـاس وتطبيقـات، مطبعـة الأنجلـو المصرية، القاهرة، ص ٢٤.

٨- Moodie, A.E ,L "Geography behind politic", London, P.V.

٩- محمد حجازي محمد (٩٨-١٩٩٩)، الجغرافيا السياسية، ص ٨.

١٠- Saure, Carl Q , (١٩٢٧) "Recent Developments in Cultural Geography" in Charles A, Ellwood (ed t.), Recent Development in Social Sciences , philadephia: J.B.Lippincott &CO. PP. ٢٠٧-٢٠٩.

١١- حسين حمزة بندقجي (١٩٧٤)، الدولة: دراسة تحليلية في مبـادئ الجغرافيـا السياسـية، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة، الجزء الأول، ص ١٣-١٤.

١٢- أمين محمود عبد الله (١٩٩٨)، أصول الجغرافيا السياسية، أسيوط، ص ٨-٩.

١٣- Alfred A(١٩٦٨) , Knoff Orangskl, World politics, New York , ٢nd edition, pp. ٣٢٥-٣٢٧.

١٤- إسـماعيل صـبري مقلـد (١٩٧١)، العلاقـات السياسـية الدوليـة- دراسـة في الأصـول والنظريات، جامعة الكويت، ص ١٢٤.

١٥- عبد المنعم عبد الوهاب (١٩٨٩)، الجغرافيا السياسية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل، ص ١٠.
- قاسم دويكان (٢٠٠٢)، الجغرافيا السياسية، ط١، الأردن، ص ٢٧-٣٦.
١٧- محمد مرسي الحريري، مرجع سابق، ص ١٨.
١٨- محمد محمود الديب، مرجع سابق،ص ٣٠-٣٢.
١٩- عاطف علبي (١٩٨٩)، الجغرافيا الاقتصادية والسياسية والسكانية والجيوبوليتيكية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر - بيروت، ص ٢٠٧-٢٠٨.
٢٠. Freeman , T.,W. (١٩٦١) op. Cit. PP.٢٠٥-٢٠٦.
٢١- عاطف علبي، مرجع سابق، ص ٢٠٧-٢٠٨.
٢٢- Lewis, A (١٩٦٤), world political patterns, MC. Nally, Chicago, P.٦.
٢٣- عبدالله عطوي، مرجع سابق، ص ٣٧.
٢٤- محمد عبد الغني السعودي (١٩٦٨)، الجغرافيا والمشكلات الدولية، دار النهضة العربية- بيروت، ص ٩-١٠.
٢٥- المرجع السابق، ص ١٠-١١.
٢٦- محمد مرسي الحريري، مرجع سابق، ص ١٩-٢٠.
٢٧- محمد أزهر السماك (١٩٩٣)، الجغرافيا السياسية الحديثة، دار الكتب للطباعة والنشر - الموصل، ص ٣٢.
٢٨- المرجع السابق، ص ٣٣.
٢٩- محمد علي عمر الفرا (١٩٨٠)، علم الجغرافيا، بحث رقم ٢٢، منشورات قسم الجغرافيا بجامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية، اكتوبر، ص ٨-٢٠.
٣٠- أمين محمود عبد الله، أصول الجغرافية السياسية، مرجع سابق، ص ٢١.
٣١- علي عبدالله الجباوي، مرجع سابقن ص ٦٠.
٣٢- المرجع السابق، ص ٦١-٦٣.
٣٣- تقرير التنمية البشرية عام ١٩٩٦.
٣٤- peter .J. Taylor and Colin flint , (٢٠٠٠) , political Geography world - Economy. Nation- State and Locality, Pearson Enducation, England, Fourth Edition, PP.٢-٤.

٣٥- Mackinder, H,J (١٩٠٤), "the geographical pivot of history", Geographical Journal ٢٣: ٤٢١-٤٢. P . ٢٢.
٣٦- Peter and Colin . Op. Cit. PP. ٤-٦
٣٧- Op. Cit. PP.٧-٢٣.
٣٨- Taylor, P,J. (١٩٩٨) Modernities: A Geohistorical Interpretation Polity press. Cambridge, UK.
٣٩- Peter and Colin, OP. Cit. PP. ٦-٧.
٤٠- Holm, H. and Sorenson, G. (١٩٩٥), whse world ordet? Uneven Clobahzation and the End of the cold war . westviea press: Boulder, Co.
٤١- Taylor, P.J. (١٩٨٢), Materialist Frameword for political geograph, Transactiond, Institute of British Geographer NS ٧: PP. ١٦-٣٠.
٤٢- هانس وآخرون، (١٩٩٦) فخ العولمة ترجمة: عدنان عباس، عالم المعرفة، العدد ٢٩٥، الترجمة عام ٢٠٠٣، ص ٧-٣١.
٤٣- Wallerstein, I . (١٩٩١), Unthinking social science. Polity press: Cambridge.
٤٤- OP. Cit.
٤٥- OP. Cit
٤٦- Peter and Colin .PP ٧.
٤٧- Op. Cit. PP. ١٠-٢٠.
٤٨- Wallerstein , I. (١٩٧٤) The Modern world System Capitalist Agriculture and the Origins of the European world - Economy in the sixteenth Century, press: New York. P ١٢٤.
٤٩- Peter and Colin , op. Cit PP. ٧-٨
٥٠- Taylor. P. J.(١٩٨٩), The World - Systems Project in R.J. Johnston and P.J Taylor (eds) world in crisis? Black well: Oxford.
٥١- Peter and Colin .PP, p.١٠
٥٢- Op. Cit. P.١١
٥٣- Op. Cit. P. ١٢

٥٤- هانس، مصدر سابق، ص ٣٢.

٥٥- محمد محمود الديب (١٩٩٥)، الجغرافيا السياسية- منظور معاصر، مكتبة الانجلو المصرية، ص ٧١٧-٧١٩.

٥٦- Peter and Colin. OP. Cit. P ١٧

٥٧- Wallerstein, (١٩٧٤). OP. C.T. P .١٢٠-١٨٠

٥٨- Zolberg. A.R.(١٩٨١) Origins of the Modern World System: a missing Link, world politics ٣٣. PP. ٢٥٥-٢٨٠.

٥٩- Chase - Dunn, C.K (١٩٨٩), Global formation Blackwell Oxford.

٦٠- Chase - Dunn. C.K. (١٩٨٢) "Socialist states in the capitalist world - economy" in C.K. chase -Dunn (ed.) Susialist states in the world - system Sage . Beverly Hills, C A. P٢٥.

٦١- Schattschnder, E.E. (١٩٦٠) the Semi - Sovereign people Dryden: Hinsdale, Illinois.

٦٢- Marshall, H.P . and Schumann, H, (١٩٩٧) the Global Trap , Zed Books , London, PP. ٦-٧.

٦٣- Wallerstein .I. (١٩٨٤) The politics of the world - Economy, Cambridge University press: Cambridge University press: Cambridge, UK.

٦٤- Peter and Colin , Cit. P. ٢٦.

٦٥- Op. Cit. PP. ٢٧-٢٨

٦٦- Op. Cit. PP. ٢٩-٣٠

٦٧- Op. Cit. PP. ٣١-٣٣

٦٨- Muir, R. (١٩٨١) Modern Political Geography (٢nd edition) Macmillan, London, P. ١٤٩.

٦٩- Op. Cit. PP. ١٤٩-١٥٠

٧٠- Peter and Colin . OP. Cit. P. ٣٣

٧١- Op. Cit. P ٣٤

٧٢- Arrighi , G. (١٩٩٠), the three hegemonies of historical capitalism, Review XIII.

٧٣- Taylor P.J.(١٩٩٦) the way the modern world works, world Hegemony to world Impasse, wiley: Chichester. U.K.

٧٤- Peter and Colin . OP. Cit. P ٣٥

٧٥- Bachrach, P. and Baratz, M. (١٩٦٢) Two face of power, American Political Science Review - ٥٦.

٧٦- Peter and Colin . OP. Cit. P. ٣٥

٧٧- Op. Cit. P ٣٦

٧٨- Blechman, B.M. and Kapklan, S.S (١٩٧٨), force without war . U.S Armed forces as apolitical Instrument Brookings Institute: Washington. DC.P ١٢٥.

٧٩- Op. Cit. P ٢

٨٠- Peter and Colin . OP. Cit. P. ٣٨

٨١- Op. Cit. P ٣٨

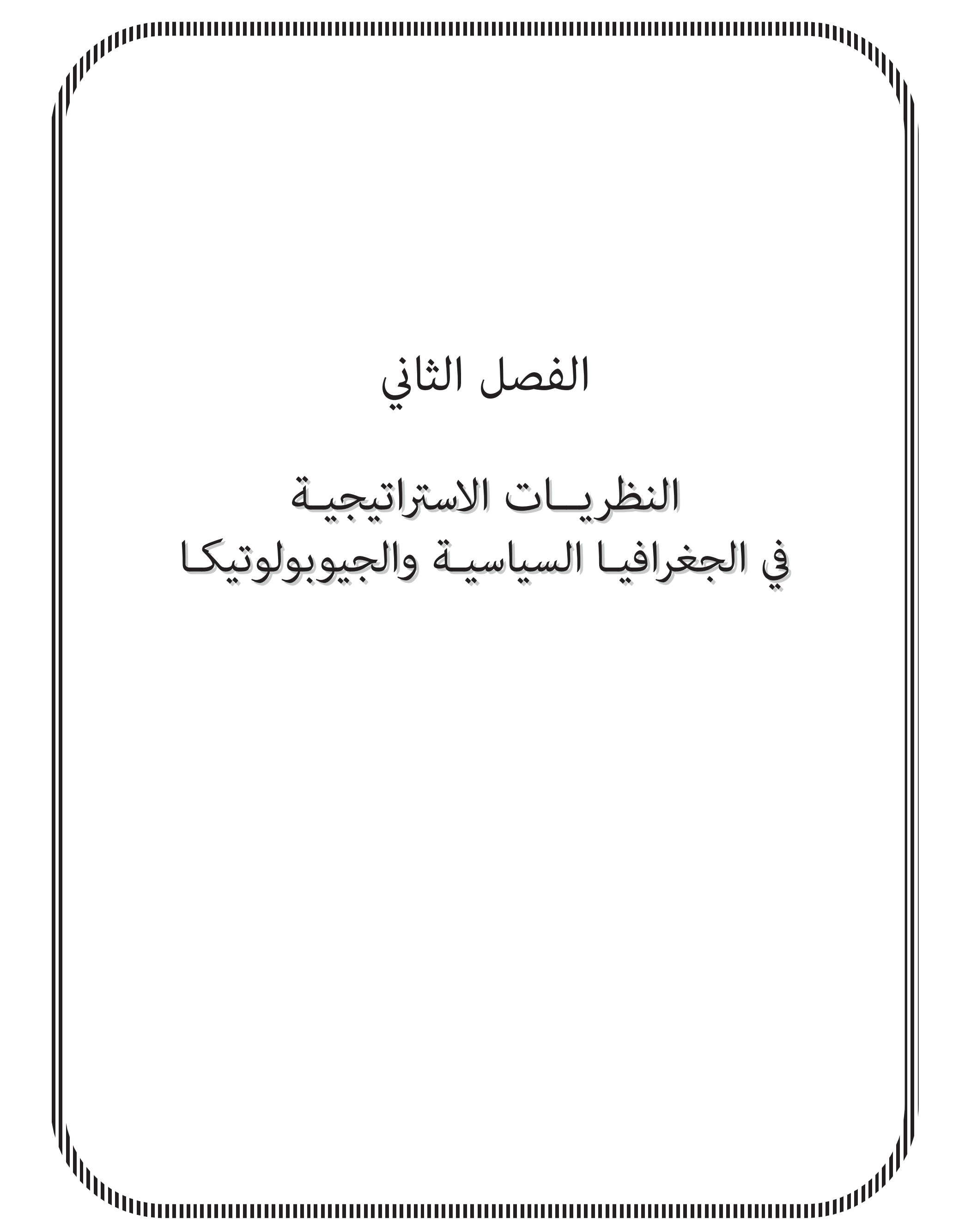
٨٢- Op. Cit. P ٣٨

٨٣- Op. Cit. P ٣٩

٨٤- Op. Cit. P ٣٩

٨٥- Flint, C. and Shelley, F.M. (١٩٩٦) Structure agency and context: the contributions of geography to world system analysis. Sociological Inquiry ٦٦.PP ٤٩٦-٥٠٨.

٨٦- هانس وهارالدشومان، فخ العولمة، ترجمة عدنان عباس علي، مراجعة رمـزي زكي، عـالم المعرفة، أغسطس ٢٠٠٣، ص ٣٣-٣٤.



الفصل الثاني

النظريــات الاستراتيجيـة
في الجغرافيـا السياسيـة والجيوبولوتيكـا

من خلال تناول علماء الجغرافيا السياسية للجيوبولوتيكا منذ الحرب العالمية الثانية نلمس تقلب هذا العلم بين أفول وازدهار. وكانت الجيوبولوتيكا ما بين ١٩٤٥-٢٠٠١ مستبعدة كخطاب أكاديمي، نتج عنه حرمان الجغرافيا السياسية من كتابات وأفكار علماء مثل: فردريش راتزل الألماني. والسير هالفورد ماكيندر البريطاني، وأشعيا بومان الأمريكي. هذا النفور من الجيوبولوتيكا من قبل علماء الجغرافيا السياسية مرجعه المدرسة الجيوبولوتيكا الألمانية في الثلاثينات من القرن العشرين وما جاءت به من أفكار محرجة للجغرافيا السياسية، لما تحتويه من عدوانية واحتلال أراضي الغير.

وقد تمسك بعض علماء الجغرافيا السياسية مثل سول كوهن بضرورة عدم إهمال الجيوبولوتيكا من قبل علماء الجغرافيا السياسية. وذلك لإقتناعه بأن الجيوبولوتيكا لها أهميتها، واستحالة تنحيتها جانباً.

وقد اتخذ إحياء الجيوبولوتيكا ثلاث صيغ مختلفة: شيوع هذا المصطلح في المنافسات الدولية، ويعزو هبل هذا الشيوع إلى استخدام هذا المصطلح على لسان هنري كيسنجر.

وأصبح علم الجيوبولوتيكا يمثل الانطباع العام لدى السياسيين في تعاملهم الإعلامي للهيمنة على العالم في ظل تدهور قوة وهيبة الولايات المتحدة الأمريكية خصوصاً بعد ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١. وقد قبل الشعب الأمريكي مصطلح الجيوبولوتيكا، وأفرخ المصطلح توأماً هو "الجيو- إيكونوميكس" أي تبديل الولايات المتحدة أولوياتها في الخمسين سنة الماضية، بتقديم الاقتصاد إلى موقع الصدارة في ظل العولمة.

إذاً برز علم الجيوبولوتيكا (الطفل غير الشرعي للجغرافيا السياسية) من جديد لدى علماء الجغرافيا السياسية. من هنا كان الشكل الثاني الذي اتخذته عملية الإحياء شكلاً أكاديمياً. حيث يمكن تصنيف أربعة اتجاهات بحثية متشابكة هي[1]:

١- الدراسات السابقة في الجغرافية التاريخية الداعية للمراجعة للجيوبولوتيكا، وذلك لتطوير جيوبولوتيكا الجغرافيين الجدد، وتقييم بعض من كتب في الجيوبولوتيكا مثل بومان، والجيوبولوتيكا الألمانية.

٢- معظم بحوث ودراسات الجغرافيين السياسيين كانت تتناول موضوعات تقليدية في العلاقات الدولية مثل دراسات (نيجمان Nijman) في الجغرافيا الديناميكية للحرب الباردة بين الدولتين العظميين.

في حين درس (جرانت وقنيو Grant and Agnew) جغرافيا التجارة والمساعدات الخارجية ودراسة (Dodds) لقارة انتاركتيكا.

٣- كان هناك دمج لموضوعات في الاقتصاد السياسي بالجيوبولوتيكا. مثل موضوع الهيمنة، التي درسها كل من (Agnew and Corbridge, Taylar) بوصفها جزءاً من علم جديد للاقتصاد السياسي الدولي.

٤- عمل بعض الباحثين على تطوير جيوبولوتيكا نقدية تستخدم التفسيرات ما بعد البنوية للممارسات الجيوبولوتيكة.

إلا أن الضرورة في القرن الواحد والعشرين تستدعي تناول الجيوبولوتيكا الجديدة أو المعاصرة على أساس دمج عناصر الاتجاهات البحثية الحالية الأربعة في إطار واحد لدراسة التنافس الكوني من منظور الجغرافيا السياسية.

ولا يجوز لنا كجغرافيين سياسيين التملص من مناقشة آراء دعاة الحرب، الذين استعادوا حججاً جيوبولوتيكية لتدعيم آرائهم عن الحرب الباردة. هذه الحجج تتحدث عن الضرورات الجغرافية، وأن الجغرافيا هي العنصر الثابت الذي يدور حوله أي فكر استراتيجي. هذا الفهم للمكان بأنه مسرح لا يتغير، يكشف عن لا وعي تام في طبيعة الجغرافيا، هذا التبسيط المخل رد عليه بومان (Bowman) في قوله [٢]:

"غالباً ما يقال إن الجغرافيا لا تتغير، ولكن الواقع يقول غير ذلك، فالجغرافيا تتغير في مجال التنكولوجيا أو بتعبير آخر فإن معنى الظروف الجغرافية يتغير".

من ذلك يستدعي بعلماء الجغرافيا التوقف عند الجيوبولوتيكا الجغرافية التي تقتضي المعنى المتغير للعامل الجغرافي، والقفز عن الجيوبولوتيكا المبسطة أيام الحرب الباردة.

وبعد أحداث ١١ أيلول من عام ٢٠٠١، يجدر بناء معرفة المبادئ الجيوبولوتيكة الجديدة التي تنتهجها الولايات المتحدة فيما يعرف بسياسة الاحتواء لما تدعيه لدول محور الشر (العراق وإيران وكوريا الشمالية)، وبما عرف أيضاً محاربة الإرهاب حسب المفهوم الأمريكي.

كل ذلك للوصول إلى نظام عالمي جديد وصيغته المرتقبة والشكل الذي سيكون عليه لغاية ٢٠٥٠ على الأقل.

على أنه يجب أن نذكر أن الجيوبولوتيكا فرع من فروع الجغرافيا السياسية التي تتناول قضايا السياسة العالمية بالدراسة والتحليل ويشاركها في هذا التوجه الجغرافيا السياسية للإمبريالية. وينبغي ملاحظة أن الجيوبولوتيكا بوصفها مبحثاً يعني بالتنافس بين القوى العظمى (دول المركز وأشباه الأطراف الصاعدة). بينما الإمبريالية هي خلاصة هيمنة دول المركز القوية الغنية على الدول الضعيفة الفقيرة في الأطراف أي أن الجيوبولوتيكا تصف علاقة التنافس، من وجهة نظر سياسية. في حين تصف الإمبريالية علاقات التنافس بين القوى العظمى بأنها علاقات بين الشرق والغرب. أما علاقات الهيمنة فهي العلاقات بين شمال دائرة الاستواء وجنوبه [٣].

وأخيراً، علينا أن نؤكد أنه من المهم بالنسبة للجغرافيا السياسية إدراك العلاقة بين الجيوبولوتيكا والإمبريالية على الصعيد السياسي. وعلى صعيد البنى المكانية، فهما في النتيجة مفهومان غير مستقلان عن بعضهما في الواقع، فالأب المؤسس للجيوبولوتيكا ماكيندر كان مناصراً للإمبريالية البريطانية. لذا من المفضل التعامل مع كل من الجيوبولوتيكا والإمبريالية كجزأين لقصة واحدة. ووجهين لسياسة عالمية واحدة.

ولفهم الميراث السياسي للقوة the Power - political Heritage نميز بين المدرسة الواقعية والمدرسة المثالية في دراسة العلاقات الدولية.

فالمدرسة الواقعية تستند إلى حجج كلاسيكية تدور حول فن السياسة وطرائق المنافسة على مستوى الدول.

ونتيجة لشيوع ظاهرة الخوف بين الدول، ومحاولة الدول القوية إملاء إرادتها على الدول الأضعف ساد مذهب المدرسة الواقعية ردها من الزمن. ومن أهم

الانتقادات التي وجهت لهذه المدرسة بأنها لا أخلاقية لأنها مبنية على السياسة الميكافيللية التي سادت في القرن السادس عشر والتي تنادي باتباع كل الأساليب للوصول إلى الهدف بغض النظر عن الأخلاق. واتهمت المدرسة الواقعية بأنها وراء الحرب العالمية الثانية، وأنها تعكس فهم العالم القديم.

وقد اعتبر دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب العالمية الثانية، سبباً في ظهور المدرسة المثالية، بل نقول عندما تركت المدرسة الواقعية مسؤولية تسيير الأمور في الدولة على أيدي الدول العظمى، فإن المثالية الجديدة طالبت بحل القضايا العالمية من قبل الإرادة الجماعية للمجتمع الدولي. فتم إنشاء عصبة الأمم المتحدة بعد الحرب الثانية، ثم هيئة الأمم المتحدة.

نخلص إلى القول أن المدرسة الواقعية تهدف إلى الحفاظ على مصالح الدول العظمى. أما المدرسة المثالية فإنها تستند إلى مبادئ ليبرالية، لإقامة علاقات دولية على أسس دستورية.

وإذا عدنا لأسس الجيوبولوتيكا لوجدنا الطرح الأولي لأسسها على يد ماكيندر (Mackinder) تحمل في طياتها أفكار المدرسة الواقعية، وفي فكر بومان (Bowman) ظهرت بدايات المدرسة المثالية في كتابة العالم الجديد والذي اعتبر المدرسة الواقعية قد عفى عليها الزمن وغير صالحة للجغرافيا السياسية. هذا الكتاب لبومان اعتبر نادراً بالنسبة لتراث سياسة القوة في حقل الجيوبولوتيكا ويرى smith أن آراء بومان لا تعكس رؤية دولية حقيقية بقدر ما تعكس الرؤية الأمريكية للعالم. على أية حال فإن المدرسة الواقعية والمدرسة المثالية يركزون على الدولة مما يجعل الانحياز ممكن لبلدان معتنقيها فمن خلال دراسة آراء علماء الجيوبولوتيكا من السهل تبين جنسية الكاتب من خلال آرائه. ونتناول ثلاث من تلك الجيوبولوتيكات من دول عظمى هيمنت على العالم في الفترة الواقعة بين ١٩٠٠-١٩٥٠ وهي: بريطانيا وألمانيا والولايات المتحدة.

نظرية ماكيندر عن منطقة المركز:

هو جغرافي بريطاني (١٨٦١-١٩٤٧)، ألقى عام ١٩٠٤ محاضرة ضمنها نظريته عن الجزيرة العالمية [٤].

وأطلق على أفكاره المحور الجغرافي في التاريخ، أي أثر العامل الجغـرافي في تفسـير تـاريخ العالم. محاولاً الربط بين التعميمات الجغرافية الكبرى والتعمـيمات التاريخيـة الكـبرى، وقـدم ماكيندر Mackinder نظريته على ثلاث مراحل هي [٥]:

الأولى: عام ١٩٠٤ بعنوان المحور الجغرافي في التاريخ.

الثانية: بعد الحرب الأولى بعنوان المثاليات الديموقراطية والواقع.

الثالثة: عام ١٩٤٣ بين فيها مزايا القوة البرية للدولة ومزايا القوة البحرية.

النظريــــة:

تشغل المسطحات المائية نحو ٧١% مـن مسـاحة الكـرة الأرضـية، أطلـق عليهـا المحـيط العالمي World Ocean، وعلى الكتلة اليابسة الجزيرة العالميـة World Island وحـددها بــ أوراسيا وأفريقيا، أما بالنسبة للأمريكتان واستراليا فقد اعتبرها جزر تحيط بالجزيرة العالميـة و أطلق ماكيندر على قلب الجزيرة العالمية اسـم منطقـة الارتكـاز pivot area ومـن ثـم قلـب الأرض Heart land. واعتبر ماكيندر الجزيرة العالمية اضخم معقـل لقـوة الـبر وأمثـل نمـوذج للدفاع بالعمق. كما أطلق ماكيندر على السواحل التي تحـف بـالجزيرة العالميـة اسـم الهـلال الداخلي Inner Crescent كما أطلق على كـل مـن الأمريكتـان واسـتراليا وبريطانيـا واليابـان الهلال الخارجي Outer Crescent وتتلخص نظرية ماكيندر بأن نشـوء دولـة قاريـة قويـة في منطقة قلب الأرض يعني خضوع العالم لها.

وصـف والـترز (١٩٧٤) نظريـة المركـز لماكينـدر عـام ١٩٠٤ بأنهـا الركيـزة الأولى للفكـر العسكري للغرب كلـه، فريجـان -رئـيس الولايـات المتحـدة الأسـبق- اسـتعان بفكـر ماكينـدر كأسـاس لاسـتراتيجة الولايـات المتحـدة الأمريكيـة في الجيوبولوتيكـا. فقـد وضـعت الولايـات المتحدة مصالح الأمن القومي فوق أي اعتبار، وأن مصالحها في العـالم معرضـة للخطـر إذا مـا أمكن لدولة ما أو لمجموعة من الدول أن تهيمن على الأرض الأوروآسيوية (قلب العالم)، وقـد اشتركت الولايات المتحدة بحربين عالميتين لمنع سيطرة أي جهة في العالم على قلب العـالم، كـما بنيت السياسة الجيوبولوتيكية للولايات المتحدة طيلة القرن الماضي على منع الاتحاد

السوفيتي سابقاً من استثمار ميزته الجيوبولوتيكية للهيمنة على قلب العالم أو على أوروبا الغربية أو الشرق الأوسط هذه السياسة ما زالت مستمرة حتى يومنا هذا.

وهذا يفسر لنا تداعيات الحرب في قلب العالم بين الولايات المتحدة وما تسميه قوى الإرهاب العالمي في أفغانستان. هذه الحرب الأمريكية بعيدة كل البعد عن الإرهاب ولكنها الجيوبولوتيكا الأمريكية الجديدة للقرن الواحد والعشرين.

بلور ماكيندر البريطاني آراءه في الاستراتيجية العالمية في الوقت الذي بدأ به أفول نجم الإمبراطورية البريطانية، وتنحيها جانباً عن قيادة العالم في مجال السياسة والاقتصاد بعد أن كانت طيلة القرن التاسع عشر سيدة العالم اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً. وبقيت هكذا حتى بدأ ظهور قوة الولايات المتحدة الأمريكية ثم ألمانيا.

بدأ ماكيندر حياته السياسية حزبياً ليبرالياً، يتبنى شعار سياسة التجارة الحرة العالمية. وقد بدأ في عام ١٩٠٣ بلورة ومراجعة آراءه بعد أن لمس تراجع بريطانيا عن تربعها على عرش القوة، واقتنع أن تكديس المال وحده في لندن لا يكفي أمام ازدهار الصناعات الثقيلة في ألمانيا، ودعى بريطانيا إلى سياسة حمائية لمكتسباتها وبناء قوة اقتصادية بصورة فردية. وبذلك انتقل بآراءه الجديدة من حزبية الليبرالية إلى حزب المحافظين الذي يتبنى بقوة بإصلاح التعرفة الجمركية والحفاظ على الصناعات البريطانية والأسواق الإمبريالية لمواجهة آلة الصناعة الألمانية.

جعل ماكيندر من منطقة قلب آسيا (آسيا الوسطى) منطقة محورية للتاريخ العالمي، ولعله وصل لهذه النتيجة لقراءته تاريخ انطلاق الخيول وفرسانها من وسط آسيا لتطوع أوراسيا.

وتعدد ظهور أهمية الدول الساحلية إلى حلول عصر الكشوف البحرية بدءاً بسنة ١٤٩٢ (حقبة كولومبس في عصر الكشوف الجغرافية)، حيث رجحت كفة بريطانيا البحرية على القوى العالمية. ثم عاد ميزان القوى البرية بالرجوع مرة أخرى على القوى البحرية بعد ازدهار طرق المواصلات البرية المعبدة وسكة الحديد، لتعود المنطقة المحورية في وسط آسيا للشاشة مرة أخرى.

حدد ماكيندر منطقة قلب العالم (وسط آسيا) بأنه نطاق جغرافي بري لا تطوله القوى البحرية، ويحيط به هلال داخلي بدءاً من أوروبا إلى آسيا، يسيج هذا الهلال هلال آخر من الجزر والقارات فيما وراء قارتي آسيا وأوروبا(شكل ٥).

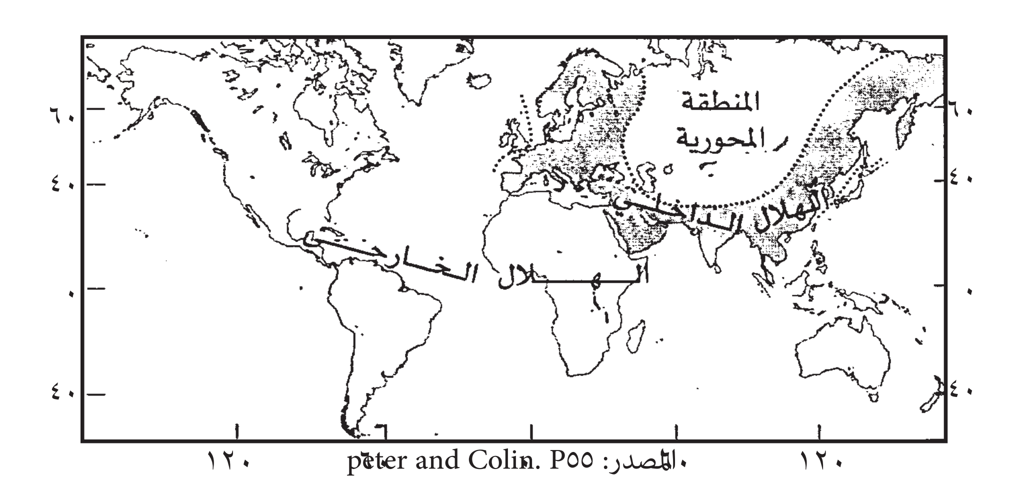
الشكل (٥)

نماذج جيوبولوتيكية بديلة

أ. نموذج ماكيندر الأصلي

Alterative geopolitical Modeles:

(a) Mackinder's original model. P ٥٥.



المصدر: peter and Colin. P٥٥

وعاد ماكيندر في عام ١٩١٩ ليحدد تعريف المنطقة المحورية (آسيا الوسطى) على أنها منطقة المركز heart land مع توسيعها جغرافياً، وقد صاغ مخاوفه من سيطرة روسيا وألمانيا على منطقة آسيا الوسطى بنصيحته لبريطانيا والتي صارت قولاً مشهوراً[٦]. من يحكم شرق أوروبا يهيمن على منطقة المركز ومن يحكم منطقة المركز يهيمن على الجزيرة العالمية ومن يحكم الجزيرة العالمية يسيطر على العالم كله.

قد تكون آراء ماكيندر هذه بمثابة تبرير للسياسة البريطانية آنذاك ومن منظور جغرافي - تاريخي، إذ كانت السياسة الجغرافية البريطانية قائمة على الحيلولة دون قيام تحالف ألماني - روسي تسيطران من خلاله على المنطقة المحورية ومواردها الاقتصادية والقضاء على الإمبراطورية البريطانية.

باتـت آراء ماكينـدر عـام ١٩٠٤ رسـالة تحـذير لبريطانيـا مـن القـوى الصـاعدة في قـارة أوراسيا، وعلى بريطانيـا إعـادة النظـر في سياسـتها الخارجيـة وسياسـتها التجاريـة بعـد عصرـ كولومبوس.

وجاءت أفكار ماكيندر في وقت مـؤتمر فرسـاي لإعـادة رسـم خريطـة أوروبـا السياسـية. واعتبر منطقة شرق أوروبا الطريق إلى منطقة المركز، وللحيلولة دون تعاون ألماني روسي اقتراح ماكيندر إيجاد دول حاجزة بينهما، وهذا ما تم فعلاً في مؤتمر صلح فرساي.

وفي عام ١٩٤٣ عدل ماكيندر أفكاره، ليقوم حلف بين روسيا وبريطانيا والولايات المتحدة لمجابهة ألمانيا إلا أن هذا التحالف لا يتماشى والسياق التاريخي. إلا أن التاريخ سجل لماكينـدر فضله على الجغرافيا السياسية بفضل قدرة نموذجه على البقاء حتى نهاية الحرب الباردة.

فالولايات المتحدة قامت منفردة بالسيطرة على قلب العالم، وهي الآن تطبق مـا جـاء في نمـوذج ماكينـدر، بالقيـام بـاحتلال أفغانسـتان ومـد يـدها الحربيـة والسياسـية والاقتصـادية للسيطرة على باقي حوض قزوين. وهذا هو قلب العالم. تلاه احتلال العراق عام ٢٠٠٣ كظهير خلفي غني بالنفط لقواتها في أفغانستان.

وقد استهل ماكيندر آراءه بممارسة الحيلـة الجيوبولوتيكيـة المتعلقـة بإدعـاء امـتلاك نظـرة نزيهـة، وشـاملة إلى العـالم وأن القـوى الغربيـة قـادرة عـلى السـيطرة عـلى الممارسـات السياسية العالمية. وأفكار ماكيندر تضعه أكثر من عالم في الاستراتيجية الجغرافيـة كـما صـورته كتاباته في الجغرافية السياسـية، فلـه رؤيـة شـمولية اقتصـادية سياسـية اسـتعمارية [٧]. وكـان ماكيندر أول من استطاع أن ينظر إلى العالم ككل في ضوء وحدة الأرض، أي عـالم واحـدٌ، ومـن نطاق سياسي واحـدٍ، وهـو أول مـن وضـع الجغرافيـا في خدمـة السياسـة والاسـتراتيجية. وإلى جانب النظرة الكوكبية أهتم ماكيندر بالنظرة الإقليمية، فقسم الأرض إلى الهارتلانـد والهلالـين الخارجي والداخلي[٨].

الجيوبولوتيكـا الألمانيــة:

وضع كانت الألماني (١٧٢٤-١٨٠٤) أسس الجغرافيا السياسـية، وأيضاً مـن العلـماء ممـن كتبوا في الجغرافيا السياسية فردريك نيشر وهنريـك فـون تريتسـك وفردريـك لسـت وراتـزل (١٨٤٤-١٩٠٤) وكارل هوسهوفر (١٨٦٩-١٩٤٦).

نظريــة كــارل هوسهوفــر (١٨٦٩-١٩٤٦):

تتلخص نظرية هوسهوفر بأن الدولة يجب أن تتسع أو تهلـك، ويجـب أن يسـود العـالم دول قوية هي[٩]:

١. الولايات المتحدة في نصف الكرة الغربي.

٢. اليابان في شرق آسيا.

٣. ألمانيا في أوروبا وأفريقيا ومنطقة قلب العالم.

ورأى هوسهوفر أن مقومات الدولة القوية أربعة هي:

أ. عدد كبير من السكان.

ب. معدل مواليد مرتفع.

ج. استغلال الثروات الطبيعية.

د. توازن عادل بين سكان الريف والحضر فيها.

أمـا قـوام القـوة العسـكرية فهـي الجـيش والأسـطول البحـري وسـلاح الطـيران ويـرى هوسهوفر ضرورة قيام حلف بـين ألمانيـا وروسـيا واليابـان والصـين والهنـد، وأن القـوة البريـة تتفوق على القوة البحرية.

يعتقد الجغرافيون الألمان أنه من الضروري ضم كل المناطق التي ينتشر فيهـا الألمـان إلى دولة ألمانيا الأم، ولهذا الغرض رسمت خرائط منطقة الثقافة الألمانية.

وجه النقد اللاذع للآراء التي تضمنها الجيويولوتيكا الألمانيـة مـن الجغـرافيين ومـن قبـل السياسيين، فاللوم الذي وجه علـماء الجغرافيـا السياسـية يتمثـل بعـدم الالتـزام بالموضـوعية لتبريرها سياسة الرايخ الألماني الثالث في التوسع الجغرافي خارج

حدود ألمانيا السياسية. أما علماء السياسة فيربطون كل الميراث الجيويولوتيكي الألماني بنظام حكم مهزوم وهو نظام هتلر، اتبع سياسة خارجية كارثية، فهو فكر مرفوض جملة وتفصيلاً.

الخلفيـة السياسيـة: الروابـط النازيـة: Political background: Nazi Connections:

تبنـت الجيويولوتيكـا الألمانيـة آراء K. Houshofer أسـتاذ الجغرافيـا بجامعـة ميـونخ للفترة ما بين ١٩٢١-١٩٣٩. وكان قد شـغل أيضـاً رئـيس تحريـر كـبرى مجـلات الجيوبولوتيكـا الألمانية وهي مجلة (زايتشرفت فور جيوبولوتيكا) وقـد شـوهت صـورته كتابـات كثـيرة قبـل وأثناء الحرب العالمية الثانية، ولم يتصـد الجغرافيـون لهـذه الكتابـات المغرضـة إلا بعـد تـراخ طويل، فمثلاً أشارت الكتابات إلى أن Houshofer قد ترأس ألفاً من العلـماء لوضـع الخطـط التي تمكن ألمانيا من النصر في الحرب الثانية، ليس هذا الاتهام له أساس من الصحة. وقد قام مؤخراً عدد من العلماء بدراسة وتمحيص المعلومات التي ألصقت بالرجل الاتهامـات والتحيـز. مثـــل: هكسيـــ Heske ١٩٨٧، باتسرـــون Paterson ١٩٨٩، أولـــوجلن وفـــان ديرفوســـتن O'loughlin and Van der wusten ١٩٩٠ وأتواتهيل O.Tuathair ١٩٩٦.

سادت الأفكار المثاليـة في أوروبـا مـا بـين الحـربين العـالميتين، وبالمقابـل سـادت الأفكـار الواقعية في العلاقات الدولية في ألمانيا المهزومة في الحرب، وقد يكون أحـد الأسـباب الرئيسـية لصعود الجيوبولوتيكا الألمانية وازدهارها في ما بين الحـربين معاهـدة فرسـاي المجحفـة بحـق الألمان والتي بحق جعلتها طير بـلا جنـاح، بـل ذهـب (باتسرـون) بـأن فحـوى الجيوبولوتيكـا الألمانية تهدف إلى الخلاص من معاهدة فرسـاي. إذ أن المعاهـدة فرضـت عـلى الألمـان مكانـاً للعيش داخل حدود سياسية رسمها الحلفاء بشكل غير عادل. وكان الحـل هـو ضرورة توسـع ألمانيـا خـارج حـدودها السياسـية المفروضـة عليهـا. هـذا الـرأي هـو نقطـة الالتقـاء بـين الجيوبولوتيكا الألمانية وساسة الحزب النازي.

ارتكزت آراء متبني فكرة تأثير هوزهوفر في السياسة النازية على عدة عوامل منها علاقته مع رودلف هس نائب هتلر، وصلاته بقادة من جماعة الرايخ الثالث.

إلا أن عقد مقارنة بين الأفكار الجيوبولوتيكة الألمانية ومبادئ الحزب الوطني الاشتراكي الألماني (النازي)، نجد أن الأولى ارتكزت على نظريات راتزل المادية العلمية. بينما الثانية على أسس عرقية، تصف الألمان بأنهم يتميزون بخصائص تفوق سائر البشر، ومهما قيل فإن الجيوبولوتيكا الألمانية كانت العلم الملهم لألمانية النازية، هذا الاعتقاد ساد أفكار علماء الجغرافيا السياسية والسياسيين طيلة ما بين الحربين إلا أنهم اعترفوا بأن الجيوبولوتيكا مثلث مجموعة من الأفكار الواقعية قابلة للاستخدام حسبما يقتضي السياق أو الموقف.

المناطق المتكاملة عالمياً: Global pan - region

بانهيار الإمبراطورية الإنجليزية انهار نظام التجارة الحرة، واتجه العالم إلى التكتلات الاقتصادية والحماية الجمركية. وقد دعى ماكيندر إلى إصلاح التعرفة الجمركية لحماية الاقتصاد البريطاني، والاتجاه نحو الاكتفاء الذاتي، وحيث إن ألمانيا فقدت مستعمراتها بهزيمتها في الحرب، أصبح مبدأ الاكتفاء الذاتي بالنسبة لهوزهوفر الألماني يتحقق بالتوسع الجغرافي لألمانيا (ليبنزراوم Lebenstaum) وهي مصطلح أتى به راتزل الألماني ومعناها (مكان للعيش).

ارتبطت فكرة التكتلات الاقتصادية بالمستعمرات، وقد طرح ما يسمى بالمناطق المتكاملة والتي تقوم على أفكار شمولية [١٠]. وقد أيد مونرو الأمريكي الفكرة الشمولية للمناطق المتكاملة.

حددت الجيوبولوتيكا ثلاث مناطق متكاملة للعالم هي: ألمانيا واليابان والولايات المتحدة شكل (٦). على أن تشكل هذه المناطق الثلاث مراكز مكتفية ذاتياً (نظم عالمية) ولكل منها أطراف. اليابان مركز وأطرافها استراليا وجنوب شرق آسيا وشمال آسيا. وألمانيا مركز وأطرافها جزء من آسيا وأوروبا وأفريقيا والولايات المتحدة مركز وأطرافها الأمريكيتان.

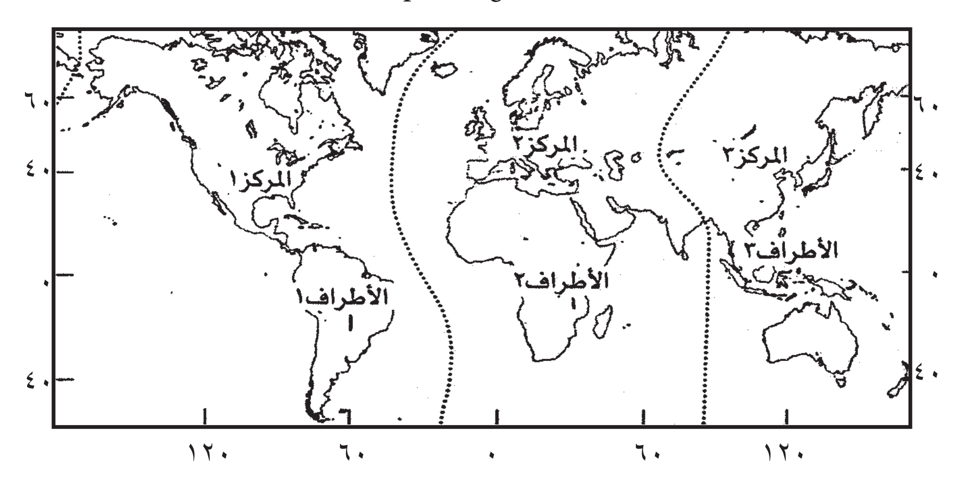
الشكل (٦)

نماذج جيوبولوتيكية بديلة

(ب): نموذج لمناطق شاملة

Alterative geopolitical

(b): amodel of pan- regions modeled P . ٥٥



المصدر: Peter and Colin, P. ٥٥

وبتبؤ الولايات المتحدة المركز الأول في الاقتصاد العالمي بعد الحرب العالمية الثانية انتهى معها التكتلات الاقتصادية ومعها فكرة المناطق المتكاملة وبظهور قوى اقتصادية عالمية جديدة في منتصف النصف الثاني من القرن العشرين بدأت تلوح بالأفق عودة ظهور التكتلات الاقتصادية ومفهوم المناطق المتكاملة (١١).

لقد أعطت الجيوبولوتيكا الألمانية الولايات المتحدة موقع من ثلاث قوى في العالم ولم تعطيها القوى العظمى الوحيدة، وبعد انتصار الولايات المتحدة في الحرب الثانية على ألمانيا سمحت لنفسها برسم سياسة استراتيجية عالمية، ارتكزت في استراتيجياتها على جيوبولوتيكا ماكيندر الذي حذر من السماح بقيام دولة برية قوية في القرن العشرين تهيمن على العالم.

وقد درس نيكولاس سبكمان (N.Spukman) الأفكار الجيوبولوتيكية المتداولة في العالم، ليخلص إلى ضرورة قيام الولايات المتحدة بتحيد منطقة قلب العالم (قوة

برية)، واعتبر أن السيطرة على منطقة الهلال الداخلي أهم من السيطرة على منطقة قلب العالم، وأطلق على الهلال الداخلي أرض الحافة Rim land، ومن يسيطر على أرض الحافة يحيد منطقة القلب.

وفي منتصف القرن العشرين بدأت النقاط توضع على الحروف، فالقلب هو الاتحاد السوفيتي، والحافة هي المنطقة الممتدة من الولايات المتحدة من كوريا وحتى تركيا، والقوة البحرية هي الولايات المتحدة الأمريكية. وعلى ضوء هذه القوى راحت الولايات المتحدة تصوغ إستراتيجيتها الجيوبولوتيكية والسياسة الأمريكية.

احتواء الحصن (قلب العالم Heart land) لعبة الدومينو وفنلندا في منطقة الحافة

استقر في ذهن القادة السياسيين والعسكريين في الولايات المتحدة بأن الاتحاد السوفيتي هو "الحصن" الذي يمثل قلب العالم، ومن الضروري احتواءه وإحكام الطوق حوله على شكل تحالفات في منطقة الحافة مناهضة للسوفيت، ففي أعقاب الحرب العالمية الثانية تم إنشاء حلف شمال الأطلسي في أوروبا NATO والسنتو CENTO في غرب آسيا، والسياتو CEATO في شرق آسيا. وقد عزز هذه التحالفات بقيادة الولايات المتحدة التدخل العسكري من قبلها في أي نقطة خلاف على حدود السوفيت مثل: مشكلة برلين، وحرب فيتنام، وحرب الكوريتين، ومشكلة فلسطين أعقبها بعد عام ٢٠٠١ احتلال أفغانستان والعراق.

بعد الحرب العالمية الثانية اقتنع الغرب بأن الاتحاد السوفيتي أصبح يملك الوضع الجيوبولوتيكي الأقوى في العالم القديم، وأصبح الخيار النووي هو الملاذ أمام الغرب لإنقاذ الجزيرة العالمية من قوة السوفيت المتنامية ومن خطر الزحف الشيوعي. هذه الأفكار الدولية ولدت التسابق النووي.

وهكذا قرعت طبول الحرب في عهد الرئيس الأمريكي رونالد ريجان في أوائل الثمانينات ضد السوفيت وليس الألمان.

إن آراء ماكيندر القديمة لم تندثر، فالولايات المتحدة بعد انهيار السوفيت رسمت استراتيجيتها على أن لا تقوم للسوفيت قائمة؛ إذ استغلت المشكلة العراقية الكويتية لتحتل عسكرياً حوض الخليج العربي النفطي، وغزت أفغانستان عسكرياً، والآن احتلت العراق عسكرياً وما زالت فيه حتى كتابة هذه السطور (٢٠٠٤).

تصدى كوهين لنظرية القلب، وفند نظرية الحافة، وأدعى أن الاتحاد السوفيتي كقوة برية قد مكن لنفسه أيضاً كقوة بحرية، ويهدف كوهين من مراجعته للفكر الاستراتيجي العالمي إلى صياغة نظرية جغرافية عسكرية مرنة تختلف عما جاء من قبل.

وتقوم نظرية كوهين- التي أوردها في كتابه (الجغرافيا السياسية في عالم منقسم ١٩٧٣) على نموذج تراتبي ومناطقي للعالم في محاولة لإنجاز نموذج للعالم على النحو الآتي:

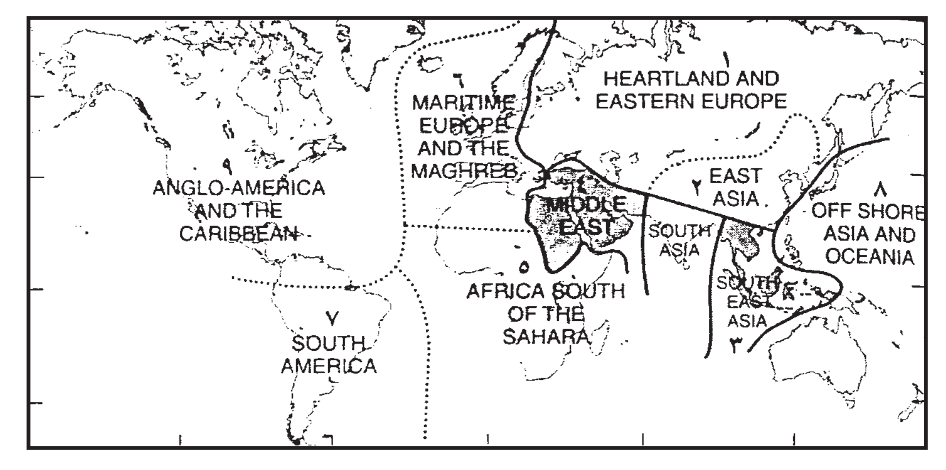
١. يحدد إقليمين أو منطقتين جيوإستراتيجيتين تتحكم في كل منهما قوة من القوتين العظميين: وهما العالم البحري المعتمد على التجارة ويتحكم به الولايات المتحدة الأمريكية والثانية العالم القاري الأوروآسيوي، ويتحكم به الاتحاد السوفيتي.

٢. يقسم المنطقتين الجيوإستراتيجيتين إلى خمس مناطق جيوبولوتيكية ومنطقتين جيوبولوتيكتين على التوالي شكل (٧).

الشكل (٧)

مناطق كوهين الجيوإستراتيجية وتفريعاتها الجيوبولوتيكية

cohen's geostrategic regions and their geopolitical subdivisions. P٦١



المصدر: Peter and Colin. OP.Cit. P ٦١

الحزام المهشم كما حدده كوهين في ١٩٧٣ و١٩٨٢م.

الحزام المهشم الثالث كما حدده كوهين في ١٩٨٢م.

— الحدود الجغرافية الإستراتيجية.

...... الحدود الجيوبولوتيكية.

١ـ منطقة القلب وأوروبا الشرقية. ٢ـ شرق آسيا.

٣ـ جنوب شرق آسيا. ٤ـ الشرق الأوسط.

٥ـ الصحراء الكبرى. ٦ـ الحدود المائية لأوروبا والدول المغاربية.

٧ـ أمريكا الجنوبية. ٨ ـ المناطق الآسيوية الأوقيانية المحاذية للشاطئ.

٩ ـ الحدود الأمريكية ـ الإنجليزية والكاريبية.

من خلال تناول الميرات الجيوبولوتيكي نجد ان مشاعر الانحياز قد لونت كل الفكر الجيوبولوتيكي الإستراتيجي لهذا وصفت الجغرافية السياسية بأنها متحيزة لكتابها وبأن هذا التراث سيئ السمعة إلا أنه يمكن أن نخرج من التراث الجغرافي السياسي والجيوبولوتيكي بنقطتين هما [١٢]:

١. أن الآراء الجيوبولوتيكية ليست مسلمات غير قابلة للتغير، وأنها دائمة التبدل والتغير، ومن ثم فالجيوبولوتيكيا تاريخية غير ثابتة.

٢. أن الجيوبولوتيكا ليست من العلوم الحيادية، فكتابها من الجغرافيين وغيرهم لونوها بمشاعرهم الوطنية وخلفياتهم الحزبية والقومية.

حاول أتواتهيل وآجبنو O'tuathail and Agnew أن يقدما آراء جيوبولوتيكية بعيدة عن الانحياز القومي، لذا عرف الجيوبولوتيكا بأنها شكل خاص من التفكير المنطقي يقيم الأمكنة من زاوية ضرورات الأمن المتعلقة بدولة او مجموعة من الدول.

هذا التعريف للجيوبولوتيكا المتسم بالشمول والوضوح اتسم بنمطين من التفكير الجغرافي هما:

الأول: تفكير جيوبولوتيكي عملي دائم التنفيذ من قبل أصحاب القرار السياسي والعسكري. والذين بدورهم يعتبرون ما وراء حدودهم السياسية مصادر تهديد لبلادهم.أي إن الساحات الجغرافية خارج حدود الدولة السياسية بمنزلة "سلع أمن" على حد تفسيرات أوتواتهيل وآجينو.

الثاني: تفكير جيوبولوتيكي رسمي، حيث يعبر عن الأفكار العملية في قالب نظريات من قبل أكاديميين مثل تقسيم العالم إلى أقاليم جغرافية متمايزة، ونظريات تقسم العالم إلى مراكز حيوية وأخرى أقل أهمية مثل قلب العالم والحافة والأحزمة المهمشة، أي وصف السلع الأمنية بدرجات من الأهمية.

لا شك أن كلا الصورتين تؤثران واحدتهما في الأخرى. وللجغرافيين السياسيين يد في الساحة الجيوبولوتيكية، ولتقريب الصورة بين التفكيرين العملي والرسمي نجعل من التفكير الجيوبولوتيكي العملي موضوعاً لتحليل الجيوبولوتيكا الرسمية. بمعنى الاستفادة من التراث الجيوبولوتيكي وأخذ العبر منه لطرح وفهم التفكير الجيوبولوتيكي لاستراتيجيات الدولة على أمل الابتعاد عن التحيزات القومية.

الأنظمـة الجيوبولوتيكية العالميـة: Geopolitical world orders

أوضح جاديس (Gaddis) أن الوراء الجيوبولـوتيكي العمـلي أنـتج قواعـد جيوبولوتيكيـة عرفها بأنها مبادئ إجرائية تتألف من عدة فروض سياسـية - جغرافيـة ترسـم سياسـة الدولـة الخارجية. هذه القواعد تأخذ بالاعتبار مصالح الدولة، ومصادر تهديد أمنها القومي، وسياسـة الردع لأي طارئ.

وتتنـوع هـذه القواعـد مـن دولـة إلى دولـة وذلـك حسـب حجمهـا ومقـدرتها وقوتهـا السياسية والعسكرية والاقتصادية ومركزها الدولي ومدى علاقاتها بالدول العظمى[١٣].

أشرنا إلى أن مجموعة القواعد الجيوبولوتيكية لكل دولة لا تعمل بصـورة منفصلة عـن بعضها البعض، بل هناك صورة تراتبية لمجموعة العناصر، وذلك لممارسة الدول القوية النفـوذ القوي على الدول الضعيفة في ترتيب أولويات قواعدها الجيوبولوتيكيـة. مـما يـوحي بتوافـق القواعـد الجيوبولوتيكيـة العامـة للـدول في حقبـة تاريخيـة واحـدة. وهـذه هـي الأنظمـة الجيوبولوتيكية العالمية وخير مثال على ذلك يعد رفع الولايات المتحدة الأقوى في العالم شـعار محاربة الإرهاب بعد أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ أولوية جيوبولوتيكية ليست للولايـات المتحـدة فقط بل لجميع دول العالم قاطبة، وليس بمقدور أي دولة في العالم عـدم رفـع شـعار محاربـة الإرهاب ولو قولاً.

وقد اتفق أوتواتهيل وآجينو مع روبرت كوكس تصورهم جميعاً للأنظمة العالميـة وهـي: الإمكانات الماديـة، والأفكـار، والمؤسسـات. وهـذه في الحقيقـة تبنتهـا الولايـات المتحـدة بعـد الحرب العالميـة الثانيـة عـلى السـاحة الدولية لما تملكـه مـن أفكـار في السياسـة والاقتصـاد، ومساهمتها الفاعلـة في إقامـة المؤسسـات العالميـة مثـل هيئـة الأمـم المتحـدة للحفـاظ عـلى الاستقرار العالمي.

دورات السياســة الدوليــة: Cycles of international politics

سجل التاريخ سقوط إمبراطوريـات سـادت ثـم بـادت، الرومانيـة والفارسـية والإسـلامية والعثمانية والبريطانية وغيرها أما ليفي فقد أحصى في كتابه نظام القوى الكبرى (١٩٨٢) ثلاثة عشرة دولة سيطرة على العالم منذ عام ١٩٤٥، ولم يتجاوز عـدد القـوى الكـبرى سـبعاً في زمـن واحد.

إلا أنه لم يقدر لدولة بعينها تحتفظ بالسيطرة على العالم، إلا أن الأسباب التي تـؤدي إلى انهيار القوى الكبرى مسألة بالغة الأهمية ومحببة للنفوس.

ولكن هل للدول العظمى أن تتعلم من التاريخ؟ وأهم الدراسـات التـي عللـت سـقوط الدول العظمى، دراسة مودلسكي الذي حدد خمس دورات وأربع قوى عظمى.

لقد شاعت فكرة الدورات السياسية والدورات التاريخيـة والـدوارات الاقتصـادية ودورة التعرية...الخ فقد رأى الاقتصادي الروسي كوندراتيف Kondratieff أن الاقتصـاد العـالمي يمـر بفترة رخاء تعقبها فترة كساد، حدد كـل دوره بخمسـين سـنة، تتكـون دورة كونـدراتيف مـن طورين:

أ. وتمثل طور النمو.

ب. وتمثل طور كساد وقد حدد رجال الاقتصاد دورات أربع على النحو الآتي[١٤]:

١٧٩٠/١٧٨٠	ـ أ ـ	١٨١٧/١٨١٠	ـ ب ـ	١٨٥١/١٨٤٤
١٨٥١/١٨٤٤	ـ أ ـ	١٨٧٥/١٨٧٠	ـ ب ـ	١٨٩٦/١٨٩٠
١٨٩٦/١٨٩٠	ـ أ ـ	١٩٢٠/١٩١٤	ـ ب ـ	١٩٤٥/١٩٤٠
١٩٤٥/١٩٤٠	ـ أ ـ	١٩٧٣/١٩٦٧	ـ ب ـ	؟

بمعنى أن العالم يمر الآن في دورة كساد وركود اقتصادي. وقـد علـل كونـدراتيف أسـباب النمو والكساد للاقتصاد العالمي بالآتي:

١. فـترة النمـو أ: الأولى تـرتبط بـالثورة الصـناعية واخـتراع الآلـة البخاريـة وصـناعة القطـن والحديد.

٢. فترة النمو أ: الثانية ترتبط باختراع سكة الحديد وصناعة الفولاذ.

٣. فترة النمو أ: الثالثة ترتبط باكتشاف البترول والكهرباء.

٤. فترة النمو أ: الرابعة ترتبط باكتشاف الفضاء والإلكترونيات.

دورات مودلسكي السياسية العالمية:

صاغ مودلسكي نموذجاً للدورات السياسية العالمية للفترة من عام ١٥٠٠ وحتى نهاية الألفية الثانية وقد اعتبر عام ١٥٠٠ عام أساس لبدء تشكل النظام العالمي أي مع بدء حركة الكشوف الجغرافية وما ترتب عليها من علاقات وروابط دولية، وحدد لكل دورة مائة عام، بمعنى أننا اليوم في بداية الدورة السادسة، تتميز كل دورة بسيادة إحدى القوى العالمية هذه القوى هي: (جدول ٤).

١- من ١٥٠٠-١٦٠٠ البرتغال
٢- من ١٦٠٠-١٧٠٠ هولندا
٣- من ١٧٠٠-١٨٠٠ إنجلترا
٤- من ١٨٠٠-١٩٠٠ إنجلترا
٥- من ١٩٠٠-٢٠٠٠ الولايات المتحدة
٦- من ٢٠٠٠-؟ الولايات المتحدة

الجدول (٤)

نموذج مودلسكي للدورات الطويلة للسياسات الدولية

Modelski's Long Cycles of global politics

الدورات	القوى الدولية العظمى	الحروب العالمية	المعاهدات لإضفاء الشرعية	المؤسسات الكبرى	علامات التدهور
١	البرتغال	الحروب الإيطالية (١٤٩٤-١٥١٧م)	معاهدة ترودیسلاس (١٤٤٩م)	شبكة قواعد عالمية	ضم البرتغال إلى التاج الإسباني (١٥٨٠م)
٢	هولندا	هدنة لمدة ١٢ عام مع إسبانيا (١٧١٣م)	هدنة لمدة ١٢ عاما مع إسبانيا (١٦٠٩م)	حرية الملاحة	الثورة الإنجليزية
٣	بريطانيا	مؤتمر فينا (١٨١٥م)	معاهدة أترخت (١٧١٣م)	السيطرة على البحار	استقلال الولايات المتحدة الأمريكية
٤	بريطانيا	الحروب مع فرنسا (١٧٩٢-١٨١٥م)	مؤتمر فينا (١٨١٥م)	التجارة الحرة	الإمبريالية
٥	الولايات المتحدة	الحروب مع ألمانيا (١٩١٤-١٩٤٥م)	صلح فرساي وصلح بوتسدام (١٩١٩-١٩٤٥م)	هيئة الأمم المتحدة	حرب فيتنام

مصدر الجدول: محمد محمود الديب، ص ٧٢٠

أصدر مودلسكي كتاباً بعنوان "الدورات الطويلة في السياسة العالميـة Long Cycles in world politics" سنة ١٩٨٧، رفض في كتابه وصف بعض الكتاب الذين يصفون النظام العالمي بالفوضوية، ويهاجم الاقتصاد السياسي العالمي، وطرح في عام ١٩٨٧ رؤية سياسية تحل محل رؤية ولارشتاين في تحليله للنظم العالمية.

إن نقطة الضعف في نموذج مودلسكي (السياسي) فصله بين النظام السياسي العالمي والاقتصاد العالمي، خلافاً للواقع أنهما متتامان في عملية واحدة، فهناك منطق واحد يحكم الأمور، بمعنى أن الاقتصاد العالمي لا يعمل إلا ضمن الإطار السياسي [١٥].

وبذلك فإن التغيير الحقيقي هو في السياسة والاقتصاد معاً، فنحن بحاجة إلى إطار سياسي- اقتصادي يعيد للجيوبولوتيكا معناها الحقيقي.

ونتساءل لماذا لا تهيمن الولايات المتحدة على العالم طيلة القرن الواحد والعشرين وقد سبق لها وأن هيمنت على العالم طيلة القرن العشرين؟ حيث يقدم لنا مودلسكي نموذجاً متفائلاً لنظام عالمي متقدم وولايات متحدة قوية في القرن الواحد والعشرين.

ونقصد هنا بالهيمنة على النشاط العالمي الاقتصادي والسياسي والأيديولوجي. وقد تضمنت الهيمنة ثلاثة مراحل: تحقيق فائض في الإنتاج بنوعية الكمي والنوعي، وتمكين رجال المال من الحصول على امتيازات تجارية داخل وخارج الدولة، وتأكيد سيطرة رجال المال بالسيطرة على الاقتصاد العالمي إذا استطاعت الولايات المتحدة تحقيق ذلك، يمكن لها الهيمنة على العالم. ولكن يبدو حتى عام ٢٠٠٤أن الولايات المتحدة تلاقي معارضة قوية من جميع دول العالم ذات الشأن الاقتصادي والسياسي العالمي.

بعد ترسيخ الهيمنة بمعناها الواقعي والفعلي تهيمن الدولة على العالم وتتحكم في سير اتجاه العلاقات الدولية. والحيلولة دون قيام منافس وقد أشاعت هذه الدول الميهمنة لتبدأ الدولة المهيمنة بالتراجع اقتصادياً وتجارياً. وقد سجل لنا التاريخ لجوء دولتين هيمنتا على العالم بالتستر خلف الدولة القوية الناشئة التي تزاحمها على سيادة العالم، فهولندا وهي على أبواب الانهيار عقدت تحالفاً مع بريطانيا

وبريطانيا نفسها مع الولايات المتحدة الأمريكية، واليوم تقف بريطانيا مع الولايات المتحدة بقوة في غزو العراق واحتلاله عام ٢٠٠٣م.

ويرافق الهيمنة السياسية والاقتصادية تقدم تقني في شبكات الاتصال والمواصلات والمال، وبناء قاعدة ديبلوماسية مرتكزة على مساحة واسعة من العلاقات الدولية، وبناء قواعد عسكرية قوية داخل وخارج الدولة المهيمنة، وتنتهي الهيمنة ببروز قوة مهيمنة جديدة في العالم. وحتى عام ٢٠٠٤ بلغ عدد القواعد العسكرية على حدود الصين وروسيا نحو ١٥٠ قاعدة عسكرية حربية.

وقد اتبعت الولايات المتحدة الأمريكية سياسة أمركة العالم بالثقافة الاستهلاكية على الطريقة الأمريكية، مثل ترويج تسجيلات "الروك آند رول" وألبسة الجينز، والكنتاكي، وأنشأ المجتمع الميرشنتيلي (التجاري). أي طرح صورة عالم المستقبل الذي تريده الولايات المتحدة وفرض محاكاتها على دول العالم الصديقة والعدوة، بمعنى أن الولايات المتحدة في القرن الواحد والعشرين لا تنتهي مطالبها بالهيمنة على العالم (أقوى دولة في العالم)، بل هي دولة قائدة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً. ومن وجهة نظر الجغرافيا السياسية فإن هذا المزيج من القوة يدعو لفهم المنظر الأصلي لمفهوم الهيمنة.

نموذج كوندارتيف ونموذج ولارشتاين:

لو طبقنا نموذج كوندراتيف على فترات الهيمنة البريطانية والولايات المتحدة على العالم لوجدنا أن مبادئ السياسة التي ترتكز عليها كل من بريطانيا والولايات المتحدة في فترات هيمنتها على العالم شديدة الصلة بالاقتصاد العالمي.

أسفر التفكير الجيوبولوتيكي العملي عن أسباب قيام القوى المهيمنة وسقوطها في الاقتصاد العالمي من تصور كوندراتيف ثنائي الأبعاد إلى [١٦]:

١. في بداية مرحلة الانتعاش الأولى للدولة (أ ١)، يشتد التنافس الجيوبولوتيكي بين دول المركز لتبؤ الصدارة، فتفوز الدولة ذات الكفاية الإنتاجية، المتطورة تكنولوجياً.

٢. تمثل الفترة التي تهيمن الدولة على الاقتصاد العالمي (ب ١).

٣. مرحلة الذروة للدولة (أ ٢)، حيث تصبح عاصمة الدولة مركز الاقتصاد العالمي (الهيمنة العليا)، في هذه المرحلة تسعى الدولة للانفتاح الاقتصادي على العالم، وتعمل على انعاش التجارة الحرة.

٤. بداية مرحلة تدهور القوة المهيمنة (ب ٢)، بسبب ظهور قوى عالمية جديدة منافسة، فتتبع هذه القوى سياسة حمائيه والاتجاه نحو سياسة الاستعمار بهدف الحصول على أكبر مساحة من دول الأطراف.

أما ولارشتاين فقد اختزل دورات كوندراتيف الأربع إلى دورتين ثنائيتي الأبعاد (جدول ٥). تغطيان فترة قيام وتدهور الهيمنة البريطانية في القرن التاسع عشر، وقيام وتدهور هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية في القرن العشرين.

الجدول (٥)

نموذج دينامي للهيمنة والتنافس

A dynamic Model of hegemony and rivalry

المرحلة الأولى	بريطانيا	الولايات المتحدة
أ ١: صعوبة الهيمنة	١٧٩٠-١٧٩٨ التنافس مع فرنسا (الحروب النابليونية) الكفاءة الإنتاجية: الثورة الصناعية	١٨٩٠-١٨٩٦ التنافس مع ألمانيا الكفاءة الإنتاجية: تكنولوجيا متقدمة للإنتاج الضخم.
ب ١: انتصار الهيمنة	١٨١٥-١٨٢٥ مكاسب تجارية في أمريكا اللاتينية وإحكام السيطرة على الهند: بريطانيا تصبح ورشة العالم الصناعية	١٩١٣-١٩٢٠ مكاسب تجارية في أعقاب انهيار نظام التجارة الحرة البريطاني والهزيمة العسكرية النهائية لألمانيا.
أ ٢: نضوج الهيمنة	١٨٤٤-١٨٥١ مرحلة التجارة الحرة: لندن تصبح المركز المالي للاقتصاد العالمي	١٩٤٠-١٩٤٥ نظام الاقتصاد الحر على الأسس التي وضعتها معاهدة "بريتون وودز" والقائم على عملة الدولار: نيويورك تصبح مركز المال في العالم
ب٢: اضمحلال الهيمنة	١٨٧٠-١٨٨٥ عصر الإمبريالية الكلاسيكي حيث الدول الأوروبية والولايات المتحدة تنافس بريطانيا- ثورة صناعية جديدة تقوم خارج بريطانيا. ١٨٩٥-١٨٩٦	١٩٦٧-١٩٧٣ العودة إلى "الحمائية" للتصدي لمنافسة الصناعات اليابانية والأوروبية

المصدر: Peter and Colin

ومن خلال تناول الجدول بالدراسة والتحليل، نلاحظ أن تـدخل الدولـة في أداء الاقتصـاد العالمي في مرحلة (أ ٢) تنطوي على إملاء القوة المهيمنـة عـلى العـالم سياسـة التجـارة الحـرة، وهذا ما فعلته بريطانيا في منتصف القرن التاسع عشر بمساعدة قوة أسـطولها البحـري، تماماً فعلت الولايات المتحدة الأمريكية في القرن العشريـن لتلعـب دور الشرطي العـالمي الجديـد، مدعمة بأساطيلها البحرية وسلاحها الجوي وقواعدها العسـكرية تحـت غطـاء لبرلـة التجـارة العالمية، مما عزز النمـو الاقتصـادي العـالمي (مرحلـة أ ٢)، هـذه السياسـة للولايـات المتحـدة فرضتها على العالم إما بالتهديد أو بالوعيد، ونحن الآن (عام ٢٠٠٤) نرى انصياع كثير من دول العالم لأوامر الشرطي العالمي المهيمن اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً على العالم.

الدورات والأنظمة الجيوبولوتيكيـة العالميـة Cycles and geopolitical world orders:

في أوقات الهيمنة تشُكل النظام العـالمي الجديـد، إذ توافقـت القـوى العظمـة المهيمنـة ويوضح الجدول (٦) أربعة أنظمة جيوبولوتيكية عالمية، موازيـة لـدورات كونـدراتيف ثنائيـة الأبعاد، ولدورتي الهيمنة البريطانية الأمريكيـة، ويتضـح مـن ذلـك أن أي نظـام عـالمي جديـد يظهر في فترة انتقال جيوبولوتيكية يعقبه فترة اضمحلال للنظـام العـالمي المشـار إليـه. حيـث توصف فترات الانتقال بأوقات تميع تنقلب فيها أسس النظام العالمي رأساً على عقب، وتغـدو الأمور المسـتغربة في الأمـس أمـراً عاديـاً ومقبـولاً في النظـام العـالمي الجديـد، وكـأن الفـترات الانتقالية تفصل بين عوامل من النظم العالمية.

ولتوضيح الصورة السابقة يرى (هنسلي) أن النظام الـدولي الحـالي بـدأ عملياً بمـؤتمر فيينا عام ١٨١٥ في أعقاب انتهاء الحروب النابليونية. وفي المـؤتمر أرسـت المجموعـة الأوروبيـة أسس النظام السياسي الجديد، وكـبح أي دولـة تحـاول منفـردة تعكـير صـفو السـلام العـالمي، وضرورة إشاعة الاستقرار السياسي في العالم. هذا التوجه يعتبر أول نظـام جيوبولـوتيكي عـالمي، وجغرافي قسم العالم منطقتين هما:

الأولى: منطقـة الاتفـاق الأوروبي، وفيـه تمـارس القـوى الكـبرى في العـالم احتـواء الخلافـات السياسية على المسرح العالمي بصورة عامـة، وعـلى المسرـح الأوروبي بصـورة خاصـة. وذلك بصورة اجتماعات منظمة.

الثانية: بقية دول العالم حيث لا وجود لمثل هذا التنسيق الأوروبي.

جدول (٦)

الدورات الطويلة والأنظمة الجيوبولوتيكية العالمية
Long cycles and geopolitical world orders.

دورات كوندارتيف	دورات الهيمنة	الأنظمة الجيوبولوتيكية العالمية
١٧٩٠-١٧٩٨ المرحلة (أ)	دورة الهيمنة البريطانية الهيمنة الصاعدة (الحلف الكبير)	(الحروب النابليونية كعنصر مقاومة- فرنسية- للهيمنة البريطانية الصاعدة)
١٨١٥-١٨٢٥	الهيمنة المنتصرة (توازن القوى عبر "تفاهم أوروبا")	تفكك النظام العالي القائم على "الهيمنة والتنسيق المشترك"
المرحلة (ب) ١٨٧٠-١٨٧٥ ١٨٩٠-١٨٩٦	اضمحلال الهيمنة (عصر الإمبريالية، الميركنتيلية الجديدة)	النظام العالمي القائم على "المنافسة والتنسيق" فترة انتقال (١٨٦٦-١٨٧١) - (ألمانيا تهيمن في أوروبا وبريطانيا لا تزال القوة العالمية الأعظم)
المرحلة (ب) ١٨٩٠-١٨٩٦	دورة الهيمنة الأمريكية الهيمنة الصاعدة (قوة عظمى تتجاوز حدود الأمريكتين)	تفكك النظام العالمي لما بعد الهيمنة البريطانية فترة انتقال (١٩٠٤-١٩٠٧)
المرحلة (أ) ١٩١٣-١٩٢٠	الهيمنة المنتصرة (فراغ لم يشغل بعد في موقع القوة الأعظم)	ألمانيا والولايات المتحدة تلحقان ببريطانيا كقوة عظمى، حربان عالميتان تحسمان أمر الخلافة
المرحلة (ب) ١٩٤٠-١٩٤٥	نضج الهيمنة (زعامة لا تنازع للعالم الحر)	تفكك النظام العالمي القائم على "الحرب الباردة" فترة انتقال (١٩٤٤-١٩٤٦)
المرحلة (أ) ١٩٦٧-١٩٧٣	اضمحلال الهيمنة (المنافسة الأوروبية واليابانية)	الهيمنة الأمريكية يتحداها البديل الأيديولوجي المطروح من قبل الاتحاد السوفيتي
المرحلة (ب) ١٩؟؟	دورة هيمنة جديدة	تفكك عالمي جديد فترة انتقال (١٩٨٩-؟؟)

المصدر: Peter and Colin. P ٧٣ .

هذا التوجه الأوروبي جاء في وقت تصاعد الهيمنة البريطانية التي احتفظت لنفسها بممارسة فعلية لمنع ظهور قوة أوروبية تناطحها على الساحة العالمية كما فعل نابليون بونابرت، بل أطلق يد بريطانيا في ممارسة الهيمنة على العالم بما يمكن أن نطلق عليه "نظام عالمي من الهيمنة والتنسيق المشترك" حتى منتصف القرن التاسع عشر (الحرب الأهلية في الولايات المتحدة الأمريكية، وتوحيد إيطاليا، وتحديث كل من روسيا والدولة العثمانية واليابان وقيام الوحدة الألمانية). هذا يعني ظهور قوى عالمية كبرى أي تفكك سيطرة القوة البريطانية المهيمنة (١٧).

إن أول نقله جيوبولوتيكية كانت عام ١٨٧٠-١٨٧١، عندما انتصرت ألمانيا على فرنسا، وقيام الدولة الألمانية القوية المهيمنة على أوروبا، رافقه هزيمة للهيمنة البريطانية التي أصبحت في خبر كان. ثم ظهر فيما بعد قوتين مهيمنتين هما: القوة الألمانية والقوة البريطانية، أطلق على هذه المرحلة عهد السلام الطويل، في ظل المنافسة البريطانية والألمانية وفي ظل التنسيق الجماعي لأوروبا سعت ألمانيا في ظل "السلام الطويل" إلى تعزيز مكانتها في أوروبا، كما انصرفت بريطانيا لتعزيز قوتها خارج قارة أوروبا، إلا أنه وفي نهاية القرن التاسع انهار النظام العالمي، ورافقه ظهور حلف وقع عام ١٨٩٤ بين فرنسا وروسيا، وظهور قوة الولايات المتحدة الأمريكية واليابان، وتعرض بذلك النظام العالمي للانهيار [١٨].

وفي نهاية القرن التاسع عشر، انهارت الهيمنة البريطانية وولت أيامها اقتصادياً مع بقاء شرابيش قوتها السياسية ذات أثر فاعل في كثير من دول العالم، ورسمت بريطانيا لنفسها سياسة خارجية جديدة أخرجتها من تراجعها كقوة مهيمنة، إذ وقعت اتفاقاً بحرياً مع اليابان عام ١٩٠١، وحلفاً مع فرنسا عام ١٩٠٤، ومع روسيا عام ١٩٠٧، بهدف مواجهة بريطانيا لقوة ألمانيا الصاعدة في أوروبا، وضرب القوى الأوروبية بعضها ببعض تنفيذاً لشعار الإنجليز المعروف "فرق تسد" وما وقوف بريطانيا بقوة بجانب الولايات المتحدة لغزو العراق عام ٢٠٠٣ مناهضة بذلك الموقف الأوروبي بصورة خاصة والعالمي بصورة عامة إلا مؤشر على تشبث بريطانيا بشعارها فرق تسد.

وقد وصف (لانجهورن Langhorne) اتفاقات بريطانيا مع كل من فرنسا وروسيا بالاتفاقين المستحيلين، إلا أن الواقع هذا هو طبيعة فترات الانتقال الجيوبولوتيكية حيث يصبح غير الممكن ممكن، والغريب مألوف [١٩].

وقد استمر هذا النمط من النظام العالمي حتى هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥.

وتجدر الإشارة أن الحربين العالميتين الأولى والثانية كانتا من نتاج المحاولات البريطانية لتأمين سيادتها السياسية على العالم.

ومنذ عام ١٩٠٠-١٩٥٠ كان جل السياسة الأمريكية الحيلولة دون تبوء ألمانيا مركز الهيمنة في أوروبا أو العالم بسواء، والحيلولة دون أن تصبح ألمانيا أسد أوروبا بعد أفول نجم الأسد البريطاني [٢٠].

الحرب الباردة كنظام جيوبولوتيكي عالمي the cold war as a geopolitical world order

تعد سنة ١٩٤٥ بداية تاريخ الهيمنة الأمريكية على العالم. إذ خرجت من الحرب العالمية الثانية سالمة معافاة من الدمار الذي حل بالقوى الأوروبية والعالمية (بريطانيا وألمانيا وفرنسا وروسيا واليابان وإيطاليا). بل مُصدرة لنحو ٥٠% من الإنتاج العالمي. إلا أنه ومن المنظور الجيوبولوتيكي قوبلت الهيمنة الأمريكية بالند على المستويين الأيديولوجي والعسكري تمثل في الاتحاد السوفيتي لنحو ٤٥ عاماً انتهى هذا الند عام ١٩٩٠، أي بتفكك الاتحاد السوفيتي. تعد الفترة التالية للحرب الثانية فترة انتقال، ندرك مدى التغيير في الوضع العالمي قبل وبعد فترة الانتقال من تدارس حدثين هما:

في عام ١٩٣٨ حدثت مفاوضات بين ألمانيا وبريطانيا تجنباً لحرب عالمية ثانية. وبالمقابل في عام ١٩٤٨ حدثت مشادة بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة على برلين كادت تؤدي إلى حرب عالمية ثالثة، بمعنى أن الفترة الواقعة بين ١٩٣٨-١٩٤٨ حملت في طياتها الكثير من التحديات العالمية والتوترات أدت إلى ظهور نظام جيوبولوتيكي عالمي جديد.

فالحرب الباردة سريعاً ما ظهرت عام ١٩٤٥ بين حلفاء الأمس ليصحبوا أعداء اليوم، بدأ للسياسيين آنئذ لغزا في حاجة إلى حل وصولاً إلى أسباب الحرب الباردة، التي تمثلت في مدرستين باتجاهين مختلفين هما [٢١]:

١. المدرسة التقليدية التي تمثلت في إلقاء اللوم على الاتحاد السوفيتي في سياسة التوسعة، كان رد فعل الولايات المتحدة انتهاج سياسة الاحتواء.

٢. المدرسة التعديلية إذ رجّعت أسباب الحرب الباردة إلى افتعال حرب فيتنام من قبل الولايات المتحدة. وبين هاتين المدرستين ظهرت دراسات تثير الجدل حول دور بريطانيا في صنع الحرب الباردة [٢٢].

تمثل الوضع الجيوبولوتيكي العالمي في أعقاب الحرب العالمية الثانية بالميوعة السياسية والنظرة الفوقية، فقد برزت القوى العالمية الثلاث المنتصرة في الحرب. فالولايات المتحدة الأمريكية وضعت الأولويات الاقتصادية أولى أهدافها لغزو أسواق العالم أمريكياً، أما بريطانيا وضعت قضية الحفاظ على وضعها كقوة عالمية عظمى فوق كل اعتبار. أما الاتحاد السوفيتي فكان همه تأمين السيطرة على حدوده الغربية مع أوروبا.

في أعقاب الحرب العالمية الثانية تمثلت أمنيات الرئيس الأمريكي روزفلت في قيام عالم واحد مستقر اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً. هذا المفهوم المثالي للعالم احتاج إلى تأسيس وإنجاح هيئة الأمم المتحدة، ونبذ سياسة القوة والهيمنة.

والعالم يتساءل من أين جاء سر تفكك الحلفاء بعد الحرب الثانية؟

للإجابة على السؤال، نحلل (الشكل ٨) الذي يمثل العلاقات الثنائية بين الثلاث الكبار الذين خرجوا من الحرب الثانية منتصرين على المحور. هذه العلاقات تمثلت بـ:

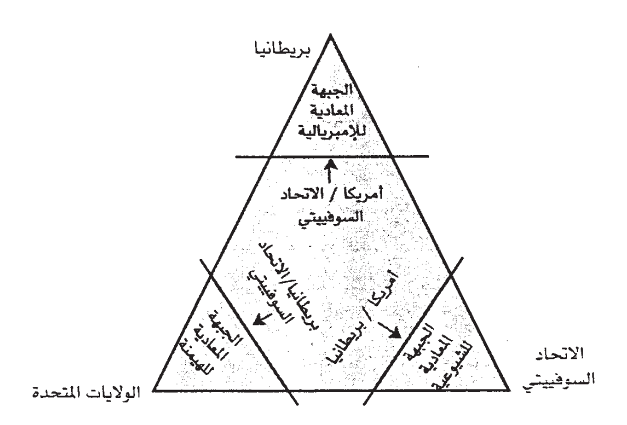
١. محور رافض للهيمنة الأمريكية تمثل بمحور الاتحاد السوفيتي بريطانيا.

٢. محور رافض للإمبريالية البريطانية، تمثل بمحور الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية.

٣. محور رافض للشيوعية ضد الاتحاد السوفيتي، تمثل بمحور بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية.

الشكل (٨)

البدائل المختلفة للعوالم ثنائية القطبية في العام ١٩٤٥



وقد كانت بريطانيا المشكلة الحقيقية بين القوى الثلاث، ففي حين تملك كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي مقومات جغرافية قوية كالمساحة وعدد السكان والثروات الطبيعية...الخ. في حين تعتبر بريطانيا جزيرة ليست لها المقومات الجغرافية التي تضعها بمرتبة الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي. لذا وضعت بريطانيا نفسها في ضرورة الإبقاء عليها كقوة عالمية تماماً مثل شريكها بالحرب (الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة). استوجب ذلك حصول بريطانيا على مساعدات مالية من الولايات المتحدة، دفعت مقابلها فتح أبواب بريطانيا ومستعمراتها لرجال الأعمال الأمريكيين، على أمل أن تصمد بريطانيا كقوة منيعة أمام الزحف الشيوعي القادم من الاتحاد السوفيتي وقد عبر عن ذلك الكاتبان كولكو وكولكو، (Kolko and Kolko) بقولهما: "إن سياسة الولايات المتحدة الخارجية بهذا الموقف قد تحولت من دائرة التفاوض إلى خيار الحملات العدائية" (٢٣).

وبمناصرة بريطانيا لتوجهات السياسة الخارجية للولايات المتحدة مكنت لنفسها من وضع يدها بيد أكبر قوة مهيمنة على العالم، مع العمل الفعلي لتقويض العلاقات الدولية القائمة على مفهوم "الثلاثة الكبار المنتصرين في الحرب الثانية بطرائق عدة نوجزها بالآتي (٢٤):

١. معارضة بريطانيا للاتحاد السوفيتي في اجتماعات وزراء الخارجية للدول الأوروبية والولايات المتحدة في فترة السبعينات والثمانينات.

٢. مصطلح الستار الحديدي حول الاتحاد السوفيتي مصطلح من الصياغة والأفكار البريطانية.

٣. إعلان الولايات المتحدة الأمريكية أنها ستقف بقوة إلى جانب الشعوب الحرة في كل مكان من العالم، هي رسالة موجهة أولاً وأخيراً ضد الاتحاد السوفيتي ومثلت بذلك بداية الحرب الباردة بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية.

مهما قيل عن الهيمنة الأمريكية، ظلت السياسة الخارجية البريطانية الموجه الحقيقي للسياسة الخارجية الأمريكية أعقاب الحرب الثانية وأثناء الحرب الباردة، والمستفيدة الأولى من مشروع مارشال، الذي قدمت بمقتضاها المساعدات الأمريكية لدول أوروبا الغربية، ولها دور أساسي في قيام منظمة حلف شمال الأطلسي. هذا العالم الجديد بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية مربوط بصورة أو بأخرى بعلاقة خاصة ببريطانيا بوصفها وكيل الأعمال المؤتمن للولايات المتحدة فالتخطيط بريطاني والتنفيذ أمريكي. أما الاتحاد السوفيتي فقد بقي غريباً تلفه وحشة السياسة الخارجية البريطانية وتابعها السياسة الأمريكية الارتجالية هذه السياسة لمسها العالم عند قيام الولايات المتحدة الأمريكية غزوها العراق في عام ٢٠٠٣.

نخلص إلى القول أن الحرب الباردة كانت ناتجاً ثانوياً نجم عن السياسة البريطانية التي وضعت لنفسها سياسة الحفاظ على موقع بريطانيا كقوة عظمى، وجاء حلف الناتو عام ١٩٤٩ ليضع بريطانيا النائب الأول للولايات المتحدة الأمريكية في النظام العالمي الجديد، أي وضعها من دولة مفلسة، بعد الحرب الثانية إلى دولة مستفيدة من الخيرات الأمريكية على حساب معادات الاتحاد السوفيتي الفقير، ومناصرة الولايات المتحدة الغني.

مراحـل الحـرب البـاردة: Phases of the Cold War

استخدم برنارد باروخ مصطلح الحرب الباردة لوصف حالة التوتر بـين الولايـات المتحـدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي التي سادت بين الدولتين بعد الحرب العالمية الثانية [٢٥].

تمثلت الحرب الباردة عملياً بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية في الفـترة مـن ١٩٤٧-١٩٨٩ ويرجـع مصـطلح الحـرب البـاردة إلى والترلـبمان Waltar Lippman عـام ١٩٤٧. قاصداً المقارنة بين الخلافات الحادة بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي بعد الحرب الثانية، وبين الحرب الساخنة مع ألمانيا، ماذا تعني الباردة وماذا تعنـي السـاخنة؟ فالباردة اتخاذ موقف الترقب بدلاً من الاصطدام المسلح.

وفي حالة التفاوض بين القوتين العظميين أثناء الحرب الباردة يطلق عليه تذويب الحـرب الباردة. أما الساخنة فتعني استخدام القوة العسكرية.

قسم هاليداي الحرب الباردة (Halliday) إلى أربع مراحل هي [٢٦]:

أولاً: الحرب البـاردة الأولى (١٩٤٧-١٩٥٣)، وفي هـذه المرحلـة وقعـت المواجهـة بـين الاتحـاد السوفيتي والولايات المتحدة في منطقة الحافـة، ويوضـح (الشـكلان ٩، ١٠) منـاطق نفوذ القوتين في المناطق الداخلية والخارجية لمنطقة الحافة. وتعـرف كثافـة التركـز في الشكلين: على أنها مستوى التفاعـل الصراعي أو التعـاوني مـن أجـل توضـيح تركيبـة مجالات المصالح المتعارضة للقوتين العظميين.

ثانيـاً: مرحلـة العـداوة المتذبـذة (١٩٥٣-١٩٦٩) شـهدت هـذه المرحلـة أزمـات بـين القـوتين العظميين من السخونة والبرودة والذوبان. وانتقل نشـاطهما مـن منطقـة الحافـة إلى منطقة الشرق الأوسط (فلسطين)، وجنوب شرق آسيا (فيتنام) مع منطقـة الحافـة في النصف الأول من المرحلة. (الشـكلان ١١،١٢) وفي النصـف الثـاني مـن الفـترة حـدثت مواجهات ساخنة وراء الجزيرة العالمية (أزمة الصـواريخ الكوبيـة عـام ١٩٦٢)، لترسـم أزمـة الصـواريخ خريطـة المنافسـة بـين القـوتين العظميـين بـين عـامي ١٩٦٣-١٩٦٨ (الشكلان ١٤،١٣)

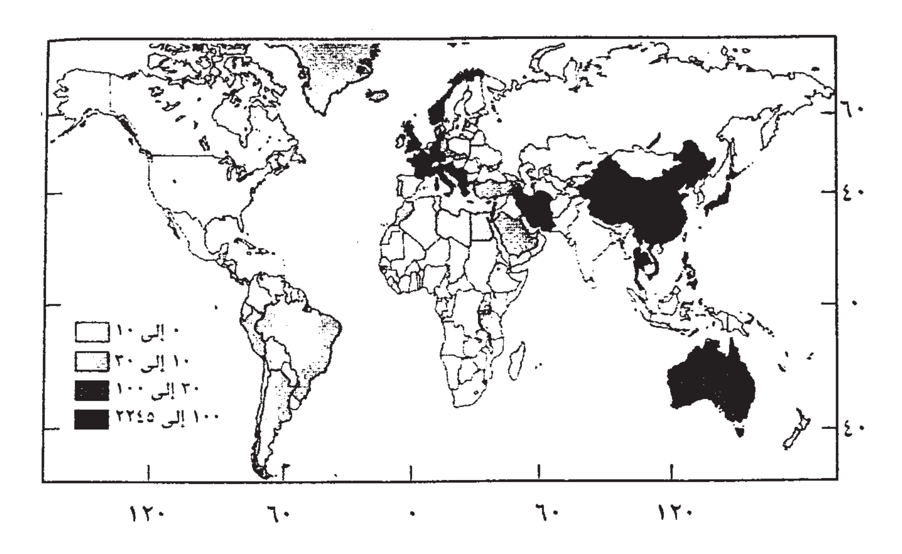
فظهرت قوة الولايات المتحدة في أمريكيا الجنوبية، أما الاتحاد السوفيتي فظهر نفوذه في أفريقيا جنوب الصحراء.

ثالثاً: مرحلة ذوبان الجليد والوفاق الدولي بين القوتين العظميين لحل المشكلات بينهما بالمفاوضات (١٩٦٩-١٩٧٩)، في الوقت الذي تستمر به المشكلات في الشرق الأوسط وجنوب أفريقيا وأمريكيا الوسطى.

رابعاً: مرحلة الحرب الباردة الثانية (١٩٧٩-١٩٨٩). ويوضح (الشكل ١٤) استمرار الخلافات في أنجولا والصومال وأفغانستان وإيران وبولندا، أي أن مشكلات الدول الصغيرة المشار إليها عكست أفعال القوتين العظميين وشكلت هذه المرحلة بداية تفكك النظام الجيوبولوتيكي بينهما(٢٧).

الشكل (٩)

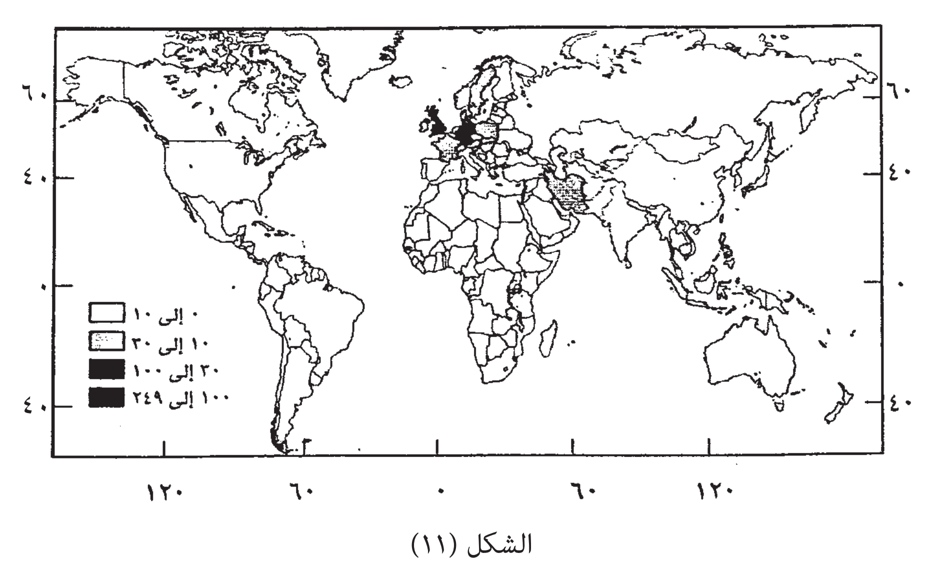
جغرافيا الوجود العسكري الأمريكي مقاساً بمعدل الكثافة السنوي، ١٩٤٨-١٩٥٢ (عن: Nijman ١٩٩٢)



المصدر: عبد السلام رضوان، ص ١٤٢، عن نجمن ١٩٩٢

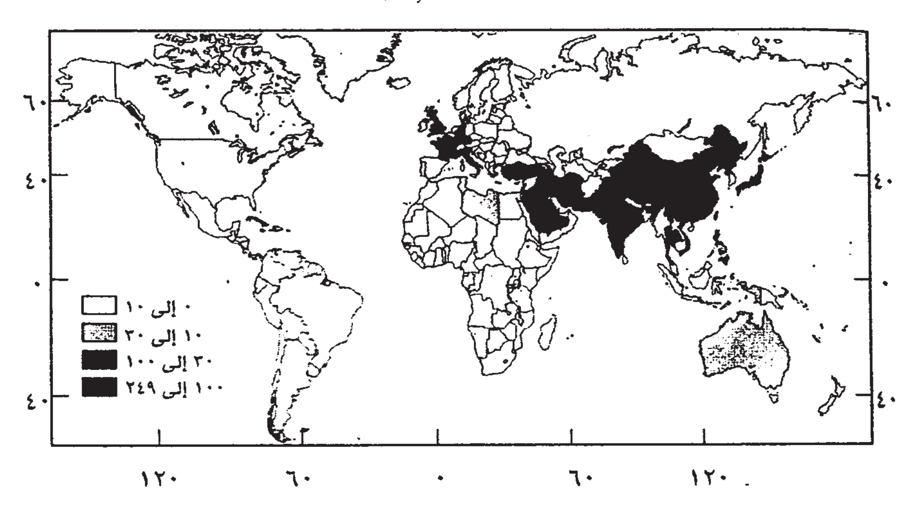
الشكل (١٠)

جغرافيا الوجود العسكري السوفيتي مقاساً بمعدل الكثافة السنوي، ١٩٤٨-١٩٥٢ (عن: Nijman ١٩٩٢)



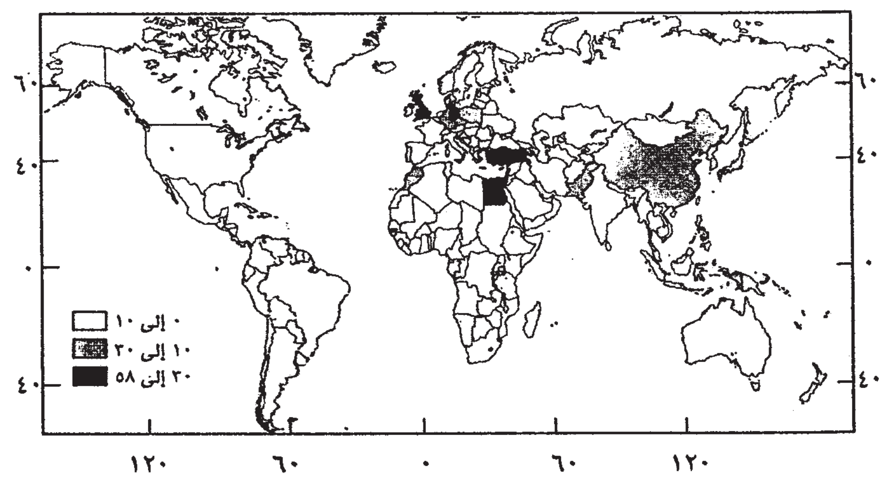
الشكل (١١)

جغرافيا الوجود العسكري الأمريكي مقاساً بمعدل الكثافة السنوي، ١٩٥٣-١٩٦٢ (عن: Nijman ١٩٩٢)



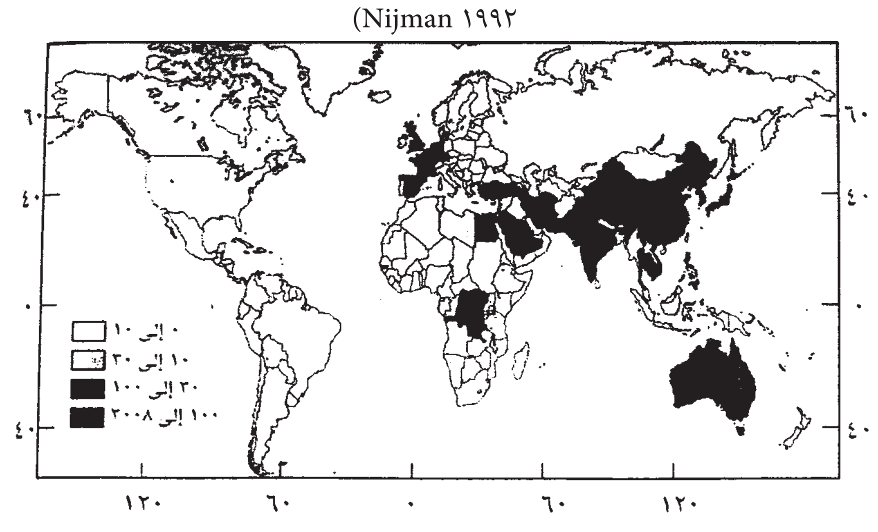
الشكل (١٢)

جغرافيا الوجود العسكري السوفيتي مقاساً بمعدل الكثافة السنوي، ١٩٥٣-١٩٦٢ (عن: Nijman ١٩٩٢)



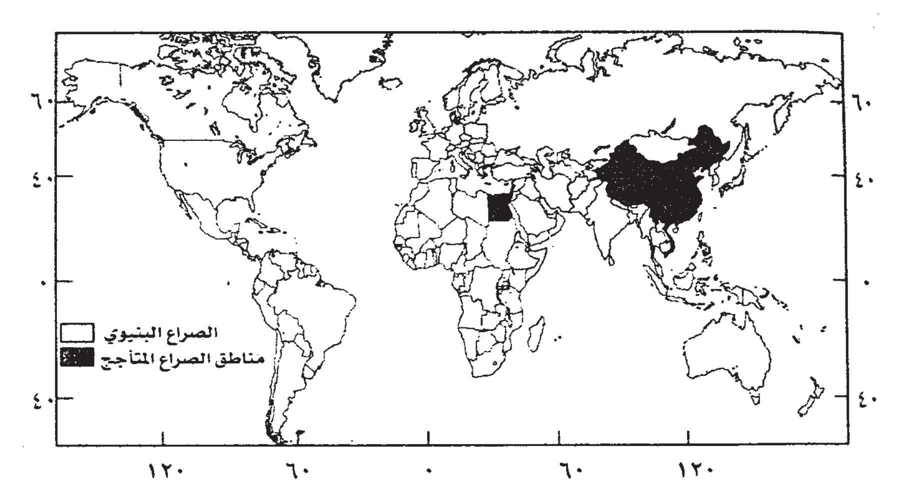
الشكل (١٣)

جغرافيا الوجود العسكري الأمريكي مقاساً بمعدل الكثافة السنوي، ١٩٥٣-١٩٦٢ (عن: Nijman ١٩٩٢)



الشكل (١٤)

جغرافيا الوجود العسكري السوفيتي مقاساً بمعدل الكثافة السنوي، ١٩٥٣-١٩٦٢ (من: Nijman ١٩٩٢b)



والحق أنه ينبغي الإشارة إلى أن تفكك النظام الجيوبولوتيكي العالمي بدأ بمجيء جورباتشوف إلى الحكم في الاتحاد السوفيتي عام ١٩٨٥ وليس عام ١٩٨٩. وذلك لدخول السوفيت اللعبة الاقتصادية العالمية ورضوخه للقروض من البنك الدولي ...كلها عوامل جعلت جورباتشوف يدخل إصلاحات اقتصادية أو إعادة الهيكلة (البروسترويكا)، وإصلاحات سياسية، وصيفة (الجلازنوست) أو المصارحة. كان ثمار هذه السياسة انهيار الاتحاد السوفيتي وتوليد ١٥ دولة جديدة من أراضيه، وانهيار النظام العالمي القائم آنذاك، وقيام الولايات المتحدة بأعمال عسكرية بصورة منفردة احتلت بها أفغانستان والعراق عسكرياً في بداية الألفية الثالثة، والسيطرة الفعلية على السياسات الخارجية للدول النامية، وإظهار الفوقية لكل من روسيا والصين واليابان وألمانيا وفرنسا...الخ.

موجبـات الحـرب البـاردة:

برزت الحرب الباردة بعد الحرب العالمية الثانية كحقيقة واقعـة يـبن الاتحـاد السـوفيتي والدول الصديقة له من جهة، وبين الولايات المتحدة وحلفائها من جهة أخرى للأسباب الآتية:

١. انتشار الشيوعية خصوصاً في دول العالم النامي.

٢. مساندة السوفيت لحركات التحرر في العالم.

٣. زيادة عدد الدول الصديقة للسوفيت.

٤. ميل شعوب العالم النامي للسوفيت.

٥. بناء السوفيت قوة صاروخية نووية.

٦. رغبة من الولايات المتحدة بالعودة إلى عصر الاستعمار.

وقد ظن العالم أن الحرب الباردة قد انتهت بتفكك الاتحاد السـوفيتي عـام ١٩٩٠، إلا أن الحرب الباردة سرعان ما حولتها الولايات المتحدة على الإسـلام وعالمـه [٢٨]. فالولايـات المتحـدة بعد أحداث ١١ أيلول عام ٢٠٠١ افتعلت عدواً لها وهو الإسلام أينما وجد زوراً وبهتاناً.

الجيوبولوتيكـا بعـد الحـرب البـاردة:

إنه ليس من السهل تصور النظام الجيوبولوتيكي العالمي القادم ونحـن الآن عـلى أعتـاب عام ٢٠٠٤، وفيه نشهد قوة الولايات المتحدة الأمريكية فقط تجول وتصول في أرجاء المعمـورة دون حسيب أو رقيب، مدعيه أنها الوحيدة المعافاة، وهي القوة الأعظم التي كتب لها البقـاء على الساحة العالمية، وأنها تعمل على بناء نظام عالمي جديـد حسـبما تـراه وحـدها، وتحـت قيادتها وسيادتها، دون الأخذ لاعتبار أيٍ كان. إلا أن التاريخ علمنا أنـه لـيس بمقـدور أيٍ كـان من القوى العظمى الاضطلاع بمسؤولية حفظ السلام العالمي وحدها لوقت طويل.

والأمانة العلمية لا تجيز لأي خبـير أن يطـرق الكيفيـة التـي سـوف تكـون عليهـا صـورة توزيع القوى العالمية على الساحة الجغرافية في المستقبل القريب، فهذا

الوقت هو من الأوقات العالمية الحرجة. وتفرض علينا الأحداث العالمية التي عايشناها أعوام ٢٠٠١ و ٢٠٠٢ و ٢٠٠٤ المتمثلة بإصرار الولايات المتحدة الأمريكية فعل كل ما تراه مناسباً للإبقاء على هيمنتها العالمية بعد أحداث ١١ أيلول عام ٢٠٠١، إلا أن التاريخ علمنا أن هناك أخطاء قاتلة، فماذا ينتظر الولايات المتحدة في العراق أولاً؟ وفي جميع بؤر الصراع في العالم ثانياً؟

ولمحاولة معرفة ماذا سيحصل للعالم بصورة عامة وللولايات المتحدة الأمريكية بصورة خاصة، علينا أن ندرك أن هذه الفترة من ٢٠٠٠-٢٠٠١ هي نقلة جيوبولوتيكية ليس من السهل التكهن بما ستؤول إليه الأحداث السياسية في العالم.

نعود الآن إلى سؤالنا الأصلي: ما شكل العالم السياسي حتى عام ٢٠١٠؟ نقول أن بعض الكتاب مثل يوهان جالتونج (Johan Galtung) قدم رؤى بديلة للحرب الباردة، قد تكون رؤية لمعرفة شكل العالم الجديد، كما قد يكون من المفيد مناقشة بعض أوراق ما تم طرحه في ندوة الجغرافيا السياسية التي عقدت في ميامي عام ١٩٩٢.

أعلن الرئيس الأمريكي نيكسون عام ١٩١٧ أن في العالم تعددية قطبية تتمثل في خمسة قوى عالمية في المنظومة الجيوبولوتيكية هي: الصين واليابان وأوروبا الغربية والاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية. هذه القوى الخمس تغطي نصف سكان العالم.

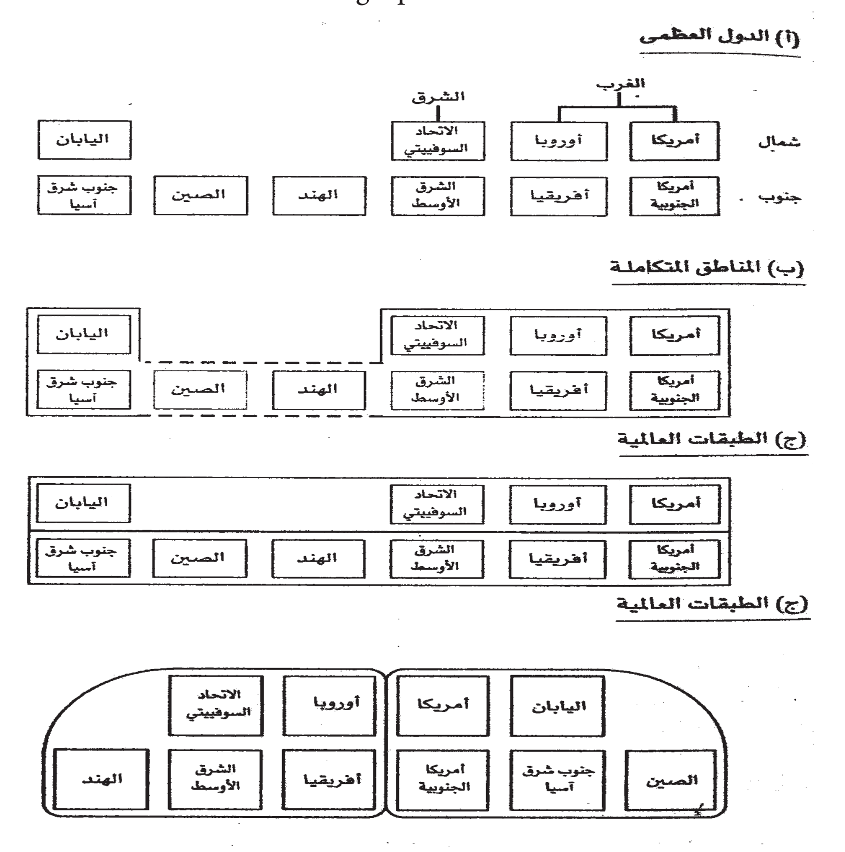
وبالمقابل قدم جالتونج نموذجاً للتركيب الإقليمي للقوى العالمية (شكل ١٥أ) أوضح فيه عشرة قوى عظمى هي:

- الولايات المتحدة وكندا.
- دول أوروبا الغربية.
- الاتحاد السوفيتي ودول أوروبا الشرقية.
- اليابان.
- أفريقيا.
- الشرق الأوسط.
- الصين.
- الهند ودول جنوب آسيا.
- جنوب شرق آسيا وجزر المحيط الهادي.
- أمريكيا الجنوبية.

الشكل (١٥)

سيناريوهات جيوبولوتيكية بديلة

Alternative geopolitical scenarios



تمايز القوى العشر في نموذج جالتونج اقتصادياً وسياسياً، وأقوى هذه القوى هو الولايات المتحدة وكندا، ثم أوروبا الغربية، ثم اليابان ثـم الصـين. أما قـوى أفريقيـا والشرق الأوسـط وجنـوب آسـيا للتعـاون الإقليمـي (SARC) ، ودول جنـوب شرق آسـيا (ASEAN)، ودول أمريكيا الجنوبية، وروسيا ودول أوروبا الشرقية الملحقة بأوروبا الغربية، تمتلك كـل منهـا بنيـة تحتية قوية وثروات طبيعية لم تستغل بعد.

واقترح جالتونج عام ١٩٧٩ سيناريوهات جيوبولوتيكية مستقبلية، أولها أن القوى العشر ستبقى في حرب تجارية وثانيهما أن هذه القـوى مرحلـة مـن مراحـل التـاريخ قابلـة للتبـدل، ليطرح مفهوم المناطق المتكاملـة اقتصـادياً، (شـكل ١٥ب)، حـدد فيـه أربـع دول عظمـى في شمال الكرة الأرضية مع دول مجاورة في الجنوب أي أن هنـاك أربـع منـاطق متكاملـة والتـي تشمل الهند والصين أو تتركهما كقوى مستقلة.

أما السيناريو الثالث فإنه يضع الشمال بمواجهـة الجنـوب (الشـكل ١٥ ج). أطلـق عليـه مصطلح الطبقات العالمية [٢٩].

لا بد من تصور شكل ما أو من هو البديل ليخلف الولايات المتحدة الأمريكية مع بـوادر تداعي الهيمنة الأمريكية في بداية القرن الواحد والعشرين. تشير الـدلائل إلى أن اليابـان هـي المرشح الأكثر حظاً على الساحة الاقتصادية لترث الهيمنـة عـلى العـالم، إذ أن الـدول العظمـى وعـلى رأسـها الولايـات المتحـدة الأمريكيـة تـتمادى في نشـاطاتها العسـكرية، مـما يوقعهـا في منزلقـات اقتصـادية وسياسـية وعسـكرية مميتـة آجـلاً أو عـاجلاً، إذ أن ركـوب آلـة الحـرب العسكرية كان هو المقتل لقوى عظمى سابقة في التاريخ فهل ستلقى الولايـات المتحـدة هـذا المصير في السنوات القليلة القادمة من مسـتهل العقـد الأول مـن القـرن الواحـد والعشرـين؟ وهل اليابان كقوة اقتصادية صاعدة غير مكبلة بأي التزامات عسكرية عـلى السـاحة العالميـة ستصبح قوة مهيمنة خلفاً للولايات المتحدة ونحن نراها في الوقت الحاضر تصاعد آلة الحـرب الأمريكية في أفغانستان والعراق وغيرها من مناطق العالم بل تجر اليابان عسـكرياً لمسـاعدتها في العراق.

إلا أن الجغرافيا السياسية لا تضع اليابان في مرتبـة الـدول العظمـى عسـكرياً واقتصـادياً وسياسياً، فهي ذات مقومات جغرافية تحمل في طياتها نقاط ضعف كالمساحة وعدد السـكان وحجم الموارد الطبيعية والموقع الجغرافي فهي جميعاً تشير إلى أنها أصغر بكثير مـن الولايـات المتحدة، لذا لا يرجح خلافة اليابان للولايات المتحدة، لأنها ليست مؤهلة لذلك.

والحق أنه قلما تجد من علماء دراسات القوة يرشـح اليابـان لـكي تتبـوأ قيـادة العـالم في النصف الأول من القرن الواحد والعشرين. وهذا ما ينسحب على الصين أو فرنسا أو بريطانيـا أو ألمانيا في الوقت الحاضر ولغاية ٢٠١٠. ولمعرفة من سـيخلف الولايـات المتحـدة لا بـد مـن النظر في مناقشات ندوة الجغرافية السياسية عام ١٩٩٢.

الجيوبولوتيكيـة في نـدوة الجغرافيـا السياسيـة في ميامـي:

تمخضت الحرب الباردة عن جيوبولوتيكا معقدة المعالم والأبعاد، جاءت مفصلة في نـدوة الجغرافيا السياسية التي عقدت في عام ١٩٩٢ في مدينة ميامي في فلوريدا الأمريكية، من هذه الآراء [٣٠]:

١. يعتقد دي بليج (De Blij) أن قوة الاتحـاد السـوفيتي العسـكرية، وموقعـه المـؤثر عـلى قلب العالم (قلب أوراسيا) ما تزال باقية.

ومن ثم ستبقى روسيا (وريثة الاتحاد السوفيتي) مرشحة للعودة كأحد قطبي الهيمنة عـلى العالم. وأن صعود الولايات المتحدة إلى قمة السلم وتربعها كقـوة وحيـدة مهيمنـة عـلى العالم سوف يكون أمراً قصير الأجل[٣١].

٢. يرى تيلور، أن نموذج جالتونج عن الطبقات العالميـة هـو الأقـوى كسـيناريو أنجـح، فهـو يستقرئ صعود الإسلام كقوة عالمية في القرن الواحـد والعشرـين، فالمقومـات الجغرافيـة للعالم الإسلامي تتمثل بالمساحة الجغرافية الكبيرة وعدد السكان البـالغ أكـثر مـن مليـار نسمة، وامتلاكه ثروات اقتصادية ومصادر الطاقة ...الخ تؤهلـه لـكي يصـبح قـوة عالميـة على الساحة العالمية.

هـذان الرأيـان الجيوبولوتيكيـان لكـل مـن دي بلـيج وتيلـور، تمـثلان رأي الأقليـة في نـدوة الجغرافيا السياسية.

٣. رأي جون أولوفلن (John O'loughlin) بدائل مستقبلية هي:

أ. انفراد الولايات المتحدة الأمريكية بالتحكم بالسياسة العالمية رغـم التـدهور النسـبي في اقتصادياتها، لأنها ما زالت أكبر قوة اقتصادية عـلى السـاحة العالميـة. مضـافاً إلى ذلـك قوتها العسكرية وتبوءها رقم واحد في الترتيبـات العالميـة للقـوة. إلا أن هـذا لا يعنـي بالتأكيد أنها تمتلك الموارد أو الإرادة لكي تصبح قائد العالم الأوحد ولفترة طويلة.

ب. ما أطلق عليه أولوفلن مصطلح "عالم ثنائي الأقطاب في ثوب جديد"، كقيام قوة يابانية - صـينية، وقـوة أخـرى في الولايـات المتحـدة الأمريكيـة، أو ظهـور الكتلـة الباسـيفكية العظمى، وأوروبا العظمى أيضاً.

تأسيساً على ما سبق ليس من السهل على الجغرافي السياسي القطع حالياً بالوريث الشرعي لقوة الولايات المتحدة الآيلة للأفول مع عام ٢٠١٠ هل روسيا أم الإسلام أم أوروبا أم اليابان أم الصين أم من؟

وإذا جاز لي القول فإن أوروبا بالتعاون مع بعض الدول الإسلامية وبعض دول شرق وجنوب آسيا ومع روسيا ستكون هي الوريث للولايات المتحدة الأمريكية، أو المحدد لاستمرار الولايات المتحدة بالصعود إلى أعلى على حساب جميع القوى في العالم.

المبـادئ الجيوبولوتيكيـة: Geopolitical Codes

المبادئ الجيوبولوتيكية Geopolitical Codes هي مجموعة الفرضيات الإستراتيجية التي تضعها دولة فيما يتعلق بالدول الأخرى في صياغتها لسياستها الخارجية. وتتضمن هذه المبادئ تقسيم المناطق الجغرافية الواقعة وراء الحدود السياسية للدولة، من ناحية أهميتها الإستراتيجية، واحتمال أن تصبح مصدر تهديد لأمنها، وتصوراتها لتلك الدول الواقعة وراء حدودها.

ويتطلب من الدولة تقييم الأوضاع على ثلاث مستويات: المحلي، الإقليمي، والدولي، فعلى المستوى المحلي يفترض بالدولة تقييم أوضاع دول الجوار الجغرافي لها.

وعلى المستوى الإقليمي تقييم وزنها الإقليمي والاطلاع على أطماع الدول على حساب جيرانها، وعلى المستوى العالمي يكون خاصاً بالدول ذات السياسات العالمية، ومن ثم تضع لنفسها مبادئ جيوبولوتيكية عالمية، إلا أن كل دول العالم صغيرة وكبيرة لديها مبادئ جيوبولوتيكية محلية، وكثيراً منها لديها مبادئ جيوبولوتيكية إقليمية، وعدد قليل من دول العالم لديها مبادئ جيوبولوتيكية دولية.

ويسوق بارلت مثالاً على قوة عظمى كانت في أثناء الحرب العالمية الأولى تتحرك في استراتيجيتها على المستويات الثلاث: المحلي والإقليمي والدولي، وهي دولة ألمانيا فعلى المستوى المحلي كانت الحرب بالنسبة لها ضد فرنسا، وعلى المستوى الإقليمي تعني الحرب العالمية الأولى الوقاية من خطر الاتحاد السوفيتي. وعلى المستوى الدولي تعني تحجيم بريطانيا وهيمنتها على العالم [٣٢].

سياسة الاحتواء: المبادئ الجيوبولوتيكية للهيمنة الأمريكية:

تركزت سياسة الولايات المتحدة الأمريكية أثناء فترة الحرب الباردة في مصطلح الاحتواء بمعنى الوقوف في حالة تأهب دفاعية ضد عدو (الاتحاد السوفيتي) وتطلب هذا تنفيذ عائلة من المبادئ الجيوبولوتيكية، لخصها جورج كينان في كتاباته عن السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية في الخمسينات من القرن العشرين.

المبادئ الجيوبولوتيكية عند جورج كينان [٣٣]:

كينان أمريكي له دراية بشؤون الاتحاد السوفيتي، كتب من مقر عمله في موسكو عام ١٩٤٦ إلى واشنطن، رسالة مؤداها أنه ليس من السهل التعايش بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة بعالم واحد؛ لأن السوفيت بتقديره لهم عالمهم الخاص في السياسة الدولية.

في عام ١٩٤٧ انتهجت الولايات المتحدة خطاً سياسياً أكثر تشدداً تجاه الاتحاد السوفيتي (الصبر مع الجزم)، وتبلورت السياسة الأمريكية الخارجية بخطاب ترومان القائم على سياسة الاحتواء الكامل، إلا أن المحللين السياسيين يعتبرون خطاب ترومان المتشدد نتيجة للسياسة البريطانية، حيث أعلنت بريطانيا سحب قواتها من تركيا واليونان، وتعهد ترومان بالوقوف بجانب الشعوب الحرة في العالم كله، ولكن ما جدوى وعود طنانة ليس في إمكان الولايات المتحدة أن تفي بها على أرض الواقع، فخلال الفترة من ١٩٤٥-١٩٤٧ خفضت الولايات المتحدة قواتها من أثنى عشر مليوناً إلى مليون ونصف المليون، وتم تخفيض ميزانية التسليح [٣٤].

شغل كينان مديراً لمكتب تخطيط السياسة الخارجية في الولايات المتحدة الأمريكية، وقدم مجموعة من المبادئ الجيوبولوتيكية تنطلق من أن أجزاء العالم ليست متساوية الأهمية بالنسبة للأمن القومي الأمريكي وقد أوضح غادييس (Gaddis) أن كينان رتبها حسب أهميتها بالنسبة للأمن القومي الأمريكي هي[٣٥]:

- مجتمع الأطلسي الممتد من كندا إلى أوروبا.
- منطقة البحر المتوسط والشرق الأوسط وإيران.
- منطقة غرب المحيط الهادي بما فيه اليابان والفلبين.

أيد كينان سياسة الولايات المتحدة القائمة على مد النفوذ الأمريكي إلى أوروبا وآسيا للوقوف أمام الاتحاد السوفيتي، ودعم قوى صديقة اقتصادياً وليس عسكرياً، وأيد مشروع مارشال، لأنه يعتقد أن التهديد السوفيتي سياسي أكثر منه عسكري.

تعدد مبادئ سياسة الاحتواء:

تركزت المبادئ الجيوبولوتيكية للولايات المتحدة الأمريكية ما بين ١٩٤٩-١٩٧٩ على محاصرة الاتحاد السوفيتي ومطاردته وهزيمته. وبعد عام ١٩٤٩ انتقلت بؤر الصراعات العالمية من أوروبا إلى آسيا، وبعد سقوط الصين في يد الشيوعيين، وضعت الولايات المتحدة مبادئ جيوبولوتيكية جديدة لاحتواء الصين.

قامت الولايات المتحدة بمحاصرة الاتحاد السوفيتي، بإقامة محيط دائري حوله[٣٦] ترتكز على أن أي هزيمة تلحق بنظام حر في أي بقعة من بقاع الأرض تمثل هزيمة للحرية في مكان من العالم.

وظهر مفهوم سياسة "الصد" بمعنى صد المد الشيوعي عن العالم الحر، وأصبح التهديد بردع نووي هو الأداة السياسية لوقف الزحف الشيوعي، أما من الناحية الجيوبولوتيكية نشطت وكالة المخابرات الأمريكية (CIA) لتكون الولايات المتحدة جاهزة في أي لحظة للتدخل في شؤون الدول الأخرى، وتمت الإطاحة بحكومة إيران عام ١٩٥٣، وحكومة جواتيمالا عام ١٩٥٤ كفعل عملي للنشاط السري للمخابرات الأمريكية هذا التوجه الجيوبولوتيكي للولايات المتحدة تناقض مع فكرة كينان التي ترى أن تنوع أنظمة الحكم في العالم يخدم المصالح الأمريكية.

وبوصول جون كندي عام ١٩٦٠ كرئيس للولايات المتحدة الأمريكية ظهرت مفاهيم جيوبولوتيكية مثل "توازن القوى" و "التنوع" واتبع منهجاً جديداً هو الاستجابات المرنة، وقد قال كندي عام ١٩٦٣: "إني أدرك تماماً أنه كلما طوى بلد ما، مهما كان بعد هذا البلد عن حدودنا، تحت ظل الستار الحديدي (الاتحاد السوفيتي) فإن آمن الولايات المتحدة الأمريكية يصبح مهدداً بالخطر" [٣٧].

بعد هزيمة الولايات المتحدة الأمريكية في فيتنام هزمت أفكار كينان، وأصبح هنري كيسنجر مهندس السياسة الأمريكية في إدارة نيكسون عام ١٩٦٩ وكيسنجر مؤرخ متخصص في سياسات القوة في أوروبا القرن التاسع عشر. وكان متفهماً

لأفكار كينان حول فكرة تـوازن القـوى، ولكنـه دعـا إلى أكـثر نظـرة فلسـفية في صـنع القـرار السياسي الأمريكي [٣٨].

على أنه ينبغي القول أن لكيسنجر دوراً بارزاً وفعالاً في السياسة الأمريكية، فالنضج الذي أخفاه كيسنجر على السياسة الخارجية الأمريكية كان نضجاً جيوبولوتيكياً. بـل أعـاد مصـطلح الجيوبولوتيكا إلى عـالم السياسـة والواقـع. وهكـذا تـم انتقـال الولايـات المتحـدة في مجابهـة الاتحاد السوفيتي في عهد كيسنجر من الحملات الدعائية ضد الشيوعية إلى سياسة القوة [٣٩]، لتتجاوز المصالح الجيوبولوتيكيـة الجغرافيـا والتـاريخ والأخـلاق والمبـادئ والحريـة والمسـاواة والعدالة...الخ وترسخ لدى الساسة الأمريكيين أن الشيوعية ليست قلعة يستحيل احتلالها، بل هي قابلة للهدم والتجزئة. وهذا ما تم فعلاً في تقسيم الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩٠ وتولد ١٥ دولة جديدة من أراضيه.

إن سياسة القوة البراجماتية الطابع، عند كيسنجر لا يدخل في حساباتها عنصرـ الأخـلاق، فوجهة نظره بالنسبة للعالم الثالث أنه مـن السـذاجة أن افـتراض تحسـين أحـوال دول العـالم الثالث سوف يؤدي إلى تحسين موقف الولايـات المتحـدة في صراعهـا مـع الاتحـاد السـوفيتي. فمثلاً لم يتصـور كيسـنجر أن وصـول الينـدي الاشـتراكي إلى سـدة الحكـم في شـيلي عـام ١٩٧١ واغتياله عام ١٩٧٣ أنه من الضروري للولايات المتحدة السماح له بالوصول إلى الحكم، معلقـاً بقوله: "لست أرى ما يدعونا إلى أن نسمح لبلد ما أن يتحول إلى الماركسية لمجرد أن أهل هذا البلد قوم لا يشعرون بالمسـؤولية". بـل وصـف الاتحـاد السـوفيتي في الثمانينـات مـن القـرن العشرين من قبل الساسة الأمريكان بأنه الإمبراطورية الشرـيرة، ومـن ثـم عـادت اسـتراتيجية الصد إلى الأجندة السياسية الأمريكية لمقارعة الاتحاد السوفيتي [٤٠].

وفي عهد الـرئيس الأمـريكي ريجـان ارتكـزت السياسـة الأمريكيـة عـلى دعـم الجماعـات المناهضة للاتحاد السوفيتي في العالم، كما حصل في أنجولا وأفغانستان وأمريكيا الوسطى.

شـهدت فـترة منتصـف الثمانينـات مـن القـرن العشرـين إعـادة تأهيـل الجيوبولوتيكـا للولايات المتحـدة ، وصـياغة جديـدة للغـة الجيوبولوتيكيـة المسـتخدمة في تبريـر السياسـات الأمريكية. هذه الجيوبولوتيكا أرست قواعدها على مبادئ ودية مع الاتحاد

السوفيتي مع الإبقاء على جيوبولوتيكا الحرب الباردة قائمة[٤١]. إلا أن الجيوبولوتيكا التي تنتجها الولايات المتحدة فهي في حالة متقلبة يصعب معها طرح تنبؤات مؤكدة بما ستكون عليه في الفترة من ٢٠٠-٢٠١٠.

على آية حال تمر الأسس الجيوبولوتيكية للولايات المتحدة في الوقت الحاضر في مخاض وتخبط لم يسبق له مثيل، فقد أعلنت الولايات المتحدة في ٢٠٠٢/١٠/١٢ أنه لا بد من غزو العراق والبقاء فيه بحجة إغراق السوق النفطي العالمي بالنفط العراقي لمواجهة الكساد في الاقتصاد الأمريكي !! إلا أن هذا لم يحدث بعد احتلال الولايات المتحدة للعراق في عام ٢٠٠٣ بما يؤكد تخبط وعدم ثبات الأسس الجيوبولوتيكية للولايات المتحدة في هذه المرحلة.

وإذا أمعنا النظر في المبادئ الجيوبولوتيكية للولايات المتحدة الأمريكية في الحرب الباردة، نرى أنها ترتكز على إجبار المبادئ الجيوبولوتيكية لدول العالم على التكيف مع النظرة الأمريكية للعالم. وقد واجهت الجيوبولوتيكا الأمريكية هذه مبدأين جيوبولوتيكين هما:

أ. ديجول رئيس الجمهورية الفرنسية، حيث أرسى مبادئ جيوبولوتيكية أوروبية جديدة.

ب. نهرو الزعيم الهندي، بلور مبادئ لدول العالم الثالث.

لقد عارض ديجول ونهرو الولايات المتحدة الأمريكية، وأنهما الإرهاصة المبكرة لإرساء مبادئ جيوبولوتيكية جديدة لإقامة نظام عالمي جديد وبديل لما كانت تريده الولايات المتحدة الأمريكية.

المبادئ الجيوبولوتيكية الديجولية لفرنسا:

شغل ديجول الجمهورية الفرنسية ما بين ١٩٥٨-١٩٦٩ أرسى خلالها مبادئ جيوبولوتيكية كانت الشرخ الإيديولوجي المبكر في النظام الجيوبولوتيكي العالمي الذي عد حلف شمال الأطلسي عماد هذا النظام في أوروبا الغربية، فكان قرار ديجول الانسحاب من القيادة العسكرية لهذا الحلف، رافقه نقل مقر الحلف من باريس إلى بروكسل عام ١٩٦٥ ضربة موجهة للجيوبولوتيكا الأمريكية.

تقوم نظرة الجنرال ديجول على أن الولايات المتحدة حلت محل بريطانيا على الصعيد العالمي وعلى فرنسا وضع وتنفيذ مبادئ جيوبولوتيكية ذات رؤى دولية، مستلهماً ما قاله نابليون بونابرت: "إن سياسة أي دولة تكمن في واقع جغرافيتها" وقد دعم ديجول وجوده العالمي بتفجيره القنبلة النووية عام ١٩٦٠ لتدخل بذلك النادي النووي مع الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة وبريطانيا [٤٢].

وقد استلهم ديجول أفكاره الفرنسية من إدراكه أن مركز ثقل العالم لأول مرة نقل من أوروبا إلى أمريكيا، وربط أوروبا بأمريكيا عن طريق حلف الناتو، إنما يعد بمنزلة الخيانة لأوروبا. فأيّد الوحدة الأوروبية، وعارض دخول بريطانيا الوحدة الأوروبية على أساس أنها قوة محيطة وليس أوروبية، إلا أن الواقع يشير أن ديجول كان مدركاً تماماً خيانة بريطانيا لأوروبا، وعملها الأساس التجسس على أوروبا لحساب الولايات المتحدة الأمريكية، فهي ذيل الحصان الأمريكي [٤٣].

عززت المبادئ الجيوبولوتيكية الديجولية مبدأ الوفاق الأوروبي إلا أن موت ديجول عكر صفو المبدأ الجيوبولوتيكي الفرنسي ألا وهو توحيد ألمانيا، فهل توحيد ألمانيا سيزيح فرنسا جانباً؟ أم سيدعم وجهة النظر الفرنسية بأوروبا موحدة قوية؟ وبأوروبا غير راكعة للتأثير الأمريكي؟ وتعكس معارضة الولايات المتحدة لإنشاء الفيلق الأوروبي الذي قوامه الفرقة الألمانية الفرنسية عام ١٩٩١، مخاوف الولايات المتحدة الأمريكية من صفاء الجو تماماً بين ألمانيا وفرنسا وأداة تحقق فرنسا من خلاله مراميها السياسية، وهو مؤشر على تخوف الولايات المتحدة الحقيقي من سعي أوروبا عامة وفرنسا وألمانيا خاصة من إعادة تشكيل النظام الجيوبولوتيكي العالمي في القرن الواحد والعشرين [٤٤]. وقد علمتنا المشكلة العراقية وقيام الولايات المتحدة عام ٢٠٠٣ باحتلال العراق أن ألمانيا وفرنسا باتتا في وضع جيوبولوتيكي موحد تجاه جيوبولوتيكا الولايات المتحدة وحليفتها بريطانيا.

علمت فرنسا بقناعة أنه ما بعد الحرب الباردة يجب الحفاظ على السلم العالمي من خلال التحالفات العسكرية، ونظرة فرنسا إلى الناتو نظرة إيجابية ، أما ألمانيا فقد رأت أن الفيلق الأوروبي أداة للتعاون الفرنسي داخل حلف الناتو أكثر منه خطوة أولى على طريق تفكيك التحالف القائم بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية [٤٥].

ومن غير المألوف أن تنظر فرنسا إلى مشاركة الولايات المتحدة في اجتماعات الأمن الأوروبي نظرة إيجابية وهذا ما يؤيده الرأي العام الفرنسي (جدول ٧)، وتدعي فرنسا أنها لم تملك السلاح النووي إلا لمنع قيام حرب بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة على أراضيها[٤٦].

الجدول (٧)

الإجابات عن استطلاع رأي فرنسي يسأل "أي نوع من التحالفات أكثر فائدة فيما يتعلق بالحفاظ على أمننا القومي؟"

	١٩٨٣	١٩٨٨	١٩٩٠	١٩٩١	١٩٩٣
الحلف الأطلنطي	٢٦	٣٧	٣٧	٤٥	٤٤
الحلف الأوروبي	٢٢	٢٧	١٩	٢٧	٣٠
الحياد	٢٧	٢٣	٢٦	١٨	١٦

المصدر: Laird, ١٩٩٥

وينشغل بال الفرنسيين في بدايات القرن الواحد والعشرين الشواغل الأمنية الإقليمية المتمثلة بالبلقان (الصرب والبوسنة والهرسك)، وحرب الخليج الثانية وتداعياتها، وأفغانستان، والحرب المسعورة والتي قد تنفجر بين الحين والآخر بين الهند والباكستان، وما أطلقته الولايات المتحدة على العراق وإيران وكوريا الشمالية بمحور الشر وفلسطين ...الخ. وبؤر الحرب التي تفجرها الولايات المتحدة بحجة القضاء على الإرهاب.

هذه المشكلات عززت موافقة فرنسا على مبدأ جيوبولوتيكي فرنسي يميل إلى تعزيز حلف الأطلسي والوجود العسكري الأمريكي في أوروبا: وتلك هي طبيعة التبدلات الجيوبولوتيكية العالمية، ما كان بالأمس عدواً يكون اليوم صديقاً، إذ توحي المواقف الفرنسية الجيوبولوتيكية الحالية من إصرار الولايات المتحدة غزو العراق بأنها مواقف مترددة، ففرنسا مشت إلى الحرب ضد العراق عام ١٩٩١ وهي تتبنى مبادئ جيوبولوتيكية مناهضة للحرب، هذه الشعوذة في الجيوبولوتيكا الفرنسية تطبيق عملي لانزلاقها نحو الجيوبولوتيكي للطبقات العالمية لا نحو المبادئ الإيديولوجية المعلنة في السياسة الدولية وفكرة الطبقات العالمية، وثيقة الصلة بنهج النظم العالمية[٤٧].

ولإجبار فرنسا الموافقة على المبادئ الجيوبولوتيكية الأمريكية تجاه العراق حادثتين يعتقد أنهما من صنع الولايات المتحدة: الأولى تفجير ناقلة النفط الفرنسية قبالة الساحل اليمني في بدايات شهر تشرين أول من عام ٢٠٠٢، وإعلان إسرائيل أنها ألقت القبض على استشهادي كاد يفجر نفسه قرب السفارة الفرنسية في تل أبيب في ٢٠٠٢/١٠/١١.

نهرو والجيوبولوتكيا الهندية:

شغل نهرو رئيس وزراء الهند منذ استقلالها عام ١٩٤٧ وحتى وفاته عام ١٩٦٤، وضع نهرو مبادئ الهند الجيوبولوتيكية على المستويات الثلاث: محلياً شكلت الهند محامياً لملكتي نيبال وبوتان، وشكلت الأب الحنون لسيرلانكا. وإقليمياً على غير وفاق مع الباكستان والصين وعالمياً تطمح لتصبح دولة قوية ونووية وهذا ما تحقق لها في نهاية القرن الماضي.

أطلقت الهند مصطلح بانتشسيل Panchsheel وهي عبارة عن إعلان أو بيان حل النزاعات الدولية سلمياً عن طريق المعاهدات الثنائية، إذ وقعت الهند مع ثماني عشرة دولة معاهدات ثنائية [٤٨].

وشكلت الهند البدايات الأولى لحركة عدم الانحياز بالاشتراك مع تيتو وجمال عبد الناصر. شكلت هذه الحركة فيما بعد خطوة حقيقية في اتجاه نقلة جيوبولوتكية إلى النظام العالمي لـ (الطبقات العالمية) الذي تصوره جالتونج (شكل ١٥ ج) .

ولا شك أن أهمية الهند بعد نهرو انحدرت بشكل واضح وتوجهت الهند إلى تضييق الفجوة المادية بينها وبين دول العالم المتقدم وتحسين مستويات شعبها الاقتصادي، ومما يثير السخرية والعجب أن الهند وجيرانها في تسابق نووي، فالهند قامت في عام ١٩٩٨ بأول تجاربها النووية، تلتها باكستان في اليوم الثاني من قيام الهند بتفجيراتها النووية، علماً بأن الدولتين تعانيان من أزمات اقتصادية خانقة وفقر مدقع.

جيوبولوتيكات القرن الواحد والعشريــن:

لا بد من أن يكون اهتمامنا كجغرافيين سياسيين (بالجيوإكونوميكس Geoeconomics) (الاقتصاد السياسي) بنفس درجة اهتمامنا بالجيوبولوتيكا. لأن الاقتصاد السياسي يشكل في القرن الواحد والعشرين الأسس الجديدة للمبادئ الجديدة للولايات المتحدة وباقي القوى الكبرى.

إن الجيوبولوتيكا النقدية ضرورية، وذلك لكون الجيوبولوتيكيون يستخدمون استبصاراتهم الطازجة في إغناء الجغرافية السياسية، وأهمية البحث الجيوبولوتيكي النقدي إنما يتمثل في توضيح أن عملية بناء الصور والأشكال المستخدمة في صنع السياسات الخارجية للدول هي ذاتها فعل جيوبولوتيكي أساسي.

يشكل الباحثون في الجغرافيا السياسية ركيزة في وجود إطار عام لتنظيم المعرفة، فهم ينظرون للجيوبولوتيكا وللجغرافيا السياسية بأنها تقدم مجموعة من الأفكار المترابطة [٤٩]. المتطفلة على إبداعات العلوم الأخرى بدلاً من الدخول في فكر استراتيجي يخصهم هم [٥٠].

إن للحيز الجغرافي قيمة، والجيوبولوتيكا النقدية قادرة على إبراز قيمة الحيز حسب المكان والزمان من أجل تبرير الأفعال الجيوبولوتيكية للدول لمكان معين، فمثلاً لم يكن للبوسنة والهرسك شأن دولي وقيمة للمكان قبل قيام الولايات المتحدة بإرسال قواتها للبوسنة والهرسك، فكان للولايات المتحدة رأيان هما [٥١]:

الأول: معارضة إرسال قوات أمريكية بوصف منطقة البوسنة والهرسك ورطة أو مستنقعاً ليس من السهل الخروج منه بعافية.

الثاني: أنحصار التدخل العسكري الأمريكي، للحد من مذابح التطهير العرقي في البوسنة بوصفها هولوكوست جديدة (صور الفضائع التي ارتكبها النازيين في أوروبا).

هذا الحيز الجغرافي الضئيل (البوسنة) من العالم له قيمة، لأن الهدف من إبراز قيمته هو من أجل إقرار سياسات عسكرية وسياسية دولية، وهو مبدأ إحلال الوجود الأمريكي محل المد السوفيتي السابق. وهذا ما حدث عند قيام الولايات المتحدة

بغزو العراق واحتلاله في عام ٢٠٠٣، فكانت الغالبية العظمى من الشعب الأمريكي تعارض غزو العراق، إلا أن جيوبولوتيكا الولايات المتحدة والتي تبلورت بعد هجمات ١١ أيلول ٢٠٠١ وضعت العراق في دائرة الاحتلال الأمريكي مهما كان حجم المعارضة أمريكياً وعالمياً.

فكما اهتمت الجيوبولوتيكا في قيمة المكان كما سبق وأن أشرنا في المثال السابق، تهتم أيضاً بنفس الدرجة بممارسات المكان و (الآخر) المكاني بوصفها عنصرين من عناصر الطريقة التي تبنى بها جغرافيا العالم، ويقصد بها بممارسات المكان الأساليب المتبعة التي تقيد بها مؤسسات ومجالات معينة النشاط السياسي.

لأن مجال بحث الجيوبولوتيكا النقدية يهتم بالحركات الاجتماعية والسياسية والقضايا الجنسوية وبكل ما هو متعلق بالدولة والمكان. أما مصطلح (الآخر) المكاني فيتعلق بدراسة الاستشراق والتي يرسم فيها المستشرقون صوراً سوداء لثقافات الأمم[٥٢].

وفي إطار التصور الفعلي والعملي للجيوبولوتيكا النقدية، فإن الإسهام الأكثر أهمية لها يتمثل في إلقاء الضوء على الكيفية التي تواكب بها الجغرافيا السياسية العولمة التي لا شك بأنها تهدف إلى إلغاء دور الدولة في الشؤون السياسية.

ومن جهة نظر العولمة الجغرافية فهذا هو الإلغاء للطابع الإقليمي de- territor Ielization ، للسياسة العالمية[٥٣].

ومن الواضح أن ظهور مصطلح الجيوإكونوميكس كان بخصوص اليابان بوصفها الآخر الجديد الذي يهدد الولايات المتحدة. أما في الحالة الثانية فنجد الحضارة الإسلامية تأخذ موقع التهديد الأول في إطار سيناريو الغرب في مواجهة البقية وبذلك نجد حسب مفهوم (نحن وهم) شرقاً آخر قد حل بديلاً للاتحاد السوفيتي كخصم للغرب. وبالمقابل كيف يتمشى هذا التصور مع العولمة الأمريكية للعالم؟

تقييم للآراء الجيوبولوتيكية الأمريكية في القرن الواحد والعشرين:

بعد مرور عامين تقريباً على الحرب التي أعلنتها الولايات المتحدة على الإرهاب، حان الوقت للتوقف لأجراء مراجعة لما حدث، ماذا حققت الولايات

المتحدة، ما هي الأخطاء التي ارتكبتها؟ ما هي الدروس التي يمكن الاستفادة منها؟ وما العمل بعد ذلك؟

وللإجابة على الأسئلة، يمكن ملاحظة ما يأتي:

١. تحولت أفغانستان إلى أطلال بعد قيام الولايات المتحدة الأمريكية بتدمير كل ما هو قائم فوق سطح الأرض في أفغانستان، مما يشير أن فاتورة إعادة الإعمار ستتجاوز مليارات الدولارات وستحتاج إلى عدة سنوات.

٢. لم تسد حالة الاستقرار السياسي في أفغانستان بل امتدت الفوضى السياسية إلى دول وسط آسيا.

٣. انتشار بعض عناصر القاعدة من أفغانستان إلى الدول المجاورة وغير المجاورة لأفغانستان، ولم يكن هناك ضمان يمكن أن يحول دون حدوث ذلك. ويعني هذا أنه قد أصبحت هناك الآن أعداد من عناصر القاعدة تزيد عما كان موجوداً قبل الغزو الأمريكي لأفغانستان.

٤. لم تنجح الولايات المتحدة في سياستها القائمة على رشوة الأفغان لكسب ولاءاتهم.

٥. تفاقم النزاع العربي -الإسرائيلي -، واشتداد عود الاستشهاديين في فلسطين وتزايدهم، وأصبح الصراع أكثر عنفاً وليس بأقل عنفاً كما كان متوقع. وهذا ينطلق أيضاً على كشمير المتنازع عليها بين الهند وباكستان.

٦. أصبح من الضروري تعريف المجتمع الغربي بالإسلام، وتحسين صورة الولايات المتحدة الأمريكية لدى المسلمين ووقف صورة الولايات المتحدة لدى المسلمين كونها أصبحت بلطجي العالم.

٧. ظهرت مقولة الأمريكان: "بأن من ليس معنا فهو ضدنا" فهي رؤية غير صائبة لآن العالم ليس كذلك على الإطلاق حيث توجد العديد من الآراء، فظهر انشقاق في صفوف الأمريكان.

٨. احتلال الولايات المتحدة الأمريكية للعراق، وممارسة القوات الأمريكية مع الشعب العراقي نفس صور التعذيب الذي تمارسه القوات الإسرائيلية مع الشعب الفلسطيني، مؤشر قوي على وجود الإسرائيليين في صفوف الجيش

الأمريكي في العراق. وأن صور التعذيب التي تمارسها إسرائيل في فلسطين أصبحت نموذج يحتذى لدى القوات الأمريكية في العراق مما يولد مزيداً من الكرة العربي للأمريكان.

نظريات أخرى في الجغرافيا السياسية:-

نظرية القوى البحرية

صاغ الفردماهان Mahan, AT (١٨٤٠-١٩١٤) نظريته في ظل سيادة النقل البحري [٥٤]، وحدد ستة عوامل تؤثر في القوة البحرية هي [٥٥]:

١. الموقع الجغرافي للدولة.
٢. شكل الساحل وطوله.
٣. مدى سهولة الدفاع عن الساحل.
٤. مميزات الظهير القاري Hinter Land للساحل.
٥. الصفات القومية لشعب الدولة البحرية.
٦. ستتحدد القوة البحرية للدولة تبعاً لإمكانية تكاتف الظروف الطبيعية والخصائص الاجتماعية لخلق قوة بحرية في النهاية [٥٦].

رأى ماهان الأمريكي أن الولايات المتحدة يمكن أن تكون الوريث لبريطانيا، وأنها ستكون أعظم قوة بحرية في العالم. هذه الأفكار أدت بالولايات المتحدة إلى بناء الأساطيل الحربية: الأسطول السادس في البحر المتوسط والسابع في المحيط الهادي والخامس في المحيط الهندي والرابع في المحيط القطبي، بهدف سيطرة الولايات المتحدة على بحار ومحيطات ومضائق العالم ومحاصرة الدول البرية في عقر دارها.

نظرية سبيكمان: (١٨٩٣-١٩٤٣)

سبيكمان أمريكي اهتم بدراسة مشكلات القوة وأثرها في العلاقات الدولية وقد حث الولايات المتحدة على إنشاء قوات عسكرية بحرية وجوية في الجزر والمياه المحيطة بقارة أوراسيا لتحجيم قوة الاتحاد السوفيتي.

النظريــة الجويــة:

رأى رينر Rennr أن قلب العالم يتكون من جزأين: الأول هو قلـب أوراسـيا والثـاني هـو قلب أمريكيا الشمالية. واعتقد أن من يملك الغلبة الجوية يسيطر على قلب العالم بشقيه.

وايـد سفرسكـي Renner De Seversky :

بأن الغلبة تكون للقوى الجوية، واعتبر سفرسكي أن المناطق التي يتداخل فيها Over lap نفوذ السيادة الجوية لكل من الاتحاد السوفيتي وأمريكيا الشمالية هي التـي تحـدد مـن سيسيطر على العالم، أي من يتحكم في منطقة التداخل الجوي هذه ستكون له الغلبة [٥٧].

نظريــات الجغرافيـا السياسيـة في ظل القـوة النوويـة ومركبـات الفضـاء:

تعد الولايات المتحدة أول دولة نووية ١٩٤٥، ثم الاتحاد السـوفيتي ١٩٤٩، ثـم بريطانيـا ١٩٥٢، تلاها فرنسا ١٩٦٠، ثم الصين ١٩٦٤ ثم الهند تم باكستان.

ليس هناك من شك ان نظريات الجغرافيا السياسية (القوة البرية والقوة البحرية والقوة الجوية) قد ضعفت من جراء ظهور القوة النووية ومركبات الفضاء لما لهـا مـن ميـزة بشـكل يمكنها من تدمير العدو، وأصبحت كل مناطق العالم في متناول القوة النووية، يعززها في ذلك:

١. ألغت الصواريخ العابرة للقارات مفعول القوى البرية والبحرية والجوية.
٢. تضاءلت أهمية الموقع الجغرافي، ودوره في تعزيز القدرة العسكرية.
٣. إسقاط عامل المسافة والمسـاحة والتضـاريس الجغرافيـة وحجـم السـكان مـن حسـابات القوى النووية.

وفي القرن الواحد والعشرـين سـيكون لتكنولوجيـا الـذرة الكلمـة الفصـل في الانتصـار في الحــرب، بمعنــى ســيتم الانتقــال بالنظريــات الاســتراتيجية في الجغرافيــا السياســية مــن الجيوستراتيجي إلى التكنوستراتيجي، فالشكل الجديد للقوة في القرن الواحـد والعشرـين هـو العلم والتنكلولوجيا النووية فمن يمتلك التكنولوجيا النووية وحده يمتلك القوة.

مراجــع الفصــل الثانــي:

١. Peter and Colin. OP.Cit. P ٤٩

٢. Bowman (١٩٤٨). OP. Cit. P ١٣٠

٣. محمد محمود الديب (١٩٩٥)، مصدر سابق، ص ٧١٧-٧٢٦.

٤. Mackinder, (١٩٠٤) "the geographical pivot of history", Geog: Jou, Vol. ٢٣, P . ٤٢١.

٥. محمد محمود ديب، مصدر سابق، ص ٦٥٥.

٦. المصدر السابق، ص ٦٤٤

٧. O Tuathail, G. (١٩٩٦) Critical Geopolitics University of Minnesota press Minneapolis, MN.

٨. Meining, D. (١٩٥٦) Heartland and Rimland in Eurasian history", poli Quarl. Vol a. pp. ٥٥٥-٥٥٥٦.

ترجمة علي الأنصاري الجغرافيا والسيادة العالمية، سلسلة الألف كتاب رقم ٩٦، ص ٢٩٤-٢٩٥.

٩. محمد محمود الديب (١٩٩٥) مصدر سابق، ص ٦٣٥-٦٤٢.

١٠. Horrabin, J.F (١٩٤٢) An outline of political Geography. N.C.L.C. publishing Society Tillicoultry, Scotland.

١١. O Loughlin and Van der wusten , H, (١٩٩٠), the political geography of panregions, Geogapical Revien . ٨٠. Pp ١-٢٠.

١٢. Peter and Colin, op. Cit. PP ٦٠-٦٣.

١٣. Gaddis, J.I. (١٩٨٢) Strategies of Containment Oxford University press: New York.

١٤. محمد محمود الديب، مصدر سابق ، ص ٧١٨.

١٥. Cahse - Dunn, C.K. (١٩٨٢) Socialist states in the capitalist world - economy. In C.K. chase - Dun (ed) socialist states in the world -system. Sage: Beverly Hills, C. A.

١٦. Peter and Colin , op. Cit. PP ٦٩-٧١

١٧. OP.Cit. P ٧٣

١٨. OP.Cit. P ٧٤

١٩. Langhorne, R. (١٩٨١) the collapse of the concert of Europe. Macmillan: London. PP. ٥٨-٩٣.

٢٠. Taylor, P.J.(١٩٩٣) "states in world - system analysis massaging a creative tension in B. Gills and R. palan (eds) Domestic structures. Global structures L,ynne Rienner: Boulder, CO.

٢١. Peter and Colin , Op. Cit. PP ٧٥-٧٧

٢٢. Taylor, P.J. (١٩٩٠) Britain and the cold war: ١٩٤٥ as Geopolitical Transition Pinter. London.

٢٣. Kolko, J and Kolko. G. (١٩٧٣) the limits of power. Harper & Row. New York.

٢٤. Taylor, P.J.(١٩٩٠) . OP. Cit.

٢٥. نعيم الظاهر (٢٠٠١)، الجغرافيا السياسية المعاصرة، اليازوري، عمان، ص ١٣٧.

٢٦. Halliday, F. (١٩٨٣) the Making of the second cold war. Verso, London.

٢٧. Nijman ,J. (١٩٩٢) the dynamics of Superpower Spheres of influence, US and Soviet military activities, ١٩٤٨-١٩٧٨ in M.D. ward (ed) the New Geopolitics, Gordon & Breach, Philadelphia.

٢٨. محمد محمود الديب، مصدر سابق، ص ٨٢٧.

٢٩. Peter and Colin ,OP. Cit. PP ٨٧-٩٠

٣٠. op. Cit. P ٩٠

٣١. De Blij. H.J. (١٩٩٢) political geography of the post Cold War World . PP. ١٦-١٩.

٣٢. Bartlett. C.J . (١٩٨٤) the Global Conflict, ١٨٠٠, Longman, London and New York. P. ٨٩.

٣٣. Peter and Colin , op. Cit. PP ٩٢-٩٤

٣٤. Gaddis. OP. Cit. P. ٣٠

٣٥. Op. Cit. P ٩١

٣٦. Peter and Colin , op. Cit. PP ٩٥

٣٧. Gaddis. OP. Cit. P. ٢١١

٣٨. Op. Cit. P ٢٧٧

٣٩. Op. Cit. P ٢٧٩

٤٠. Peter and Colin , op. Cit. PP ٩٤

٤١. Op. Cit. P ٩٤

٤٢. Menil, L.P. de (١٩٧٧) who speaks for Europe? The Vision of Charles de Gaulle, Weidenfeld & Nicholson, London.

٤٣. Peter and Colin , op. Cit. P. ٩٧

٤٤. Menil, OP. Cit. P. ١٩٣

٤٥. Johnsen W.T. and Young, T.D. (١٩٩٤) French policy Towards NATO. US Army War College, Carlisle Barracke, P.A.P١٠.

٤٦. Laird, R. (١٩٩٥) French Security Policy in Transition, Washington . DC. P٣٣.

٤٧. Peter and Colin , op. Cit. PP ٩٩-١٠٠.

٤٨. Willets, P. (١٩٧٨) the Non - Aligned Movement, Frances Pinter, London, P. ٧.

٤٩. Dalby, S, and O Tuathail, G. (١٩٩٦) "Editorial interoduction: the critical geopolitical constellation", political Geography ٦١٧. PP. ٤٥١-٤٥٦.

٥٠. O Tual- hail, (١٩٩٦). OP.Cit.P ٥٩.

٥١. Peter and Colin , op. Cit. PP ١٧٢-١٧٣

٥٢. Walker, R, B, (١٩٩٣) Inside: International Relations as political theory. Cambridge University press: Cambridge, UK.

٥٣. Peter and Colin , op. Cit. P. ١٧٣

٥٤. Mouzon, O.T . (١٩٥٩) "International resources and national policy ", New York, P ٦٢٦.

٥٥. محمد محمود الديب، مصدر سابق، ص ٦٤٤-٦٤٦.

٥٦. رواد الاستراتيجية الحديثة، ترجمة محمد عبد الفتاح إبراهيم، ج٤، ص ١٢٥-١٢٨.

٥٧. Blij De.H.J. (١٩٦٧) "Systematic Political geography" New York, PP. ١٣١-١٣٥.

الفصل الثالث

الجغرافيا السياسية والإمبريالية

الإمبرياليـة (Imperialism): مصـطلح سـياسي - اقتصـادي كلاسـيكي، لا يعـرف بصـورة منفصلة عن السياسة والاقتصاد. والإمبريالية تعنى السيطرة على مقدرات الشعوب.

وتعرف الإمبريالية أيضاً بأنها المنهج السياسي لخلـق منـاطق إنتـاج جديـدة داخـل إطـار الاقتصاد العالمي.

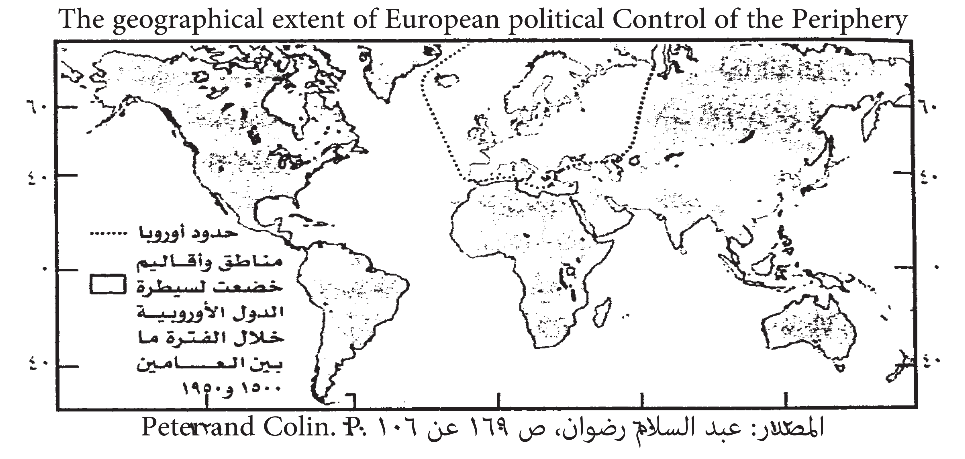
يوضح الشكل (١٦) (منـاطق العـالم التـي خضـعت للاسـتعمار الأوروبي مـا بـين (١٥٠٠-١٩٥٠) إذ إن جميع مناطق العالم باستثناء الصين خضعت لسيطرة الاستعمار الأوروبي. بمعنـى أن العالم (دول أطراف) كان جميعه في خدمـة أوروبـا (دول المركـز) وبعـد خـروج الاسـتعمار جسدياً من دول الأطراف بقي مهيمنين روحياً وثقافياً واقتصادياً عليها حتى وقتنا الحاضر.

ولفهم الإمبريالية لا بد من فهم ميراثها الثوري، هذا الفهـم ضروري للجغـرافي السـياسي، لأن الإمبريالية الرسمية وغير الرسمية تعنى مص دماء ورحيق دول الأطراف.

شكل (١٦)

النطاق الجغرافي للهيمنة الأوروبية على دول الأطراف جميعاً

The geographical extent of European political Control of the Periphery



المصدر: عبد السلام رضوان، ص ١٦٩ عن Peter and Colin. P. ١٠٦

اشـتقت كلمـة الإمبرياليـة (Imperialism) مـن (Imperial , impirr) إمبراطـور، إمبراطورية) وكانت في أولى معانيها التعسف أي السياسة العدوانية. وقد ارتبطـت الإمبرياليـة في بدايـة القـرن العشرـين بالتوسـع العـدواني لـدول المركـز (الـدول القويـة ذات النزعـة الاستعمارية). ويصفها البعض بأنها أعلى مراحل الرأسمالية (رأسمالية الاحتكار والظلم والأخ لأخيه) ويعزى البعض الآخر الإمبرياليـة إلى فـائض رأس المـال المـتراكم في دول المركـز، والـذي يبحث عن مناطق للتسويق في دول الأطراف، أو هي عملية سياسية عامة مبنيـة عـلى دوافـع التوسع والغزو والاحتلال والسيطرة وحب الاستحواذ على كل شيء.

وفي هذا الإطار ، فإن ملامح عملية تصفية الإمبريالية والاستعمار سار بسرعة في منتصـف القرن الماضي. فحصول الهند على الاسـتقلال فـتح الطريـق أمـام بقيـة دول الأطـراف لتصـفية الاستعمار. وعلى المستوى الإقليمي، كانت التنازلات في مستعمرة ما تؤدي إلى ضـغط متزايـدة على ساحة الإقليم كله. فقد مثل تصفية الاستعمار في غانا عام ١٩٥٧ مهمازاً لطـرد الاسـتعمار من باقي دول قارة أفريقيا. وتحرير فنزويلا عـام ١٨٢٠ فـتح الطريـق لتصـفية الاسـتعمار في دول قارة أمريكيا الجنوبية ، وهكذا دواليك.

الإمبريالية علاقة سيطرة بين المركز والأطـراف. وتمثـل المركـز الـدول الاسـتعمارية. وعـدد الدول التي مارست الاستعمار الرسمي اثنتي عشر دولة ، منها خمسة دول كانت تمثل القـوى الاسـتعمارية الكـبرى هـي : إسـبانيا، والبرتغـال، وهولنـدا، وفرنسـا، وبريطانيـا. أمـا القـوى الاستعمارية الأقل حجماً التي لحقت بالقوى العظمى في وقت متأخر، والـدول المبكـرة هـي : الـدنمارك، والسـويد، وبروسـيا (برانـدنبورج). أمـا القـوى اللاحقـة فتمثـل : بلجيكـا، وألمانيـا، وإيطاليا، واليابان ، والولايـات المتحـدة [1]. وفي هـذا الصـدد تجـدر الإشـارة إلى أن الاسـتعمار انتهى من العالم في نهاية الألفية الثانية ، إلا أن الولايات المتحدة عادت بالاسـتعمار مجـدداً في بدايات الألفية الثالثة.

ففي مرحلـة الاسـتعمار مـا قبـل عـام ١٦٠٠ المرحلـة (أ) مـن اللوجسـتية كانـت إقامـة المستعمرات من قبل أسبانيا والبرتغال. تلتها في مرحلة (ب) هولندا، وفرنسا، وبريطانيا، ودول البلطيق. ومن خلال دراسة وتحليل (الشـكل ١٧) ، نحـدد فـترات أربـع للنشـاط الاسـتعماري هي:-

١. الحقبة الأولى - غير التنافسية، بمعنى اقتصار الاستعمار في هذه الحقبة على إسبانيا والبرتغال (المرحلة أ من اللوجستية).

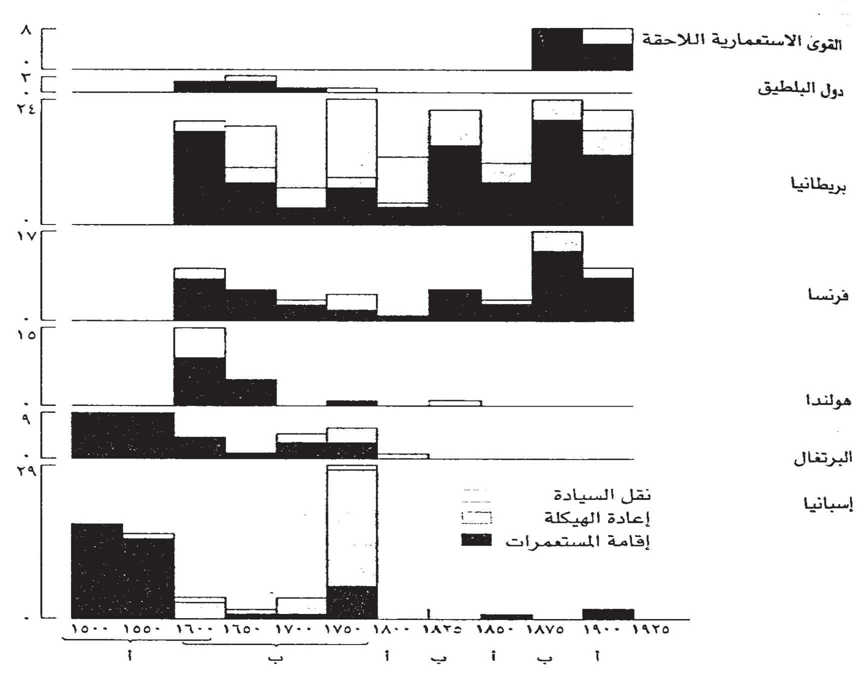
٢. حقبة التنافس الاستعماري الأولى (المرحلة ب من الموجة اللوجستية)، بلغ فيها عدد دول الاستعمارية من دول المركز ثمان.

٣. حقبة ثانية، تميزت بالهيمنة الاستعمارية البريطانية والفرنسية.

٤. حقبة ثانية من التنافس الاستعماري، صاحبها تدهور الهيمنة الاستعمارية البريطانية، وتنافس سبع قوى عظمى.

الشكل (١٧)

إقامة المستعمرات بوساطة الدول الإمبريالية ١٥٠٠-١٩٢٥م



المصدر: عبد السلام رضوان، ص ٢٠٩ عن Peter and Colin. P ١١٨

ونحن الآن في بدايات القرن الواحد والعشرين ورغم أنزياح الاستعمار وإلغاء العبيد، إلا أن بعض دول العالم التي تحررت من الاستعمار ومنها دول القارة الأفريقية بقيت هذه الدول في الدرك الأسفل من المنظومة الاقتصادية العالمية. ومهما قيل: مات الاستعمار الرسمي أو يحيا الاستعمار الرسمي، حل محلها الاستعمار غير الرسمي أو المقنع على معظم أرجاء المعمورة.

تفتق النظام العالمي الحديث عن إضفاء الشرعية الدولية لخمس دول إمبريالية (إسبانيا والبرتغال وهولندا وفرنسا وبريطانيا). أقواها الإمبراطورية البريطانية، ذلك أن ٢٥% من مساحة الكرة الأرضية ومن عليها من أناس كانوا جميعاً تحت إمرة لندن (الشكل ١٨). وقد احتفلت الإمبراطورية باليوبيل الماسي سنة ١٨٧٩، ليعبر الاحتفال بأن الإمبراطورية لامست نقطة الذروة في التاريخ، وأطلق عليها الإمبراطورية التي لا تغرب الشمس عنها Where the Sun never set إلا أن بريطانيا بدأت بالانحدار منذ عام ١٩٠٠ وما زالت مستمرة حتى وقتنا هذا (شباط ٢٠٠٤).

وقد أسهمت الإمبراطورية البريطانية الإمبريالية برسم الخريطة السياسية لدول العالم بشكل كبير، ولنقف على مدى شناعة الإمبريالية البريطانية نتناول بالدراسة والتحليل: علاقة الإمبراطورية بالهيمنة البريطانية، والمبادئ الجيوبولوتيكية التي تم إرساؤها للإمبراطورية، وأخيراً الأيديولوجية التي كانت تساند هذا البنيان.

الشكل (١٨)

الإمبراطورية البريطانية سنة ١٨٩٧م وتوسعاتها حتى سنة ١٩٣٣م

المصدر:عبد السلام رضوان، ص ٢١٨ عن Peter and Colin. P١٢٥

بريطانيا الهيمنة والإمبراطورية: Hegemony and empire

تقتضي الهيمنة ضمنا وجود اقتصاد عالمي مفتوح، في حين تستلزم الإمبريالية غلق جزء من الاقتصاد العالمي عن أيدي المنافسين. لذا فالتاريخ يشهد أن التوسع الجغرافي للإمبريالية لا يرتبط باستراتيجيات الهيمنة. غير أن بريطانيا شاذة عن القاعدة، فكل توسعاتها الجغرافية الإمبريالية خضعت للهيمنة البريطانية[٢].

وللتنذر بالإمبراطورية البريطانية يقال أنها ولدت وترعرت "في نوبة من نوبات غياب العقل [٣]". ولم تنجو بريطانيا من أسباب انهيارها، وفي مقدمة هذه الأسباب:

١. تفجر الثورات والأحداث المناهضة للإمبراطورية البريطانية في الأطراف، في الدول التي نهبت خيراتها.

٢. السياسة التي اتبعتها في إدارة شؤون المستعمرات، فقد كان مكتب المستعمرات يشرف مباشرة على إدارة مستعمرات التاج. مما أضعف سيطرتها على المستعمرات البعيدة.

٣. تمتع مستعمرات المستوطنين البيض بالحكم الذاتي وبالأفضلية.

٤. وجود محميات أجنبية تشرف على أمورها وزارة الخارجية.

٥. بقاء الهند تدار من مكتب خاص.

٦. دعم بعض دول العالم لحركات التحرر من بريطانيا.

٧. كره شعوب العالم لمكر وخبث البريطانيين.

ولتعزيز المكتسبات البريطانية على الساحة العالمية، شكلت مؤسسات داعمة لها مثل "رابطة الاتحاد الإمبريالي" و "رابطة التجارة للإمبريالية المتحدة". وأيدها آنذاك كبار من الجغرافيين مثل ماكيندر بحجة إقامة دولة إمبريالية على النمط الفيدرالي، ليكون للحصاد الإمبريالي صفة الديمومة. ولأن ماكيندر وغيره من الساسة البريطانيين أدركوا أنه من غير الممكن الدفاع عن جميع أراضي الإمبراطورية البريطانية، ولظهور قوى عالمية وليدة أصبح لا بد من صياغة مبادئ جيوبولوتيكية جديدة تخفض من عبء الحمولة الزائدة على كاهل الحكومة اللندنية [٤].

بعد أن تربعت الإمبراطورية البريطانية على عرش العالم عسكرياً وسياسياً واقتصادياً تطلب وضع مبادئ جيوبولوتيكية جديدة لتتساوق مع عظمتها وللحيولة دون تركيعها من قبل القوى الأوروبية الإمبريالية المتربصة بالإمبراطورية البريطانية المتمثلة بفرنسا وإسبانيا والبرتغال وألمانيا. واتبعت سياسة فرق تسد في مستعمراتها للحيولة دون تشكل فئات سياسية مثقفة تدعو للتحرر. فكل المشكلات الدولية اليوم هي من مخلفات السياسة الاستعمارية البريطانية مثل: مشكلة فلسطين والنزاع بين الهند والمسلمين في كشمير والتاميل والنهال في سيرلانكا، وبين اليونان والأتراك في جزيرة قبرص وبين الهند والفيجيين في جزر فيجي، وبين الصينين والماليزيين في ماليزيا، وبين العراق وأمريكيا أخيراً، كلها من تخطيط الساسة البريطانيين بصورة مباشرة أو غير مباشرة على حد سواء.

ويذكر أن الإمبراطورية البريطانية قامت كإمبراطورية بحرية، لعب الطريق البحري بينها وبين الهند بمنزلة الشارع المعبد المسيج والشريان الرئيسي لبريطانيا في استراتيجيتها للحفاظ على إمبراطورياتها، لذا بسطت سيطرتها على مصر والسودان وشبة الجزيرة العربية والخليج العربي وعلى مضيق هرمز وباب المندب وقناة السويس لتكون الطريق سالكة وآمنة بين بريطانيا والهند.

لذا عملت على طرد النفوذ الفرنسي من مصر، والسلسلة من الأخذ والرد مع الروس من تركيا إلى إيران إلى أفغانستان إلى الهند عرف باللعبة الكبرى، وقد ظل الروس يساورون البريطانيين في استراتيجيتهم الجيوبولوتيكية الإمبريالية العالمية، لذا وضع ماكيندر مبادئه عن نظرية قلب العالم (أرض المركز)، والتي تبنتها فيما بعد الولايات المتحدة عن بريطانيا تحت مسمى جديد هو سياسة الاحتواء وقت الحرب الباردة.

ارتكزت وحدة الإمبراطورية البريطانية على الاهتمام بالبنية التحتية وعلى طرق المواصلات والتكنولوجيا لتعم أرجاء الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس (٥).

واستندت الإيديولوجية الإمبريالية The imperial ideology البريطانية على مبدأين هما[٦]:

أولاً: الفلسفة الإمبريالية للمساواة والتي عرفت باسم "المفهوم الفكتوري العالمي لسياسة الإنصاف" بمعنى أن كل رعايا الإمبراطورية البريطانية هم مواطنون بريطانيون. بمعنى أن القانون يسري على الجميع. إلا أنه في الواقع سمو العنصر البريطاني كان معشعشاً في أذهان البريطانيين (سمو الانجلو سكسونية).

ثانياً: التفرقة العنصرية ففي هذا الوقت سنت استراليا التشريعات للإبقاء على نفسها بيضاء. وأول تصدي للعنصرية الإنجليزية (غاندي)، ونمت حركات الانسلاخ عن الإمبراطورية العنصرية، لتهزم بريطانيا وتحل محلها في الاستعمار الجديد الولايات المتحدة الأمريكية.

الإمبريالية غير الرسمية:

يقصد بها هيمنة دولة استعمارية على دولة مستعمرة اقتصادياً وثقافياً دون المساس بسيادتها الوطنية أو التدخل المباشر بسياستها الداخلية وأحياناً الخارجية، وهذا هو المتبع حالياً من قبل الدول الاستعمارية -قديماً- إذ تسوق ثقافاتها وسلوكها المعاشي ونمط حياتها اليومي على شعوب الدول التي كانت في يوم ما تحت سيطرتها عسكرياً.

بحث كيت بوكانان Keith Buchana عام ١٩٧٢ في كتابه جغرافية الإمبراطورية The Geography of Empire في الهيمنة الراهنة للولايات المتحدة الأمريكية على الاقتصاد العالمي وأطلق مصطلح "الطور الجديد للإمبراطورية ورأى أن استقلال الدول التي كانت مستعمرة اكذوبة إمبريالية، بل ترسخ الاستعمار الاقتصادي بكل جوانبه لتلك الدول". وأن الإمبريالية الرسمية تحولت في استراتيجيتها إلى الإمبريالية غير الرسمية، فمثلاً هولندا في القرن السابع عشر اعتمدت على تجارة بحر البلطيق ودول أوروبا الشرقية دون أن يكون لها سيطرة سياسية. وبريطانيا في القرن التاسع عشر استخدمت سياسة إمبريالية للتجارة الحرة مع أمريكيا الجنوبية.

والآن جاء دور هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية باسم الإمبريالية غير الرسمية بمعنى المحافظة على استقلال سياسي شكلي لدول الأطراف مع التبعية الاقتصادية للولايات المتحدة الأمريكية، وأكاد أن أجزم بأن معظم دول العالم النامي يدور حالياً في فلك الولايات المتحدة طوعاً أو كرهاً.

العلاقات الدولية للإمبريالية غير الرسمية:

يقوم مبدأ سياسة الباب المفتوح Laisez Faire في التجارة الحرة على نظرية مؤداها أن تتخصص كل دولة في إنتاج سلعة بعينها تتقن إنتاجها، مما يولد توازناً في التجارة العالمية، هذه السياسة الاقتصادية قد لا تصلح للتطبيق العملي، لأن سياسة الإمبريالية غير الرسمية تهمل دور دول الأطراف وتخطط لها لأن تكون مرتعاً خصباً للفقر والجهل والمرض والمجاعة. كما أن مبدأ سياسة التجارة الحرة يخطط لها الساسة في معظم بلدان العالم، وأن حالة العالم التجارية تكون بصورة أفضل في حالة تدخل الساسة بالأمور التجارية ويعتمد الرأي الصواب على موقع الدولة من خريطة النظام الاقتصادي العالمي. والدول التي تدافع عن مبدأ التجارة الحرة هي دول المركز ذات الهيمنة على الاقتصاد العالمي، هم نفسهم يطالبون بحرية الملاحة Mare Liberum . إلا أن الواقع يشير إلى أن الدول الداعية للاقتصاد الحر، يدركون أنها تخفي وراءها مصالح دول المركز (الدول القوية) على حساب الدول الفقيرة. فالسوق العالمية الحرة في خدمة الدول الفنية وهذا هو الواقع فالتجارة سواء ارتبطت بالإمبريالية الرسمية أو غير الرسمية، أو بسياسات الحمائية والمركنتيلية أو الإمبريالية الرسمية، فالوضع هو الانحياز لصالح الدول القوية المهيمنة على الاقتصاد العالمي. لذا لا بد من دراسة آثار السياسة على مبدأ التجارة الحرة، السياسة الداخلية والخارجية للدولة، وبالنسبة للجغرافيا السياسة التي تقوم بربط العلاقات السياسية بالساحة الجغرافية العالمية، هذا النموذج الطبولوجي للدولة يعد نقطة انطلاق لتفهم طبيعة الدولة.

سياسة الحمائية ودول أشباه الأطراف: Protectionism and the semi-periphery

عندما يتمتع اقتصاد الدولة بالقوة، تصبح سياسة التجارة الحرة من صلب أهدافها، فأكبر دعاة سياسة التجارة الحرة في الوقت الحاضر هما الولايات المتحدة

وبريطانيا، والواقع أن التعرفة الجمركية تخضع لعوامل الزمان والمكان ودرجة نمو الدولة. فعندما تكون الدولة من دول الأطراف (الفقيرة) تطالب بالحماية الجمركية، وعندما تحقق نمو كبيراً وتصل لدرجة دولة المركز تطالب بالتجارة الحرة.

مثلت المساعدات الاقتصادية للدول الفقيرة من الدول الغنية ممارسة عملية للسيطرة السياسية والتبعية رغم إدعاء دول المركز إلى دول الأطراف أنها مساعدات إنسانوية humanitarian ، إذ إن هذه المساعدات تمثل تنافسات جيوبولوتيكية بين الدول المانحة للمساعدات، فهي بحق سيطرة للإمبريالية غير الرسمية.

ولتوضيح الصورة التي تستخدم بها الدول الغنية لمساعداتها الخارجية للدول الفقيرة وبالتالي في رسم النظام الجيوبولوتيكي العالمي، نستخدم تحليل جرانت ونيجمان لمساعدات كل من الولايات المتحدة الأمريكية واليابان لمنطقة الباسيفيكي الآسيوية بعد الحرب العالمية الثانية (٧).

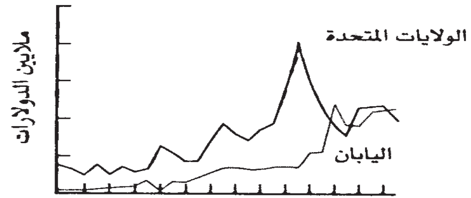
وجهت الولايات المتحدة مساعداتها بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة إلى أوروبا (مشروع مارشال)، تلاها تحول أمريكي لجنوب شرق آسيا (حرب كوريا وفيتنام) فتحولت المساعدات لآسيا، وبعد حرب ١٩٧٣ بين العرب واليهود تزايدت المساعدات الأمريكية لإسرائيل ومصر بدرجة أقل للأردن، ترسخت هذه المساعدات بصورة أكبر بعد توقيع مصر- اتفاقيات كامب ديفيد عام ١٩٧٨ وبعد توقيع الأردن معاهدة وادي عربة عام ١٩٩٤. حيث أن تبدلات الدول في أولويات المساعدات الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية توضحها صورة الجغرافيا المتغيرة للمساعدات الأمريكية حسبما تفرضه المبادئ الجيوبولوتيكية المتغيرة للولايات المتحدة، مما اثر بدوره في سلوك الولايات المتحدة والسلوك العالمي على المستوى الإقليمي والدولي.

أما المساعدات الخارجية لليابان تأثرت أساساً بالمعايير الاقتصادية فكانت المساعدات اليابانية في الخمسينات تحكمها شراء السلع من اليابان من قبل الدول المتلقية للمساعدات أو للدول التي لها عجز تجاري مع اليابان مثل تايلاند. وركزت اليابان في مساعداتها على منطقة الباسيفيكي الآسيوية. كما حجبت اليابان مساعداتها عن الدول الشيوعية تمشياً مع الأهداف الجيوبولوتيكية الأمريكية هذا الازدواج في

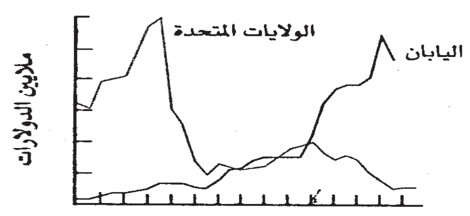
الأهداف الجيوبولوتيكية اليابانية يمثل تبدل الواقع الجيوبولوتيكي الياباني، وفي عام ١٩٨٨ احتلت اليابان المرتبة الأولى في حجم المساعدات الدولية مما انعكس على قوة ألين الياباني وانخفاض قيمة الدولار أمام ألين. أنظر (الشكل ١٩). كما يوضح التمثيل الخرائطي لاتجاهات الجغرافيا المتغيرة للنفوذ الجيوبولوتيكي الممارس عبر المساعدات الخارجية بهدف توسيع دائرة النفوذ الجيوبولوتيكي لكل من اليابان والولايات المتحدة مما سمح لليابان بدور فاعل في صياغة النظام الجيوبولوتيكي العالمي في بدايات القرن الواحد والعشرين، فقواتها اليوم تشارك القوات الأمريكية في احتلال العراق.

الشكل (١٩)

الجيوبولوتيكية والنظام الجيوبولوتيكي القادم.



إجمالي المساعدات الخارجية (اتفاقيات ثنائية أو متعددة) المقدمة من الولايات المتحدة واليابان (١٩٦٦ - ١٩٩٣) - (Gant and Nijmam 1977)



المساعدات الأمريكية واليابانية الثنائية لمنطقة الباسيفيكي الآسيوية. (Gant and Nijmam 1977)

في أعقاب تقهقر الاستعمار بعد الحرب العالمية الثانية كان إيذاناً بإنهاء حقبة الإمبريالية الرسمية وبداية لحقبة جديدة من الإمبريالية غير الرسمية. وللولايات المتحدة نشاط بارز في إطار الإمبريالية غير الرسمية. بوساطة الشركات متعددة القوميات، والتي تمارس الإنتاج والتجارة عبر مختلف دول العالم، هذه الشركات تعد الأوساط الرئيسية للإمبريالية غير الرسمية. وهي اليد الطولى لليهمنة

الأمريكية، وتشير وقائع احتلال الولايات المتحدة الأمريكية للعراق عام ٢٠٠٣ أن سيطرة الولايات المتحدة على هذا البلد ستكون من خلال شركاتها التي منحتها الأولوية في نفط العراق، وما مؤتمر دافوس في سويسرا في شهر كانون الثاني من عام ٢٠٠٤ إلا تكريس للإمبريالية العالمية على الدول الفقيرة.

الإمبرياليــة و العولمــة: Imperialism and globalization

العولمة تعبير يوحي بالانطواء على معنى التغطية الشاملة للعالم، أو مجموعة العمليات المؤدية إلى المجانسة ضمن تكوين واحد Homgenization وهو ما تم التعبير عنه من زاوية حركة الأموال بوصفه "نهاية الجغرافيا" [(٨)].

ويرى مايكل ستوربر Michael Storper أنه "من الغريب تماماً أن يجري تحليل عملية جغرافية في الأساس موصوفه بتعبير جغرافي هي العولمة، أن تحليل هذه العملية إنما يكون بوصفها مجموعة من تدفقات الموارد دون أي اعتبار ملموس لتفاعلاتها مع الطبيعة الإقليمية للتطور الاقتصادي، فمن الواضح تماماً أن " التكامل المنظومي الأعلى لم يحل محل بنى المركز الأطراف. أو تنافس دول الأطراف"" [(٩)].

هل العولمة حلت محل الإمبريالية؟ سؤال كبير سيبقى مطروحاً على الجميع حتى يجد جواباً. وأيضاً كيف ستكون الإمبريالية في ظل أوضاع العولمة؟ وهل ستكون الولايات المتحدة الدولة الإمبريالية الوحيدة في القرن الواحد والعشرين؟.

وللوقوف على علاقة الإمبريالية بالعولمة نقول أنه رغم انحسار الاستعمار، إلا أننا مازلنا نفكر بعقلية الإمبريالية، وأن الإمبريالية الثقافية المترتبة على ثورة الاتصالات حلت محل الإمبريالية بمفهومها القديم، بالإضافة إلى صعود نجم أنصار النموذج "الليبرالي الجديد" في معظم دول العالم النامي، والذي ولد تبعية أقوى مما كانت عليه في السابق [(١٠)].

إن لغة أهل الحكم Raj (كلمة الحكم Raj تعني الحكم البريطاني British Raj) ليست مجردة من معناها، فالمصطلحات التي يطلقها الأقوياء (المستعمرون) لها معنى، وتبقى محفورة في صلب التاريخ، فمثلاً أطلقت بريطانيا مصطلح الشرق الأوسط لتعني به المنطقة الآسيوية الوسطى في منتصف المسافة بين الهند وبريطانيا. ومصطلح الشرق الأقصى يشير إلى الأراضي الواقعة فيما وراء الهند.

هذه المصطلحات وغيرها ترسم صورة مركزية أوروبا في العالم. حتى أن الشرق لم يكتشفه الشرقيون، بل بناه الأوروبيون ووصفوه بأنه عالم يتغاير مع عالمهم الغربي المتقدم الدستوري، الديناميكي، العقلاني، المستنير، مقابل الاستبداد والجحود واللاعقلانية، والقسوة في عالم الشرق [١١]. إن المقياس المزدوج في العقلية الغربية حقيقة واقعة في السياسة المعاصرة، والحقوق الإنسانية، وفي النظرة إلى الأديان ومنها الإسلام. فالعالم يشهد منذ بدايات عام ٢٠٠٤ هجمة شرسة على الإسلام بدأتها الولايات المتحدة، وما الاحتجاجات والمظاهرات في عواصم بعض دول العالم من قبل المسلمين استنكاراً للقانون الفرنسي الذي صدر في شهر كانون الثاني من عام ٢٠٠٤ بمنع لبس الحجاب في مدارس الإناث في فرنسا، إلا تأكيدٌ بأن العقلية الغربية هي واحدة تجاه الإسلام، فهي واحدة في باريس ولندن وواشنطن وروما ومدريد وبون.

أوضحت دراسة إدوارد سعيد عام ١٩٨١ صورة الإسلام المشوهة في الإعلام الغربي كمثال للإمبريالية الثقافية، كون الهيمنة الثقافية كانت سمة مميزة من سمات الإمبريالية. بل يذهب بعض الكتاب لوصف الإمبريالية الثقافية والعولمة على أنها قمع ثقافي لثقافات العالم. ويذهب البعض أنه ليس من المستغرب أن تُخرِج العولمة عملية تهجين تجتمع فيها الثقافات الكونية مع الثقافات المحلية. إلا أن جميع شعوب العالم ستتأثر بعملية التهجين الثقافي. فمثلاً فرنسا تدعو للحد من التوسع الإعلامي الأمريكي عبر السينما والتلفزيون والموسيقا، غير أن دول الأطراف هي الأكثر تضرراً، بالنظرة إلى حجم الفجوة الثقافية فيما بينها وبين الغرب، وإلى كون السيطرة التامة للثقافة الغربية [١٢].

ومن سمات العولمة انتصار اقتصاد الليبرالية الجديدة داخل دائرة صنع القرار في الدولة. صاحبة الخفض في عمليات الدعم المادي للدول الفقيرة التي كانت لها آثار كارثية على المليارات من الناس الفقراء. صاحبه أيضاً الديون الضخمة، والفساد الإداري والاقتصادي والسياسي، مما أوقع الدول الفقيرة (دول الأطراف) في مأزق صعب.

وفي ظل الأوضاع الاقتصادية والثقافية للعالم، تطالب الدول الغنية الدول الفقيرة بالإصلاح كشرط مسبق للحصول على المساعدات من صندوق النقد الدولي، والمطالبة أيضاً بتنفيذ سياسات البلد المانح للمساعدات، وضرورة فتح أسواق الدول

الفقيرة لمنتجات الدول القوية، والعمل على تنفيذ ما يسمى الخصخصة... كل ذلك يـؤدي إلى مسيرات شعبية احتجاجية في دول الفقر، ولكن الدول المانحة (الدول القويـة) تـترك أصـحاب القرار في الدول الفقيرة فريسة لشعوبها تكابد من أجل البقاء فقط.

إذاً العولمة نظام يهدف لسيطرة المركز (الدول القوية) أو (الإمبريالية) على دول الأطراف (الدول الفقيرة) دون احتلال عسكري، فمثلاً خلال الفترة بين١٩٨٣-١٩٩١ قُـدِر دخـل خـزائن الدول الغنية من دول أمريكيا اللاتينية الفقيرة نحو ٢٠٠ مليار دولار، أي نحو ٥٣٤ دولاراً مـن كل فرد من المكسيك إلى تشيلي، هذه الأرقام ترجمة عملية للفكرة القائلة بـأن الإمبرياليـة في ظل العولمة لم يعد من وجودها في الأساس إلا بعدها الأيديولوجي [(١٣)].

مراجع الفصل الثالث:

١. Peter and Colin. OP. Cit. P ١١٩

٢. Hobsbawm, E.J. (١٩٨٧) the Age of Empire ١٨٧٥-١٩١٤. Guild, London. P. ١٤٨.

٣. Morris. J. (١٩٦٨) pax Britannica, Faber & Faber, London. P. ٣٧

٤. Peter and Colin. OP. Cit. P. ١٢٦

٥. Morris. OP. Cit. P ٩٩.

٦. Peter and Colin. OP. Cit. P. ١٢٨.

٧. Grant, R, and Nijman, J. (١٩٩٧) "Historical changes in U.S. and Japanese foreign aid to the Asia - pacific region", Annals, Association of American Geographers ٨٧, PP.٣٠-٥٥"

٨. O' Brien, R. (١٩٩٢) Global financial Integration, the End of Geography. Pinter, London.

٩. Marshall, D.D. (١٩٩٦) "National development and the globalization discourse", Third world Quarterly ١٧. Pp.٨٧٠-٨٨٩.

١٠. Castells, M. (١٩٩٦) the Rise of the network Society, Black Well, Oxford. P. ١٠٨.

١١. Edwardes, M. (١٩٧٥) playing the Great Game, A Victorian Cold War, Hamilton, London.

١٢. Peter and Colin. OP. Cit. PP. ١٣٠-١٤٠.

١٣. OP. Cit. PP. ١٣١-١٤١.

الفصل الرابع

الدولـــة في القـرن الواحـد والعشريـن

مفهوم الدولة:

قسمت الأرض بين المجتمعات البشرية على شكل وحدات إقليمية خاصة بكل مجتمع، تولدت بين هذه المجتمعات المتجاورة فكرة العيش، كل في رقعته الجغرافية الخاصة به، وتحددت شكل العلاقة، إما حسن جوار وإما اقتتال. وصار إلزام على كل جماعة الدفاع عن أرضها في هذه الوحدات الإقليمية التي أطلق عليها فيما بعد الوحدات السياسية (الدول) [١].

والدولة الحديثة ذات السيادة هي ظاهرة أوروبية. يرجعها البعض لمعاهدة وستغاليا عام ١٦٤٨، حيث نصت المعاهدة على مبدأ سيادة الدولة [٢]. ويرى ابن خلدون أن الدولة منظمة سياسية تنشأ لمطلب إنساني [٣]. وتبلورت فكرة الدولة بقيام الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩، بمعنى أن للدولة وظيفة [٤].

بلغ عدد الدول عام ١٨٧١ (١٥) دولة ذات سيادة، ارتفع إلى (٢٥) دولة عند قيام الحرب العالمية الأولى، وإلى (٣٠) دولة في الثلاثينات من القرن الماضي، وإلى (٥١) دولة عند قيام هيئة الأمم المتحدة [٥]، ليبلغ في عام ٢٠٠٤ نحو (٢٠٠) دولة.

انكفأت الجغرافية السياسية على دراسة الدول والأقاليم السياسية من حيث تطورها سياسياً ووظائفها، وكلاهما يبتعدان عن دراسة وتحليل الآفاق الدولية وتداخلاتها.

تطورات الدولة ووظيفتها:

يرتبط تطور الدولة ووظيفتها بعضها ببعض ارتباطاً وثيقاً، يتضح ذلك بداية من كتابات فردريش راتزل Firiedrich Ratzel الملقب بـ "أبي الجغرافيا السياسية"، وقد طور راتزل نظرية حول الطبيعية العضوية للدولة تتألف من سبعة قوانين للنمو المكاني للدولة، تلاه نموذج باوندز عن تطور الدولة، ونهج هارتشورن الوظيفي في تناول الجغرافيا السياسية.

نظريـة هارتشـورن في التكامل الإقليمـي Hartshornes's theory of Territorial integration:

يعتمد التكامل الإقليمي عند هارتشورن على مجموعتين من القوى: قـوى طـاردة تمـزق أوصال الدولة، وقوى جاذبـة تلملـم الدولـة، فـالقوى الطـاردة: المزايـا الطبيعيـة للدولـة مـن مساحة وشكل فمثلاً انقسمت باكستان إلى دولتين بنغلادش وباكستان بسبب عـدم التواصـل الطبيعي بينهما.

أما في الولايات المتحدة فقد ضمت ولايتيها التاسعة والأربعين والخمسـين وهـما بعيـدتا عن أراضي الولايات المتحدة، وهما ألاسكا وهاواي، لذا لم يقم هارتشورن وزنـاً كبـيراً للعوامـل الطبيعية مقارنة بالتباين السكاني للدولة وما يندرج تحتـه مـن التبـاين اللغـوي أو العـرفي أو الديني، هذه التباينات مع فلسفة التعليم، ومستويات المعيشة بين أقـاليم الدولـة، لهـا الأثـر الأكبر في التمزق وتقطيع أواصر الدولة، ينتج عن ذلك الحروب الأهلية ثم التقسيم [٦].

ما الذي يحفظ للدولـة كيانهـا كوحـدة متماسـكة؟ يجيـب هارتشـورن أن فكـرة الدولـة نفسها هي الأساس. فلكل دولة مبرر وجودها، وقـوة رسـوخ الفكـرة أقـوى مـن تـأثير عوامـل الطرد والتمزق. وترتبط فكـرة الدولـة بفكـرة القوميـة. فمـثلاً فشـل اتحـاد أفريقيـا الوسـطى بالاتحاد، وأيضاً اتحاد جـزر الهنـد الغربيـة بسـبب أن فكـرة الاتحـاد لم تكـن تحظـى باقتنـاع سكانها [٧]، أما بالنسبة إلى الوطن العربي فالموضوع يختلف إذ إن هناك رغبـة مـن السـكان في جميع الدول العربية في الوحدة، ولكنها لم تتحقق بسبب معارضة حكام الـدول العربيـة أولاً، ومعارضة إسرائيل ثانياً.

إذن تقوم نظرية هارتشورن في التكامل الإقليمي على ما يتعلق بـ (فكرة - الدولـة)، أمـا جونز ١٩٥٤ وسع حلقات نظريته إلى خمس حلقات هي: الفكرة السياسية، والقـرار والتحـرك والمجال، والساحة السياسية. وفي حالة الدول الحديثة تمثل:

الفكـرة السياسيـة: مبرر وجود الدولة

والقرار: الاتفاقية النوعية المقرة بإمكان تطبيق الفكرة.

التحرك: التدابير المطلوبة لتفعيل القرار وترجمته إلى الواقع.

الساحـة السياسيـة: هي أقاليم الدولة

وفي حالة تعثر أو انقطاع حلقة من حلقات السلسلة، يعني ذلك ظهور عوامـل الطـرد في كيان الدولة.

التقسيم: Critique: انتقد (بيرجهارت) أفكار المـنهج الـوظيفي في الجغرافيـا السياسـية (جوتمان وهارتشورن وجـونز) بقولـه: "إن علـماء الجغرافيـا السياسـية الأمـريكيين مـن أتبـاع المدرسة الوظيفية في تبنيهم أفكار هارتشورن، أصـبحوا ينظـرون إلى الأقـاليم والأراضي كشيء معطى، ومن ثم ركزوا على القوى التي يبدو أنها توحد دولة ما، أو تمزقها، كما أن من الواضح أن تأكيد جوتمان على الحراك والأيقونوغرافيا يفترض وجود دولة ذات أبعاد إقليميـة محـددة ومستقرة، وليس هذا من الصواب في شيء"[٨].

ومن الانتقادات التي وجهـت لنظريـة التكامـل الإقليمـي أن هـذه النظريـة تركـز عـلى الدولة كحالة فردية، وهذا يقلل من أهمية وجود النظام الجامع بين الدول، أمـا النقـد الثـاني فيتمحور حول مفهوم هارتشـورن؛ أن التكامـل للأقـاليم هـو الهـدف الرئيسيـ للدولـة، أي أن الدولة تعمل من أجل نفسها فقط، وهذا بعيد عن الصحة.

وضـع الخريطـة السياسيـة للعـالم The Making of the World Political Map:

الخريطة السياسية لدول العالم، هو تعبير جغرافي عن الواقع، غير أن الخريطة السياسـية للدول قد تكون مظللة، لأن هذه الدولة قد تكون مستقرة وقد تكون دول جديدة، بمعنى أن انهيار الاتحاد السوفيتي ويوغسلافيا تولدت عنه دول جديدة، بمعنى أن خريطة دولة ما، هـو تصور لوضع الدولة في مكـان وزمـان محـدد، إلا أنـه قابـل للتبـدل والتغيـير، لـذا يفـترض بنـا الوقوف على أسـباب وجـود هـذه الـدول بشـكلها الحـالي، وهـذا السـؤال تـاريخي إمبريقـي (تجريبي وعلمي) من ناحية، ومفاهيمي نظري من ناحية أخرى، والإجابة تمزج بين الاثنين.

ويعـد عامـل الأمـن شرط ضروري لبقـاء الدولـة واسـتمرارها، فتطلـب ذلـك القـانون والضرائب وبناء الجيوش، هذا من حيث التنظيم الداخلي. أما التنظيم الخارجي

فيتطلب الاعتراف من الغير بالسيادة، ويتطلب من الدولة مسايرة الركب مع الـدول المجـاورة على المستوى الاقتصادي.

إن مشروعية السيادة على الحدود الإقليمية للدولة، هـي القاعـدة في العلاقـات الدوليـة بين دول العالم [٩]. ولا وجود لسـيادة إلا بـاعتراف الـدول الأخـرى بهـا وخصوصـاً دول الجـوار الجغرافي[١٠]. فمثلاً لم تعترف دول العالم بدولة قبرص الجناح التركي عام ١٩٧٤، إذ لم يعترف بها أحد سوى تركيا. ومازال هذا الوضع قائماً حتى الآن (٢٠٠٤) ومنذ عام ١٩٤٥ أصبحت السيادة للدولة تتأكد عند قبولها في عضوية هيئة الأمم المتحدة. بـل تعـد السـيادة حتميـة في تكـوين الدولة[١١].

نص ميثاق هيئة الأمم المتحدة على سلامة أراضى الـدول الأعضـاء، وتـدين أي تـدخل في شؤونها الداخلية. إلا أن المشـاهدات الواقعيـة لأوضـاع العـالم السـياسي أن الاسـتقرار لم يكـن الطابع الغالب على الخريطة السياسية للعالم، فقـد انتهكـت سـيادة دول، أوجـدت نزاعـات ، فكيف نبرر هذا التجـاوز؟ أجـاب (بيرجهـارت) عـلى ذلـك بقولـه: "بعـد أن بحـث عـدداً مـن النزاعات السياسية وتوصل إلى أن ثلاثة منها أثرت في تشكيل خريطة العالم السياسية هي [١٢]:

١. السيطرة الفعلية على الأراضي، بمعنى أن وضع اليـد يمثـل تسـعة أعشـار القـانون، إلا أن سياسة القوة هي الحكم في أيامنا هذه، فسيطرة الكيان الصهيوني عـلى فلسـطين بـالقوة أصبحت حقيقة واقعة رغم أن اليهود غزاة مستعمرين لفلسطين ".

٢. وحدة أرضي الدولة، فيمكن استخدامها لمعارضة حق دولة ما تمارس سـيطرة فعليـة عـلى أرض ما. مثال ذلك، مدت الولايات المتحدة نفوذهـا عـلى الأراضي الواقعـة مـن المحـيط الأطلسي شرقاً حتى المحيط الهادي غربـاً. تحـت دعـوى المصـير المحتـوم. هـذه المـزاعم الأمريكية شجعت إسبانيا لضم جبل طارق عـلى أسـاس وحـدة المصـير (وحـدة الأراضي) حتى أن هيئة الأمم المتحدة وافقت على ضم جبل طارق إلى إسبانيا بـدعوى أن الرقعـة الجغرافية تمثل جزءاً مكملاً لشبة الجزيرة الأيبيرية.

٣. المزاعم التاريخية والثقافية، فالمزاعم التاريخية ترتبط بالأسبقية في وضع اليد عـلى الأرض، هذه المزاعم غير مبررة، لأن الأرض ليست في الأصل أرض

سيادة لأي من القوى الأوروبية التي وصلتها في أمريكيا الشمالية أو الجنوبية على سبيل المثال. فهي أراضي مسلوبة من أصحابها ولاحق للدول الأوروبية فيها. أما المزاعم الثقافية فهي تنبع من المشاعر القومية، فيما يعرف حالياً بحق الشعوب في تقرير مصيرها.

إلا أن معظم الدول في القارة الأفريقية وحتى الأمريكية أولا الآسيوية بقيت حدودها السياسية كما رسمها الاستعمار، أي تم التحفظ على الوضع الراهن التي تحكم إلى النظام الدولي المعارض لتغيير الحدود السياسية للدول المستقلة. فعندما حاولت بيافرا الانسلاخ عن نيجريا في القارة الأفريقية، لم تجد أذناً صاغية من الدول الأفريقية عام ١٩٧١.

لا شك أن رسم خريطة العالم السياسية الحالية قد جاء كمحصلة لسياسات القوة، وهي خرائط قابلة للتبديل والتغيير، فالقوة هي الحكم.

الحدود السياسية للدولة:

الحد السياسي للدولة هو خط يرسم على الأرض أفقياً، وتعتبر كل الأراضي بداخله تحت سيادة الدولة، هذا الخط يمتد رأسياً في الفضاء وباطنياً تنتهي عند مركز الأرض.

تعتبر دراسة الحدود السياسية بين الدول من أشيع الموضوعات في الجغرافيا السياسية في النصف الأول من القرن الماضي، ومن أبرز الجغرافيين الذين درسوا الحدود السياسية: راتزل ١٨٩٧ وبوجز ١٩٤٠ وجونز ١٩٤٥ وبرسكت ١٩٦٧[١٣] وغيرها آلاف الأبحاث معظمها يركز على تطور الحدود السياسية وعلى المنازعات التي تثيرها بين الدول المتجاورة.

الأرض والسيادة هما الأبعاد الحقيقية والواقعية لخرائط الدول السياسية، إلا أن شكل الحدود لها أهميتها فمجتمع الدولة لا يعرف في كل الأحيان ما يدور في الكواليس خارج حدود دولتهم، وما يثار من مشكلات مع دول الجوار الجغرافي.

التخــوم والحــدود : Frontiers and boundaries

كانت مشاكل الحدود في النصف الأول من القرن العشرين قضية محورية في السياسـات الدوليـة، ومـن أشـهر مـن كتـب في قضـايا الحـدود بـين الـدول (منجـي ١٩٦٣ وجـونز ١٩٥٩ وبرسكوت ١٩٦٥ وباوندز ١٩٦٣).

كلمـة تخـوم Frontiers مشـتقة مـن المفهـوم إلى الأمـام in front بوصـفه الواجهـة المتقدمة لحضارة ما. أما كلمة الحدود Boundaries فهو مشتق من كلمة الأطـراف Bounds بمعنى أطراف الأراضي أو الإقليم الذي تجده أي أن التخوم في اتجاه خارج الدولة، إما الحـدود في اتجاه الداخل بالنسبة للدولة. والتخوم منطقة من الأرض عريضة ذات اتساع واضح، بيـنما الحدود خطوط تفصل بين الدول. وهي مناطق جغرافية ذات مساحة لها صفة طبيعية ثابتـة لا تتغير بتغير الظروف السياسية (١٤)، لها طول وعرض يتفق عليها بين الدولتين.

إذاً التخوم هي تلك المساحة الواقعة بين كيانيين اجتماعيين مختلفين ومـن الأمثلـة عـلى ذلك التخوم بين الإمبراطوريتين الرومانية والصينية وغيرها، إلا أن قضـايا التخـوم اختفـت مـع إرساء قواعد النظام العالمي مع بدايات القرن العشرين.

وقد حل محل مصطلح التخوم الحدود، وقد حدد جونز ١٩٥٩ خمسة مفاهيم للحـدود هي: الحدود الطبيعيـة، والقوميـة، والتعاقديـة، والهندسـية، والحـدود التـي تفرضـها سياسـة القوة. أما فكرة الحدود الطبيعية فإنها ترجع إلى فرنسـا في القـرن الثـامن عشرـ فهـي وليـدة اعتناقها الفلسفة العقلانية.

افضل أنواع الحدود هي الحدود الطبيعية كالأنهار والصحاري وقمم الجبال، إلا أن رسـم الحدود السياسية بين الدول يتبع مبدأ الأقوى، ومعظم حدود دول الأطراف رسمت مـن قبـل الدول الاستعمارية، كما هو حاصل في الوطن العربي، فقـد رسـمت حـدود سياسـية مـن قبـل بريطانيا وفرنسا بهدف تمزيق الوطن العربي إلى ٢٣ دولة.

مـدن العواصـم كمراكـز سيطـرة:

أفضل المواقع الجغرافية لاختيار موقع العاصـمة هـو قلـب الدولـة مثـل عـمان وبغـداد والرياض وصنعاء. وبعض الدول تتميز عواصمها بأنها طبيعية وأخرى

مصطنعة إلا أن (سبات Spat) لا يرى فرقاً بين لندن وكانبيرا في استراليا، فقد تم اختيار موقع المدينتين على قرارات سياسية، ومهما قيل عن موقع العواصم تبقى مراكز تحكم في الدولة، ومركز صنع القرارات، ورمز الدولة وعنوانها.

أما واشنطن عاصمة الولايات المتحدة الأمريكية فلها وضعها الخاص، فهي ليست من المدن العملاقة في الولايات المتحدة بل يرى لونشال بأنها لا عاصمة anti- capital السياسة "اللاعواصمية". ويرى هزيكسون أن اختيار واشنطن كان على الأطلسي مقابل أوروبا ويقدم هزيكسون نموذجين للعواصم هما:

١. النموذج الأوروبي، وهو يجعل من العاصمة مركزاً للفكر السياسي والثقافي والاقتصادي.
٢. النموذج الأمريكي، يجعل من العاصمة مركزاً للسياسة فقط.

ويمكن إضافة نموذج ثالث وهو نموذج دول الأطراف، فهي من كبريات المدن مثل دار السلام، وبيونس آيرس، وليما، وداكار، وجاكرتا، ومانيلا، والقاهرة، وبغداد، والرياض، وصنعاء، وعمان، والجزائر،....الخ.

فهي أصلاً موجودة في أماكنها تعود لحضارات سابقة كما هو في القاهرة ودمشق وبغداد ويمكن القول أن هناك ثلاثة أنماط من العواصم هي [١٥]:

١. نتاج لعمليات واقعة في المركز، كما هو في المهفوم الأوروبي، أي عواصم بمثابة مراكز للتحكم السياسي التي تخطط لشؤون الاقتصاد العالمي.
٢. نتاج للعمليات الأطرافية، وهي في دول الأطراف، تخدم مصالح دول المركز في استغلالها لموارد دول الأطراف. تكون مواقعها في العادة على السواحل، كانت هذه العواصم بمثابة الخروق أو الثقوب التي امتصت دول المركز من خلالها ثروات دول الأطراف.
٣. نتاج لعمليات شبة أطرافية، بعض الدول التي تحررت من الاستعمار نقلت عواصمها إلى مدن أخرى بقصد التخلص مما تبقى من روابط استعمارية، مثلاً نقل الاتراك عاصمتهم من استانبول إلى أنقره، وباكستان نقلت عاصمتها من كراتشي إلى إسلام أباد، والبرازيل من ريودي جانيرو إلى برازيليا، ونيجيريا من لاغوس إلى أبوجا.

هذا النقل للعواصم نظر إليه على أنه جزء من إستراتيجية شبة أطرافية لتحجيم العمليات الأطرافية الجارية في الدولة. هذه الأنماط الثلاثة للعواصم، تعكس ردود الفعل لمنظومة الاقتصاد العالمي: عواصم دول المركز الأوروبية، وعواصم الأطراف في أمريكيا اللاتينية وأفريقيا وآسيا، ثم عواصم أشباه الأطراف القديمة منها والحديثة.

الفيدرالية بوصفها الصيغة السياسية الأكثر جغرافية:

يمكن تميز أربعة مستويات لسيادة الدولة هي:

١. الدولة الواحدية كاملة السيادة، مثل بريطانيا حيث تقع السيادة في قبضة التاج من خلال البرلمان، وكذلك فرنسا والأردن والعراق ومصر وسوريا ...الخ.

٢. الدولة الفيدرالية (الاتحادية)، بمعنى توزيع السلطة بين مستويين، مثلما هو في الولايات المتحدة الأمريكية، (السلطة الفيدرالية، وصلاحيات الولايات الخمسين).

٣. الدول الكونفدرالية، وهي مجموعة من الدول مثل الاتحاد الأوروبي وكأنها (الولايات المتحدة الأوروبية). وفي هذا النظام تحتفظ كل دولة لنفسها بمهمة الدفاع عن أراضيها.

٤. الدولة المقسمة، وفيها من الصعوبة المحافظة على وحدة أراضيها، مثل الإمبراطورية النمساوية / الهنغارية، حيث قسمت إلى عدة دول في أعقاب الحرب العالمية الأولى.

الفيدرالية: الفرصة والتنوع: **Federalism: Opportunity and diversity:**

يعرف (روبنسون) الفيدرالية بأنها الصيغة الأكثر تعبيراً جغرافياً عن مختلف النظم السياسية [١٦] وقد اهتم الباحثون بمصطلح الفيدرالية مثل ديكشت ١٩٧٥، وباديسون ١٩٨٣، والفيدرالية تعزز وضع كل ولاية على حدة.

اجتهد بعض علماء الجغرافيا السياسية بمجموعة من التصورات لتصبح فيها الفيدرالية الصيغة الأفضل لبناء الدولة.

ومن العوامل المشجعة لقيام الفيدرالية وجود جماعة مؤثرة وقادرة على إقناع المسؤولين في سائر الولايات، بجدوى الاتحاد بدلاً من البقاء في رقع جغرافية غير فاعلة، وتتدعم الفيدرالية في حالة اقتناع أصحاب رؤوس الأموال والاقتصاديين الناجحين فيها، ومن الأمثلة الناجحة على الفيدرالية الولايات المتحدة الأمريكية. وقد تكون الفيدرالية الصيغة الأنسب للقفز عن المشكلات الاجتماعية والاقتصادية التي هي من سمات الدول ذات المساحات الكبيرة.

إلا أن دولة مثل الهند فيها ١٦٥٢ لغة تعاني من صعوبة مواءمة التعددية الثقافية، ليس من السهل فيها نجاح الفدرالية، وبعد استقلال الهند قسمت إلى ٢٧ ولاية، وفيما بعد انتهت الهند إلى إقامة ولايات على أساس جبري لتفويت الفرصة على الانفصالية ثم قسمت في عام ١٩٥٥ إلى ١٤ ولاية على أساس لغوي أما اليوم فالهند ٢٢ ولاية، تعكس التنوع الثقافي للهند.

إنشاء دول جديدة من خلال التقسيم:

إن شعار الإمبريالية البريطانية "فرق تسد" أصبح من مخلفات الماضي، فتحرر الشعوب من الاستعمار البريطاني انتفى معه جزئية "تسد" وبقي "فرق" في الدول التي تحررت، فمثلاً بعد تحرر الهند عام ١٩٤٧ بقي فيها مخلفات الشعار البريطاني "الفرقة والانقسام" فتحولت إلى دولتين الهند وباكستان بعد هلاك مليون إنسان، وتهجير أثنى عشر مليوناً من مواطنهم الأصلية. وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي عام ١٩٨٩ تولدت دول جديدة بلغت أربعة عشر دولة، ومن يوغسلافيا نشأت أربع دول جديدة، وفي عام ١٩٩٢، انقسمت تشيكوسلوفاكيا إلى دولتين (تشيكية و سلوفاكية) والدرس المستفاد من هذه الانقسامات أن الفيدرالية لا تدوم، والتقسيم وارد إن عاجلاً أو آجلاً[١٧]. بمعنى أن احتمالات انفراط عقد الفدرالية في الولايات المتحدة وارد.

إن تقسيم الدول إلى دويلات في الوقت الحاضر، هو نتاجٌ للميوعة السياسية التي تصاحب النظام الجيوبولوتيكي العالمي، لأنه نظام قائم على أهواء مصالح الدول الكبرى وعلى تمزيق الدول الفقيرة وعلى سياسة القوة أحادية الجانب من قبل الولايات المتحدة الأمريكية.

درس وترمان عام ١٩٨٧ تقسيمات الدول الكبيرة إلى دويلات ليخلص إلى نمطين من الانقسام من وجهة نظر الجغرافيا السياسية هما: الأمم المنقسمة، والدول المنقسمة. فألمانيا (١٩٤٩-١٩٩٠) مثال للنمط الأول، وكوريا، ومنغوليا، والصين، وفيتنام (١٩٥٥-١٩٧٤) وكان ذلك بفعل عوامل خارجية لم يلتفت لها أو يعترف بها سكان هذه الدول، ومن هذه الدول تم توحيد كل من فيتنام وألمانيا. أما النمط الثاني من التقسيم فجاءت نتيجة رغبة داخلية من سكانها بسبب خلافات سياسية وثقافية مثل انفصال باكستان عن الهند، وما حدث من تقسيم لكل من قبرص وإيرلندة.

تعرف الدولة في دول المركز (الدول القوية) بأنها المورد للسلع والخدمات العامة أي تقدم للمواطنين مجموعة من الخدمات كالتعليم والعلاج والأمن..الخ، وتتناول الجغرافيا السياسية كفاءة هذه الخدمات، وإبراز أكثر دول العالم خدمية لشعوبها [١٨].

ومن الأمور التي تهم المواطن في الدولة دور الدولة كمنظم للتسهيلات، أي ما تقدمه لإنعاش الاقتصاد الوطني، ومدى اهتمام الدولة بالبنية التحتية التي تنعش الاقتصاد مثل الطرق والكهرباء...الخ. وهذه أيضاً تتناولها الجغرافيا السياسية بالدراسة والتحليل والتقييم [١٩].

وهناك نظريات في الدول الرأسمالية تضع الدولة في وضع (المحكّم) تتصرف الدولة كحكم في فض المنازعات داخل المجتمع . ففي الدول الرأسمالية والتي يجري فيها انتخابات حرة تلعب الدولة دور الحكم المحايد، وقد شبه الحزب السياسي الفائز بالدولة التي شبهها بالسيارة، حصول الحزب على مفتاح تشغيل السيارة بعد جلوسه في مقعد القيادة [٢٠].

كما شبه (كلارك ودير) الدولة في ظل الرأسمالية بالمهندس الاجتماعي، بمعنى تحقيق العدالة الاجتماعية (دولة الرعاية الاجتماعية) وقد نالت جغرافيا الرعاية الاجتماعية المعنية بالتفاوت المكاني، أهمية في الجغرافيا السياسة المعاصرة.

أما في دول الأطراف فتوصف الدولة بالبوليسية (الوظيفة البوليسية) حيث السياسة الجبرية وسياسات القمع ضد المواطنين وسياسة الحزب الواحد، والشللية والجمهورية ....الخ.

الـــدول الرأسماليـــة:

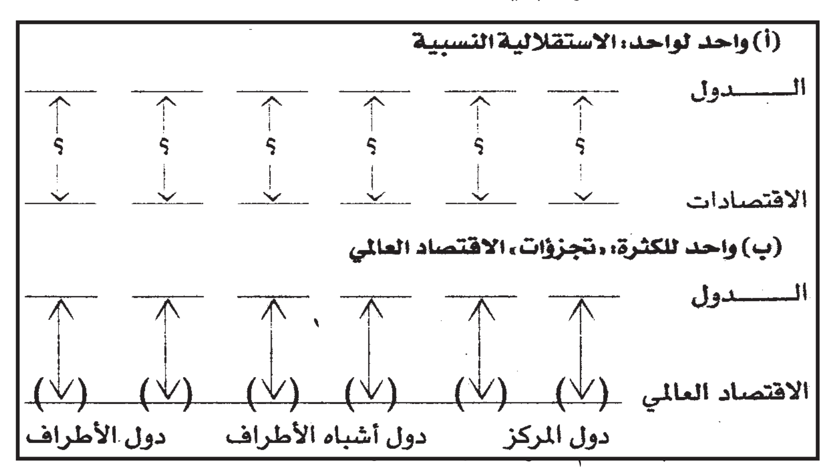
كان جل هم النظريات التـي تناولـت الدولـة التركيـز عـلى النظـرة إلى الـداخل في قلـب الدولة لفهم العلاقات المدنية بين أفراد المجتمع. أما النظريـات الحديثـة فتركـز بالإضـافة إلى ذلك على العلاقات الخارجية للدولة.

إن النظام الاقتصادي الرأسمالي قادر على إنتاج أشكال مختلفة للدولة في مناطق مختلفة من العالم. ونعني بالدولة/ هي مؤسسـة أساسـية (لاعـب أسـاسي) ضـمن منظومـة الاقتصـاد العالمي. هذه الدولة تدار أما لصالح جماعات أو طبقـات عـلى حسـاب جماعـات أو طبقـات أخرى داخل النظام العالمي، ويتم ذلك عن طريق سياسة المنـاورة (أو مـا يسـمى الاسـتقلالية النسبية) [٢١].

ترتكز الاستقلالية النسبية على أن الدولة والاقتصـاد يشـغلان الرقعـة الجغرافيـة للدولـة نفسها، بمعنى ربط الاقتصاد القومي للدولة بسياستها التي تسـلكها تجـاه دول أخـرى، ولكـن إذا لم يكن هناك اقتصاد قومي مسـتقل؟ الحـل أننـا نـدرك أن هنـاك علاقـات متشـابكة بـين الدولة والدول الأخرى في العالم. هذا المفهوم يمكن إدراكه مـن خـلال وجـود نظـام اقتصـادي عالمي ينطوي تحته جميع دول العالم. (شكل ٢٠) الذي يوضح صورة بديلة لعلاقـات الدولـة/ الاقتصاد، فمن خلال تحليل الشكل نكشف أن تجزؤات الاقتصاد العالمي تنسـاح عـلى الرقعـة الأرضية بأكملها دون استثناء وتختار الدول ما تجده مناسباً لها من هذه التجـزؤات المختلفـة من دولة إلى أخرى، هذا يرشدنا إلى أسباب التعددية السياسية بين الدول.

الشكل ٢٠

صورة بديلة لعلاقات الدولة/ الاقتصاد



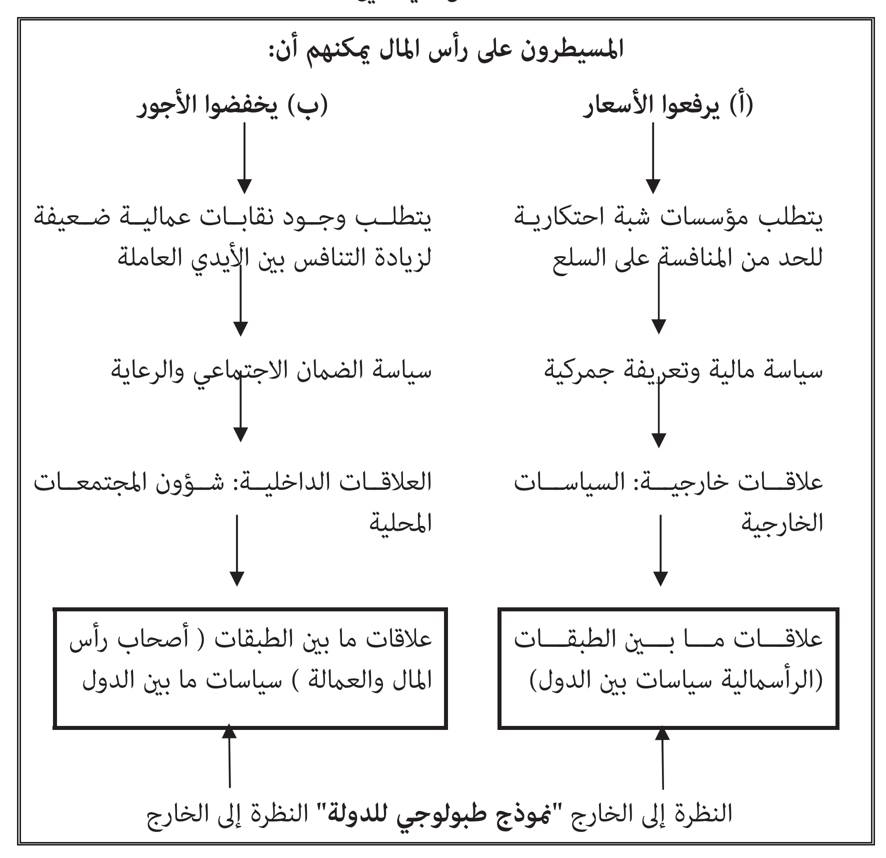
في عالمنا الحديث يبدو أنه من الممكن أن نتعرف على طبيعية الدولة Nation of the States من طبيعة الاقتصاد العالمي. ونستخدم كلمة المناورة التي تقوم بها الدول (المؤسسات ضمن الاقتصاد العالمي) محل فكرة الاستقلالية النسبية للدولة لكيان منفصل عن الاقتصاد العالمي.

هذه المؤسسة هي مؤسسات الدولة الرسمية الممسكة بزمام الأمور. على أن الدولة تصبح بمنزلة أدوات للجماعات الضاغطة والفاعلة والقادرة على استخدام أصحاب القرار في الدولة لتحقيق مصالحها الخاصة. (الشكل ٢١) الذي يوضح الصراعات الدائرة بين الجماعات داخل أطر الاقتصاد الرأسمالي لنستنتج منه نظرية عن الدول من هذا الواقع.

يقوم النظام الاقتصادي العالمي على تراكم رأس المال، ولجاشعة أصحاب رؤوس الأموال يزيدون من مكاسبهم، إما برفع أسعار السلع، وهذا يتم من خلال الاحتكار وإما بتخفيض تكاليف إنتاجها، وذلك بالتصدي لنقابات العمال لمنعهم من رفع أجور العمل، وفي كلتا الحالتين تكون جنى رؤوس الأموال لأصحاب رؤوس الأموال والدولة التي هي بمثابة أداة للحصول على الفائض العالمي.

الشكل (٢١)

استخلاص سياستين



المصدر: عبد السلام رضوان، ص ٣١٠ عن Peter and Colin, P. ١٨٣

ويأتي دور الدولة في دعم رؤوس الأموال بفرض القيود على حركة السلع والأموال منها وإليها بما يمكن أن نطلق عليه سياسة الاحتكار، ومهما اتبعت الدولة سياسات اقتصادية فإنها تظل تجابي أصحاب رؤوس الأموال والمتحكمين في التجارة على الصعيدين الداخلي والخارجي على حساب فئات من التجار وأصحاب رؤوس الأموال الأقل حظاً في الثروة.

ويصاحب المفاوضات في الجات GATT (وهي الاتفاقيات العامة للتعرفات الجمركية والتجارة) Gatt: General Agreement on Tariff And Trade.

حوار حول قدر الحرية المسموح بها في السوق العالمية فيما يتعلق بالسلع الزراعية.

ففي الولايات المتحدة وأوروبا واليابان يصر المزارعون على الحفاظ على مكاسبهم، مما أوقع دولهم في متناقضات مع دول العالم الأخرى من جهة، ومع أصحاب رؤوس الأموال في الداخل جهة أخرى.

وتقوم الدولة من جانبها بتحديد الحد الأدنى من الأجور للأيدي العاملة، وإجبار الشركات والمصانع على إدخال العمال في دائرة الضمان الاجتماعي، وذلك لضبط العلاقات الاجتماعية لعمليات الإنتاج داخل الدولة. أما في دول الأطراف فيتم حظر النشاط النقابي، وحتى في الدول القوية (دول المركز) تحاول عن طريق الإمبريالية غير الرسمية ضبط عملية أجور العمال، ومثال ذلك امتنعت بريطانيا في عام ١٩٩٢ من التوقيع على اتفاقية الجماعة الأوروبية للتكامل الاقتصادي وذلك بضغط من الشركات البريطانية للإبقاء على أجور العمال كما هي [٢٢]:

تحاول الدول اتباع السياسة الحمائية لمواجهة الضغوط الاقتصادية لمختلف الطبقات. فتلجأ الدولة لسياسة المناورة في ظل ظروف العولمة كما تفعل الآن الولايات المتحدة الأمريكية [٢٣]. ففي التسعينات من القرن الماضي قدم الحزب الجمهوري برنامجه الانتخابي تحت عنوان "عقد مع أمريكا" على أثر خفض دخل الأسرة الأمريكية، واتساع الهوة في الثروة، وكلا الحزبين الجمهوري والديمقراطي رفعا شعار الإصلاح الداخلي، وخفض حجم الجهاز الإداري الحكومي. وتعزيز الحرية الاقتصادية، وإزالة القيود عن التشريعات البرلمانية.

ليصبح رأس المال أكثر حركة لتزايد تراكمات رأس المال، هذه الاستراتيجيات الرأسمالية تضر بمصالح العمال، والشركات الصغيرة والأسر الفلاحية. فضلاً عن الفقراء والبيئة[٢٤].

حقق الجمهوريين بالأكثرية على الديمقراطيين في انتخابات الكونجرس عام ١٩٩٤ ورغم عدم تمكنهم من هزيمة كلينتون عام ١٩٩٦ فقد أخذ الديموقراطيون

يطبقون جزءاً مما نادى به الجمهوريـون. والواقـع أن منـاورة الدولـة لم تتـأثر بكـلا الحـزبين بسبب احتكار كلا الحزبيين للأجندة السياسة.

نستخلص مما سبق أن بمقدور السياسيين اسـتغلال الأوضـاع وتجييرهـا لصـالحهم، تمامـاً مثل خريطة العالم السياسية، فهي لا تمثـل السـوق العالميـة ولا الاقتصـاد العـالمي، فالخريطـة السياسية شيء يجري التصارع حوله بشكل دائم ويعـاد تشـكله مـن أجـل أن يوافـق مصـالح جماعات معينـة عـلى حسـاب جماعـات أخـرى، وللـدول دور في هـذه العمليـة وفي العولمـة المعاصرة في القرن الواحد والعشرين.

تنـوع أشكـال الدولـة: مقدمـة مكانيـة - زمانيـة:

تشترك الدول في الاضطلاع بمهمتين هما: تهيئة الظـروف لـتراكم رأس المـال، ثـم الحفـاظ على مشروعية النظام، فدول المركز تتمتع بالاستقرار السياسي والاجتماعي، ونزاهة الرأي العام بعيداً عن سياسة الإملاء والغرض من أعلى فيما يتعلـق بـإدارة شـؤون الـبلاد، أي في السياسـة الداخليـة. وتعـود هـذه الأريحيـة في الشـؤون الحياتيـة إلى أن أصـحاب رؤوس الأمـوال فيهـا معظمهم يملكون شركات قوية عـابرة للقـارات، وبمقـدورهم تحسـين مسـتوى المعيشـة لـدى الطبقات العاملة ضماناً للاستقرار في دول المركز، هذه السياسة متوافقة مع سياسة الإمبرياليـة غير الرسمية.

لأن أصحاب رؤوس الأموال يهمهم اسـتقرار أجـور العـمال ونمائهـا وهـذا لا يعـد رشـوة يقـدمها هـؤلاء الرأسـماليون للعـمال، بـل هـي مـن أبجـديات اسـتقرار منظومـة الاقتصـاد العالمي[٢٥].

وتعتمد درجـة هيمنـة دول المركـز عـلى فـترات الركـود والانتعـاش الاقتصـادي لأسـباب متعـددة، ففــي فــترات الانتعــاش تتعــزز الهيمنــة ، وتنــتعش نقابــات العــمال، وتتطــور الخدمات...الخ أما في فترات الركود فتتعرض الدولة لبعض الاهتـزازات الاقتصـادية والسياسـية والاجتماعية.

أما في دول الأطراف، فحالة عدم الاستقرار هي السمة الغالبة، فليس ثمة فائض من المال لرشوة العمال فتظهر حركات التمرد والإضراب برغم مجـابهتهم مـن أصـحاب القـرار في سـدة الحكم ومن أصحاب رؤوس الأموال. فتلجأ الدولة إلى

إخفاء ضعفها الاقتصادي إلى المظهرية المخادعة لكي توهم شعبها والعالم بأن اقتصادها قـوي، ولكن الحقيقة غير ذلك، ففي هذه الدول خرج الاستعمار العسكري وحـل محلـه شـلة مـن العسكريين البيروقراطيين تكون مهمتهم خدمة ثلاث طبقات استغلالية هي [٢٦]:

١. دول المركز الكبرى المهيمنة (الدول القوية في العالم).

٢. مصالح الصناعة الحضرية المحلية.

٣. مصالح ملاك الأراضي الزراعية.

هـذه الطبقـات الـثلاث حريصـة كـل الحـرص عـلى الإبقـاء عـلى النظـام القـائم ضـماناً لمصالحها، وضرورة استمرار علاقة الدولة بالاقتصاد العالمي، وفي معظم الأحوال تلتقي مصـالح دول المركز ومصالح ملاك الأراضي الزراعية في دول الأطراف بتطبيق سياسـة الاقتصـاد المنفـتح على العالم، بينما أصحاب المصانع الكبيرة في دول الأطراف تحبذ سياسة الحمائيـة. وعـلى قـدر ما تنجح نظم الحكم العسكرية البيروقراطية في تلبيـة مصـالح أربـاب الصـناعة، فـإن الدولـة تقترب من دول أشباه الأطراف، وفي حالة الفشل تصبح من دول الأطراف.

ويمـر العـالم اليـوم في فـترة ركـود اقتصـادي، يـنعكس بصـورة كبـيرة عـلى دول الأطـراف بالمعاناة، لذا المناداة بالعولمة في أيامنا هذه غـير واقعيـة، بـل هـي تسـمية مغلوطـة، لأنهـا لا تحمل من العالمية إلا أقل القليل، ما دام القسـم الأعظـم مـن أفريقيـا والشرـق الأوسـط قـد جرى تجاهله من قبل العولمة المعاصرة فهي بحق عولمة غير متكافئة.

أما دول أشباه الأطراف (والتي هي زنبرك الاقتصـاد العـالمي) فتـؤثر القـرارات السياسـية لحكامها على البنية المستقبلية للنظام الاقتصادي العالمي. وفي هذه الدول يطفو عـلى السـطح الصراع الطبقي بين سياسة الإملاء من أعلى وسياسة القوى الشعبية. وفي دول أشباه الأطـراف تتمثل سياسات الحكومة في العمل على تراكم رأس المال، وفي اللحاق بالركب العـالمي، وفـرض السياسة الحمائية، والمركنتيلية[٢٧]، هـذه الثنائيـة توقـع الدولـة بمشـكلات، كـون معظـم دول أشباه الأطراف ذات حكومات دكتاتوريـة تمـارس فيهـا سياسـات القهـر والإمـلاء، مـما يجعـل مسألة اللحاق بالدول المتقدمة مسألة خيال.

وبعض دول أشباه الأطراف تحتمي خلف قاعدة من الدعم الشعبي أو خلف المشاعر القومية، إلا أن جميع دول الأطراف في مراحل الركود الاقتصادي تهتز وتسقط مثل زوال الديكتاتوريات العسكرية في أمريكا الجنوبية، والأنظمة الشيوعية خصوصاً في أوروبا الشرقية، ترتب عليه وصول حكومات أكثر ديمقراطية.

ومن منظور العولمة يمثل نهوض شرق وجنوب شرق آسيا فيما وراء اليابان، وازدهار مدن عالمية مثل هونج كونج وسنغافورة تمثل حالة شبة أطرافية استفادت من إعادة الهيكلة الاقتصادية العالمية. على أن هذه تبقى مدناً مزدهرة ولها شأن اقتصادي عالمي. وتبقى الدولة الإقليمية هي الأقوى على الساحة الدولية.

الدول الإقليمية في ظل شروط العولمة:

يعتقد (دوديش ١٩٨١) أن دخول العالم قبل أكثر من نصف قرن (١٩٤٥) عصر الذرة، يعني أن الدول غير قادرة على الدفاع عن سكانها. أما براون يرى في كتابه "عالم بلا حدود ١٩٧٣" أن هناك مشكلات تواجه الدولة الإقليمية خارجة عن إرادتها مثل: القنبلة السكانية، والتلوث البيئي، والغني يزداد غنى والفقير يزداد فقراً، والفساد الإداري والمالي والأخلاقي...الخ. ويرى أن المبادئ القومية في الدول الإقليمية يضحى بها بالتدريج؛ لذا نتساءل هل العولمة وريثة الدول الإقليمية أو النظام الدولي القائم على الدولة؟ والواقع يشير ليس هذا ممكنا في المدى القريب، فالدول تعرف أن سلطتها بدأت تتآكل في ظل تشابك الاقتصاد العالمي وتداخلاته، للحفاظ على كيانها وهيبتها إلى نقل بعض سلطاتها إلى مؤسسات أخرى [٢٨].

فمثلاً هناك رأيان فيما يتعلق بإقامة الاتحاد الأوروبي EU هما:

١. رأي يرغب في الاحتفاظ بسيادة الدولة مثل البريطانيين.

٢. رأي يرى تجاوز القومية: Supernationallists، وهم المنادون بقيام ولايات متحدة أوروبية، مثل الألمان والفرنسيين، وأصحاب هذا الرأي أقوى من الرأي الأول، فقد هدم الاقتصاد سيادة الدول الأوروبية، فتم اختراق الدول الأوروبية تدفقات رأس المال داخل الشركات المتعددة الجنسية، بل قوضت المنافسة العسكرية والسياسية بين أعضاء المجموعة الأوروبية. ويستدل على ذلك من قول رئيس المفوضية الأوروبية بقوله: "إن اتحادنا ليس ثمرة التاريخ

والضرورة فحسب، بل والإدارة السياسية ايضاً[٢٩]. ويلعب الاتحاد الآن قوة فاعلة في العمليات الاقتصادية العالمية، فالاتحاد أصدر العملة الموحدة (اليورو) لمواجهة الدولار الأمريكي[٣٠]. مدعمة اقتصادها بتوسيع دائرة الاتحاد الأوروبي من أجل تفاعلٍ أكبر مع الاقتصاد الكوني، وبالفعل فقد استطاعت أوروبا في شهر كانون الثاني من عام ٢٠٠٤ هزيمة الدولار، فاليورو بارتفاع والدولار يواصل انخفاضه.

العالم المعاصر ساحة كبيرة تتنافس عليه شركات عملاقة عابرة للقارات، قوضت أركان الدول القومية. فمثلاً شركة جنرال موتورز احتلت المرتبة الثالثة والعشرون في جدول ترتيب الدول والشركات معاً من زاوية إنتاجها المحلي الإجمالي ومبيعاتها الإجمالية، أطلق عليه براون جدول العصبة، هذه الشركة تتمتع باقتصاد أكثر بكثير من معظم دول العالم.

فإذا كانت الدول الإقليمية تلفظ أنفاسها، فإن الوريث لها هو الشركات العظمى متعددة الجنسيات.

لذا يشهد العالم في بدايات القرن الواحد والعشرين مناورات على الساحة العالمية بين الدول الإقليمية وبين الشركات الكبرى العالمية. فالدول الإقليمية مع نهاية عصر الإمبريالية غير الرسمية اتجهت إلى تنظيم شؤونها الداخلية، والحفاظ على سيادتها، وزيادة تراكمات رأس المال عن طريق سياسة الباب المفتوح في التجارة الحرة.

أما الشركات الاقتصادية - السياسية عابرة القارات تتلاعب بدول العالم اقتصادياً وسياسياً، والتلاعب في أسعار المنتجات العالمية، ونقل رؤوس أموالها من دولة إلى أخرى، وأيضاً مصانعها من دولة لأخرى جرياً وراء الربح السريع والعريض. فهل تطبق فعلاً السياسة البريطانية المعروفة "فرق تسد"، فالمؤشرات تدل على غلبة الشركات العظمى في مواجهة الدول الإقليمية إلا ان أهم الانتقادات التي وجهت لهذا الرأي هي:

١. أن الدول الإقليمية تملك السلطة الشرعية، وهي خاصية تفتقدها الشركات.
٢. للدول الإقليمية الحق في تشريع القوانين.
٣. ممتلكات الشركات تصونها الدول، وليس بمقدور الشركات حماية نفسها بنفسها أمنياً.

لذا فالعلاقة بين الدول الإقليمية والشركات علاقة تكامل أكثر منها علاقة نزاع؛ لحاجة كل منهما إلى الآخر. فالدولة تحتاج لرؤوس أموال الشركات، والشركات تحتاج إلى حماية الدولة لرؤوس أموالها.

إن فكرة انحلال الدولة في ظل العولمة جاءت على أثر فكرة تآكل الدولة إلا أن الواقع يشير إلى أن الدولة ليست شيئاً أزلياً، وسوف تؤول إلى الزوال يوماً ما عندما ينحل النظام العالمي، إلا أن الحقيقة أن المنظومة الدولية القائمة هي جزء من أداء الاقتصاد العالمي.

ومن دون وجود دول على سطح الكرة الأرضية لا يمكن للشركات العمل بصورة منفردة، فهذه الأرض في قبضة الدول، التي تسمح أو لا تسمح للشركات بالعمل في أراضيها، هذه العلاقة بين الشركات (رأس المال) وبين الدولة علاقة واقعية.

لذا تبقى الدول شيئاً لا غنى عنه، إلا أنه غير كفء في الوقت نفسه، ومن دون الدول الإقليمية لا مجال للحديث عن نظام رأس مالي عالمي [٣١].

مـراجع الفصـل الرابــع:

١. علي الجباوي، مصدر سابق، ص ١٥٨-١٦٠

٢. محمد محمود الديب، مصدر سابق، ص ١٣٠

٣. علاء حمروش (١٩٨٧)، "قضية الدولة عند ابن خلدون" المنـار، السـنة الثالثـة، العـدد ٣٤، القاهرة، ص ٣١.

٤. أحمد وفيق، (١٩٣٤)، علم الدولة، القاهرة، ص ١٩.

٥. محمد محمود الديب، مصدر سابق، ص ١٣٢.

٦. Peter and Colin, OP. Cit. PP ١٥٠-١٥٢

٧. Muir, R. (١٩٨١) Modern political Geography (٢nd edition) Macmillan, London. PP. ١٠٢-١١٢

٨. Burghardt, A, F. (١٩٧٣) "the bases of territorial Claims", Geographical Review ٦٣. PP ٢٢٤-٢٤٦

٩. James, A. (١٩٨٤) "Sovereignty: ground rule or gibberish", Review of International studies ١٠,PP ٢-١٠

١٠. Wallerstein, I. (١٩٨٤). OP. Cit. PP. ١٧٥-١٧٩

١١. OP. Cit. PP. ٣٣-٣٤

١٢. Peter and Colin. OP. Cit. PP ١٥٨-١٩٠

١٣. محمد محمود الديب، مصدر سابق، ص ٥٠٢

١٤. عبد المنعم عبـد الوهـاب وآخـرون (١٩٨٩)، الجغرافيـة السياسـية، جامعـة بغـداد، ص ١٢٥.

١٥. Peter and Colin. OP. Cit. PP ١٦٠-١٦٤

١٦. Robinson, K.W. (١٩٦١) "Sixty years of Federation in Australia", Geographical ٥.PP ١-١٩

١٧. Peter and Colin. OP. Cit. P. ١٧٠

١٨. Massam, B. (١٩٧٥), Location Space in Social Administration, Arnold. London.

١٩. Johnston, R.J. (١٩٨٢) Geography and the state. Macmillan. London. PP. ١١-١٥

٢٠. Coates, D. (١٩٧٥) the Labuor party and the struggle for Socialism. Cambridge, UK. PP. ١٤٠-١٤٥

٢١. Peter and Colin, OP. Cit. P ١٨١

٢٢. OP. Cit.P.١٨٥

٢٣. Shelley, F.M, Archer, J.C, Davidson, F. M. and Brunn, S. (١٩٩٦) the political Geography of the United States New York.

٢٤. Lake, R.W. (١٩٩٧) "State restructuring" political opportunism and Capital Mobility in I....A Staeheli, J.F. Kodras and C. flint (eds). P. ٤

٢٥. Peter and Colin. OP.Cit. PP. ١٨٦-١٨٧

٢٦. OP. Cit.PP. ١٨٧-١٨٨

٢٧. المركنتيلية: نقل السياسات التجارية للمدن إلى يد الدولة.

٢٨. Sassen, S. (١٩٩٦). Losing Control? Sovereignty in an Age Globalization, Columbia University press, New York.

٢٩. Peter and Colin, OP. Cit. PP. ١٨٨-١٩١

٣٠. Martin, H. P. and Sehumann, H. (١٩٩٧) the Global Trap: An Attack on Democracy and prosperity, St Martin's press, New York.

الفصل الخامس

الأمة والقومية في الجغرافيا السياسية

الأمـــة والقوميـــة : Nation and Nationalism

مفهوم الأمة تم بحثه في الجغرافيا السياسية أكثر من مفهوم القومية في القرن العشرين، يعود ذلك إلى بروز النزعة القومية في فترات التأزم السياسي والحـروب، إلا أن الأمـة والقوميـة تنظمان حياتنا وتشكلان نظرتنا للعـالم. ويـرى (بيلـيج) أن الأمـة ترفـع كرايـة كـل يـوم فـوق السارية في كل المؤسسات الرسمية، ويرتاح الفرد لمشاهدته راية بلده، وعملته الوطنية، حتـى الأخبار في الراديو والتلفزيون تقسم إلى أخبار داخليـة (وطنيـة)، وأخـرى خارجيـة عـن العـالم بأسره [1] حتى دفن الإنسان عند موته يكون بين أقاربه وبني جلدته مهما قرب أو بعـد مكـان وفاته عن مسقط رأسه.

إلا أن التفعيل القوى للمبادئ أشد ما يكون في أوقات الحروب، وضرورة تفعيـل التأييـد القومي للمبادئ الجيوبولوتيكية للدول القومية. وفي هذا الصـدد يقـول بيلـيج: "ربمـا يتصـور المرء أن الناس اليوم يخرجون إلى حياتهم اليومية، حاملين آلة نفسية تـدعى الهويـة القوميـة، ومثل التلفون الجوال، فإن هذه العدة النفسية تظل ساكنة أغلب الوقت، ثم حين تقـع أزمـة ما، وينادي الحاكم، فيجيب المواطنون النداء، وتوصل حرارة الهوية الوطنية".

ترتبط الأمم بالحيز الجغرافي، وهذه هي الخاصية التي تجمع الأمة والدولة، فهي شراكـة إقليمية (الأمة- الدولة)، لذا فإن الدولة الإقليمية هي الدولة القومية. ومن الجدير بالـذكر أن شعارات القومية لا تتعدى قرنين من الزمان.

وهناك الميراث الأيديولوجي : The Ideological Heritage : وكل مـن كتـب في تمجيـد القومية، فهو متعصب للقومية، لذا فالموضوعية عند كتاب القومية تحتـاج إلى تمحـيص، فقـد ادعى بعض كتاب القومية بأنها قوة تلقائية دافعة تحرك أحداث التاريخ.

جميع الناس ينتمون لأمة أو لأخرى، ولا خيار في اختيار هذه الأمة، فهي بالوراثة وهـذا هو الأساس الطبيعي للقومية، والكلمة Nation مشتقة من الأصل اللاتيني Nasci "يولـد" إذاً الأمم مجتمعات ضاربة جذورها في أعماق التاريخ يرتبط أفراد كل أمة بنسـب وأصـل واحـد، فتبدأ الأمة بقبيلة أو عشيرة ثم تنتهي بأمة كبيرة العدد، فلكل قوم شجرة أنساب خاصة بها.

يعتقد سميث أن هذا التفسير للأمة والقومية القائم على القرابة والدم بأنه تفسير بدائي primordial لأنه تفسير قائم على الصلة العرقية واللغوية البدائية. فمثلاً الجرمانية قبائل ناطقة بالجرمانية والعرب أصلهم من الجزيرة العربية ناطقين باللغة العربية.

فإذا تناولنا بني البشر في الوقت الحاضر بالدراسة والتحليل، لخلصنا إلى أن هناك أمم قائمة في الوقت الحاضر مثل الأمة العربية والألمانية والصينية وأمم أخرى سادت ثم بادت مثل الأمة البابلية والآشورية والكنعانية إلا أنه لا يمكن القول الأمة الأمريكية لأن الأمريكان خليط من البشر من جميع أنحاء العالم ليس لهم هوية محددة ولا رابطة دم ولا تاريخ مشترك.

وينظر سميث نظرة حديثة للقومية على أنها ظاهرة تاريخية، وفي تاريخها الحديث تلتحم الثقافة بالسياسة، وأن مصطلح القومية لم يظهر بشكله الفاعل إلا في نهاية القرن التاسع عشر، وقبلها كانت المواطنة بدلاً منها [٢]. أما بالنسبة للعرب لا تجمعهم القومية أو المواطنة بقدر ما يجمعهم الدين، فالعرب بدون الإسلام لا قيمة لهم.

وضع كل من (تيفي و سميث) فرضيات حول القومية The doctrine of Nationalism: هي [٣]:

أ-١: يتألف العالم من فسيفساء من الأمم.

أ-٢: يتوقف النظام والاستقرار في المنظومة العالمية على التفاعل الحر لهذه الأمم واحدتها مع الأخرى.

ب-١: الأمم هي الوحدات الطبيعية للتعبير عن المجتمعات.

ب-٢: تتمتع كل أمة بثقافتها الخاصة، القائمة على نسب وتاريخ مشترك.

ب-٣: كل أمة تحتاج إلى دولتها السيادية، التي تعبر من خلالها عن ثقافتها.

ب-٤: تتمتع كل الأمم (وليس الدول): بالحق المطلق في أرضها أو وطنها.

ج-١: لا بد لكل إنسان فرد أن ينتمي إلى أمة ما.

ج-٢: الولاء الأول لكل إنسان فرد لأمته.

ج-٣: لا حرية حقيقية للإنسان الفرد إلا من خلال الأمة التي ينتمي إليها.

تلك الفرضيات نطلق عليها قائمة "المبدأ العام" للقومية. فالعالم اليوم يتسم بالانقسام السياسي والإيديولوجي، والدولة- الأمة هي ميدان العمل السياسي. ومن خلال دراسة تلك الفرضيات نستنتج أن على الأيديولوجيات السياسية التكيف مع الأيديولوجيات القومية.

إن لكل قومية خصوصيتها ، إذ يميزها مجموعة معينة من الرموز والشعارات والتواريخ فمثلاً يتميز المجتمع الأمريكي بثماني سمات هي: حب التجديد، والقرب من الطبيعة، وحرية الحركة، ومخالطة الشعوب، والنزعة الفردية، والوعي بالمصير، والميل إلى العنف والنظرة الشمولية للبشرية ككل.

أما المجتمع العربي يتميز بـ: تجمعه المصائب، المساعدة ، المساواة، الأخلاق، حب الأولاد، حب السيادة، الشجاعة، التضحية.

إن دخول الشعوب معترك الساحة السياسية، قد أوجد تحولات في المتطلبات التاريخية لقيام الدولة، مثلاً في الدول التي تمارس فيها أنظمة الحكم المطلق، انطلقت شرعية الحاكم من نسبه الملكي، أيضاً الإمبراطوريات السابقة كانت شجرة أنساب الأسر الحاكمة موجودة.

إن ما يميز التواريخ القومية للشعوب حالياً تواريخ بعينها مثل الذكرى المئوية لبعض الأمم، كما حدث في الاحتفال بالثورة الأمريكية عام ١٨٧٦، وبالثورة الفرنسية عام ١٨٨٩[٤]. كما احتفل السويسريون عام ١٨٩١، بتأسيس دولتهم عام ١٢٩١، واحتفال بولندا بذكرى دخول المسيحية لها عام ٩٦٦، والمسلمين يحتفلون بذكرى الهجرة النبوية المحمدية من مكة إلى المدينة. وبذكرى مولد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم. هذه التواريخ المقدسة، تصادف هوى في نفوس الشعوب، يصاحبها اليوم شعور بضرورة التعبير عنها على الملأ في احتفالات قومية مهيبة. وكأنه من دون تاريخ معين، لا مجال لوجود أمة فاعلة لها قيمتها بين الأمم فالمسلمون يحتفلون بعيد ميلاد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وعيد الهجرة النبوية وعيد الإسراء والمعراج.

قبل عام ١٨٠٠ كانت هناك أعداد كبيرة من الدول مناهضة للقومية [٥]، والقومية مصطلح أيديولوجي حديث يرجع إلى أيام الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩، ويمكن تمييز خمسة أنواع من القوميات هي [٦]:

١. القومية المبكرة، مثلما كان في دول المركز متوسطة الحجم في أوروبا الغربية. مثلاً يرجع (جوتمان) فكرة "الموت في سبيل الوطن pro patria mori " إلى سنة ١٣٠٠، وفي عام ١٤٣٠ عبرة الفتاة الفرنسية جان دارك عن مشاعرها القومية وهي تحت الفرسان الفرنسيين للقتال ضد الإنجليز. ومسرحيات وليم شكسبير فيها مشاعر إنجليزية قومية واضحة ففي كل من فرنسا وبريطانيا ظهرت القومية مبكراً أما في الوطن العربي فالموت في سبيل الدين والوطن كان مرافقاً لمولد الإسلام، وتاريخ الفتوحات الإسلامية شاهد على بطولات من الجنسين الرجال والنساء.

٢. القومية الوحدوية: كان في ألمانيا وإيطاليا عدد من الدويلات صغيرة الحجم، والمؤتلفة مع ولايات تخضع للإمبراطوريات الأوروبية الكبرى، ثم حطمت الحروب النابليونية عام ١٨٠٠ هذه الدويلات. ثم وحد الألمان الدويلات على أرضه، وكذلك فعل الإيطاليون، وهما أمثلة على قوميات وحدوية.

٣. القومية الانفصالية: بتفكك الإمبراطوريات الكبرى في أوروبا في بداية القرن العشرين، انسلخت قوميات جديدة من تحت عباءة هذه الإمبراطوريات مثل: العثمانية والهنغارية والنمساوية والروسية، واليونانية والبلغارية والسويدية والنرويجية والفنلندية والبولندية والتشيكوسوفاكية والمجرية والرومانية والبلغارية والألبانية واليوغسلافية والأيرلندية. وفي السبعينات من القرن العشرين ظهرت نزعات استقلالية في ويلز واسكتلندا والباسك وكورسيكا وكويبك، ولم تنجح أي واحدة في إقامة دولة مستقلة حتى الآن.

٤. قومية التحرر: بعد انهيار الاستعمار الأوروبي فيما وراء البحار، ظهرت قوميات جديدة في الأمريكتين وأفريقيا وآسيا.

٥. قومية التجديد: قامت حركات قومية ارتكزت على ميراثها التاريخي، فراحت تبعثه من الأكفان، وشحذ همم المشاعر القومية كما حدث في إيران لتعيد أمجاد فارس، وفي تركيا بعد انهيار إمبراطوريتهم لتكون تركيا أولاً، وأيضاً الصين واليابان.

وفي الوطن العربي لم يوفق دعاة القومية إلى الوحدة العربية، ومرد ذلك مناهضة الغرب للقومية العربية، وميل العربي لدعاة الحركات الدينية، ولمحاولات إسرائيل منع أي وحدة عربية على حدودها.

مها كان شكل القومية، فلها وجهان، فهي أما صاحبة وجه جميل مشرق وإيجابي عندما ترتبط بحركات التحرر والاستقلال، وإما صاحبة وجه قبيح وأسود وسلبي عندما ترتبط بنظم الحكم المارقة والتسلطية والفاسدة.

فمثلاً في الحرب العالمية الأولى فسرت أسباب الحرب على قمع Suppression القوميات، وفي الحرب الثانية أنصب اللوم في أسباب الحرب على التعبير Expression عن القوميات. ويبدو من التراث التاريخي للعرب أن رابطة الدين عند العرب هي الأقوى من رابطة القومية أو الحزبية أو الجهوية أو أي شعار أو رابطة أخرى مهما كانت شعاراتها ووجهها اللامع.

بقي تيار القومية قوياً في فرنسا في أعقاب الحروب النابليونية، وأيضاً تيار القومية في اليونان عام ١٨٢١، وبلجيكا ١٨٣٠، وفي رومانيا ١٨٥٩ وفي بولندا ١٩١٩.أما تيار القومية في الوطن العربي فقد كان قوياً في منتصف القرن الماضي في مصر والعراق وسوريا والأردن واعتبر جيوزيبي ماتزيني G. Mazzini الإيطالي رائد الحركة القومية عام ١٨٣١، وفي نهاية المطاف صارت القومية أداة لبناء الدولة، ثم صارت من مكونات السياسة الإمبريالية عند نهاية القرن التاسع عشر [٧]. إلا أن القومية انتهت إلى حرمان الفرد من أي مساحة يمكن أن يعتبرها تخصه هو وحده [٨].

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر، شهدت أوروبا اقتطاع أجزاء من دول لتحلق بدول أخرى، مثلاً ضمت ألمانيا إقليمي شلزويج واللورين عن طريق الغزو مبررة فعلتها بأن سكان الإقليمين ناطقين بالألمانية. ونورد هنا مثالاً آخر مقدونيا، الواقعة بين عدة دول يوغسلافيا (الصرب)، وبلغاريا واليونان، وألبانيا. وهي محط أطماع جيرانها وقد لعب الجغرافي جوفان يفيجتش دوراً بارزاً في إضفاء الشرعية على مطالب الصرب لضم مكدونيا إليها. (شكل ٢١) الذي يمثل أربعة خرائط لغوية لمكدونيا، نتناولها على النحو الآتي [٩]:

١. خريطة (أ) وضعت سنة ١٩٠٦، لم يميز بين الصرب والبلغاريا، بل اكتفى بوصف الاثنين بالسلاف.

٢. خريطة (ب)، وقد وضعت عام ١٩٠٩، في هذه الخريطة كان توزيع البلغار محدوداً، ولا ذكر لهم في مكدونيا، بهدف ترك الباب مفتوحاً أمام مزاعم الصرب لضم هذه الأراضي إليها.

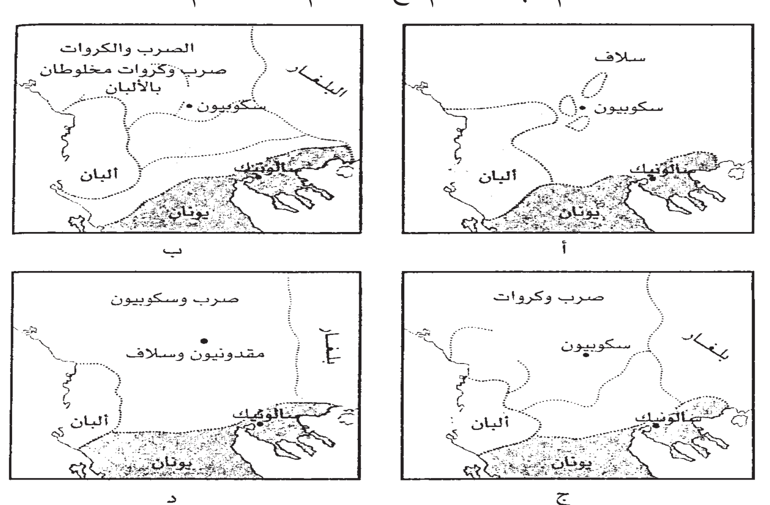
٣. خريطة (ج)، وقد وضعت عام ١٩١٣، يتضح من الخرائط التوسع الصربي في المناطق الجنوبية، وهذا في حد ذاته يمثل مصالح سياسية للصرب، على حساب الألبان أكثر من كونه على حساب البلغار.

٤. خريطة (د)، وضعها يفيجتش عام ١٩١٨، في هذه الخريطة وسع من مناطق الصرب كانت أصلاً للبلغار. وقد اقنع يفيجتش مؤتمر السلام في باريس عام ١٩١٩ بأن ضم مكدونيا إلى الصرب يرتكز على أسس قومية، رغم أن جل مقدونيا بلغاري الصبغة (١٠).

الشكل ٢٢

خرائط يفيجتش اللغوية لمقدونيا

أ: ١٩٠٦م/ ب: ١٩٠٩م/ ج: ١٩١٣م/ د: ١٩١٨م



المصدر: عبد السلام رضوان، ص ٣٨ عن Peter and Colin. P. ٢١٠

على أية حال، فإن هذا المثال يوضح عقم قاعدة الحتمية في قضية القومية التي ارتكز عليها مؤتمر السلام عام ١٩١٩ في باريس فالأمم ليست مجموعات من البشر تنتظر من يسيج عليها ويقيم لهم دولة، فالحدود التي رسمت في مكدونيا في مؤتمر الصلح مؤتمر النصر (مؤتمر القوة)، انتهت بتفكك يوغسلافيا عام ١٩٩٢. وفلسطين التي وهبتها بريطانيا لليهود ستنتهي بجهاد أبناء فلسطين وتعود لهم، لأنهم الأصحاب الشرعيون والعراقيون سيقاتلون الأمريكان حتى يتم تحرير بلادهم. لأن الأمم الحرة وذات الأبعاد التاريخية ليس من السهل تركيعها واستعمارها.

الدولة والأمة منذ العام ١٩٤٥: State and nation Since ١٩٤٥

نظر إلى تشكيل خريطة العالم السياسية على أنها تمثل الواقع القومي بعد الحرب العالمية الثانية وحركات الاستقلال خارج أوروبا من الاستعمار الأوروبي. وقد ناضلت الحركات القومية التحررية ضد القوى الكبرى الاستعمارية، ففي مؤتمر الصلح في باريس عام ١٩١٩ تم الاتفاق على إقامة سبعة وعشرين دولة قومية، إلا أنها في بدايات القرن الواحد والعشرين قد تضاعفت عدة مرات.

درس نيلسون العلاقة بين الدول والجماعات العرقية من قوميات وأقليات، درس ١٦٤ دولة و ٥٨٩ جماعة عرقية، بمعنى أن عدد الجماعات العرقية يبلغ نحو ثلاثة أمثال الدول المعاصرة، لذا فإن هذا لا يبشر بحال من الاستقرار فهذه الجماعات تسعى للحصول على دول خاصة بها.

ويرى مايسكل أن أيسلندا دولة قومية تتألف من شعب واحد، أما سائر دول العالم فهي خليط من الأعراق.

ورغم الافتقار إلى النقاء الثقافي في جميع دول العالم، لم يمنع هذه الدول من اعتبار نفسها دولاً قومية، وحسب رأي نيلسون ١٩٨٥ أن الدولة القومية: هي التي لا تقل نسبة سكانها الذين ينتمون إلى أصول عرقية واحدة، عن ٦٠% من مجموع السكان فخلص إلى أن هناك ١٠٧ دولة من أصل ١٦٤ دولة في العالم تنطبق عليها النسبة ويمكن تقسيم الأمم في العالم إلى شريحتين هما[١١]:

١. شريحة تتوزع فيها الجماعات العرقية الواحدة على أراضي عدة دول. مثل الأمة العربية التي تتوزع على ٢٣ دولة هي: موريتانيا والمغرب والجزائر

وتـونس وليبيـا ومصرـ والسـودان والصـومال، وفلسـطين والأردن ولبنـان وسـوريا والعـراق والكويت والسعودية واليمن وعمان والإمارات وقطر والبحرين وجيبوتي وإريتريـا وجـزر القمر. ومثل الكوريتين الشمالية والجنوبية.

٢. شريحة تشمل دولاً تسود فيها جماعة عرقية واحدة، تمثـل أكـثر مـن ٩٥% مـن السـكان (دول قومية مثالية) ، ومن هذه الشريحة يمكن حصر ٢٣ دولـة منهـا: أيسـلندا واليابـان وبدرجة أقل بريطانيـا ونيكـاراجوا وسريلانكـا وزيمبـابوي. ويحصرـ نيلسـون ٥٧ دولـة لا تكتمل لها مسوغات القومية، إذ لا توجد فيها جماعة عرقية لها مسوغات مـن مجمـوع السكان، ويمكن تقسيمها إلى ثلاثة شرائح هي:

أ. شريحة وسط، فيها جماعة عرقية واحدة تشكل ما بين ٤٠-٦٠% من مجموع السكان، وينضوي تحت لواء هذه الشريحة ١٧ دولة مثل الفلبين والسودان.

ب. شريحة ثنائيـة القوميـة، فيهـا جماعتـان عرقيتـان تؤلفـان معـاً أكـثر مـن ٦٥% مـن مجموع السكان، وينضوي تحت لواء هـذه الشرـيحة ٢١ دولـة مثـل بلجيكـا وبـيرو وفيجي.

ج. شريحة متعددة القوميات، مثل الهند، ونيجيريا وماليزيا.

ومن خلال تناول (الجدول ٨) بالدراسة والتحليل والذي يمثـل التوزيـع الجغـرافي للـدول القومية وغير القومية في العالم نلاحظ منه الآتي:

١. شريحة من الدول تضم النمطين الأول والثاني، وهذه تتمثل في قارتي أوروبا والأمريكيتين.

٢. شريحة من الدول من النمط الثالث تسود في قارة آسيا (الدول الكبيرة الحجم).

الدول المتعددة القوميات (مجموعة من الأعراف)، والدول ثنائية القومية شائعة في قارة أفريقيا، وذلك بسبب فـرض الاسـتعمار عـلى دول القـارة الأفريقيـة حـدود هندسـية وجبريـة أملتها على الشعوب الأفريقي.

إن الشرائح الثلاث للدول تمثل بصورة أو بأخرى دول العالم على الخرائط السياسية العالمية في جميع القارات، وأكثر القارات ندره في العالم متعددة القوميات هي القارة الأوروبية أما الدول المثالية القومية الواحدة لا وجود لها.

الجدول (٨)

التوزيع الجغرافي للدول القومية وغير القومية

القــارة	الدول القومية			الدول غير القومية		
	دول من قومية واحدة وأكثر من ٩٥% من أعراق واحدة					
	دول نسبية القومية	دول من جماعة عرقية واحدة ٩٥%	٦٠-٩٤% من جماعة عرقية واحدة	غير قومية وسيطة	دول ثنائية القوميات	دول متعددة القوميات
أفريقيا	٧	٤	٣	٩	٩	١٤
الأمريكتان	٧	٦	١١	١	٥	٣
آسيا	٢٢	٢	٦	٦	٣	٢
أوروبا	١٢	٩	٩	١	٢	صفر
أوقيانيا	٤	٢	٣	صفر	٢	صفر
المجموع	٥٢	٢٣	٣٢	١٧	٢١	١٩

مصدر الجدول: Peter and Colin. P. ٢١٤

والآن نتساءل ونحن في بدايات القرن الواحد والعشرين ما المستقبل السياسي للأقليات الراغبة في الاستقلال عن الدول القومية، والمطالبة بحق تقرير المصير؟ وما شكل الخريطة السياسية للعالم في القرن الواحد والعشرين؟ إن الإجابة على هذه التساؤلات تتباين ما بين دول العالم فالولايات المتحدة من أنصار منح الأقليات الموالية إليها دولاً جديدة في أي بقعة في العالم. أما أوروبا لا تشعر بأن هناك ضرورة لإنشاء دول جديدة، ولكن يمكن حل مشكلات الأقليات بالحكم الذاتي المحدود. إلا أن الولايات المتحدة في ظل الميوعة السياسية في العلاقات الدولية

بينها وبين معظم دول العالم الكبرى تحاول فرط حبات المسبحة الواحدة لعدد من الحبات.

على أية حال، إن الاستقرار السياسي الحالي لخريطة العالم، يرجع إلى سياسة الواقع الذي تمليه سياسة القوة، وليست ما تدعيه المنظمات الإنسانية من حق الشعوب في تقرير مصيرها، فبكل حسرة وأسف على الدول العظمى في مجلس الأمن وغيرها من الدول الصاعدة على سلم القنبلة النووية، تبقى القوة فقط شعارها وهي الفيصل في كل القضايا الدولية، وليس حق هذا الشعب أو ذاك.

ولإبراز القومية ورموزها الوطنية، تم بناء النصب التذكارية والمعالم المشهدية تمجيداً للأمة الألمانية، أما في بريطانيا التي بنت "قبة الألفية The Millennium Dom"، وهو تشكيل هجيني من العلم والتسجيل التذكيري بالمنجزات البريطانية، وهي وسيلة لتأكيد دور بريطانيا العالمي والمستقبلي. هذا التمجيد يتمثل بالقول: إن الترويج لأمجاد الماضي وفتوحاته يعد نوعاً من نداء التعبئة من أجل النجاح المستقبلي في ارتياد آفاق تكنولوجية جديدة، فالنصب التذكارية تمثيل للقومية، فهي تصور وتحيي التواريخ القومية لإبرازها أمام الأمم الأخرى، ويرى أندرسون أن القومية في وقتنا الحاضر ذات طابع برجوازي [١٢].

ويعتقد بلاوت Blaut أن أغلب القوميات أمليت من فوق، أما حركات مقاتلة الاستعمار وإخراجه من البلاد والتحرر منه فهي منبثقة من أسفل أي من القواعد الشعبية [١٣].

ويرى بلاوت أن القومية ليست قوة مستقلة تماماً عن العالم الخارجي، وليست بالتأكيد كل الحركات القومية تقدمية، فالحركات القومية متاحة في الدول النامية لجميع الشعب أي لجميع طبقاته، وقد مثل تآزر طبقات المجتمع في تسريع هزيمة الاستعمار. في الدول النامية، أما في الدول الاستعمارية الأوروبية فالنضالات القومية هي برجوازية في حد ذاتها. لذا فهناك فرق بين القومية في الدول الكبرى والقومية في الدول النامية، إلا أن خيبة الأمل من أن ينتهي المطاف بالحركات القومية لتصبح دولاً بورجوازية تتستر بعباءة القومية.

رؤية العالم اليوم، مجموعة من الأمم يتمثل فيها كل اتجاهات السياسة العالمية، "فكل أمة لها هالتها الخاصة بها"، ويعد اغتصاب الأرض برأي الأمم ودعاة القومية

أسوأ بما لا يقاس من اغتصاب الأمهات الفعليات، وموت أمة هو المأساة في اكتمالها، والأبعد غوراً، بما لا يقاس بموت اللحم والدم" [١٤].

الدولة القومية في القرن الواحد والعشرين:

تعد العلاقة بين الدولة والقومية علاقة تكاملية، ومع بدايات القرن الواحد والعشرين فإن الحديث عن نهاية القومية ونهاية الدولة بمفهومها التقليدي أمر قريب من الصحة، بعد أن ألبست القومية ثوباً غير ثوبها الحقيقي واتهامها بالعنصرية في ظل العولمة.

يرى أن القومية أثبتت وجودها في مواجهة الحروب الاستعمارية في أعقاب الحرب العالمية الأولى. ولتبقى الأمة حية عليها مراجعة طبيعتها الأيديولوجية، ولنفهم العلاقة المتغيرة بين الأمة مع الوحدات الإقليمية الأخرى. فالقوميات الرسمية فقدت مواقعها مع بدايات القرن الواحد والعشرين. فاستراليا اليوم ترغب في إنهاء رمز ملكة إنجلترا على رأس الدولة، وانخفضت شعبية الملكة في بريطانيا بعد موت الأميرة ديانا.

وامتداد الاحتجاج اليوم في بريطانيا إلى التكاليف المالية الباهضة للأسرة الملكية فيها، وإلى القول حفظ الله الملكة[١٥] وملت الأمم حياة البذخ التي يعيشها الحكام في الوقت الذي ترزح فيه الشعوب تحت طائلة الفقر والجوع والجهل.

فلا بد من أن يعاد تقييم الأفكار القومية. من اجل إعادة تفسير القومية وهل تداعت الإيديولوجية؟ هذا التساؤل أصبح يطرح مع عولمة العالم اقتصادياً. وتحجيم دور الدول القومية سياسياً وعسكرياً واقتصادياً ويرى Wallace أن الإنتاج في العالم متعدد المصادر والقومية، وأن الحدود السياسية تذوب في ظل العولمة. فالهوية القومية يجري تشكيلها لتكون أكثر من هوية قومية تقليدية، أو لتبني ثقافة كوزموبوليتانية جديدة [١٦]. يرى بوث Booth "إن سيادة الدولة في انحلال، فهي أقل قدرة على إنجاز وظائفها التقليدية، فالعوامل الكونية تؤثر في كل القرارات المتخذة من قبل الحكومات، ومع ولاءات الناس المحلية يتزايد فعاليات القيم وأساليب الحياة من خارج حدود الدولة السياسية" [١٧].

كيف ستسفر العولمة عن إعادة تشكيل القومية؟ وعلى أي شكل ستكون القومية؟ يرى أبادروي Appadurai أن العولمة ستفرغ الهوية من طابعها المحلي نظراً للتفاعل ما بين المحلي والعالم الخارجي، وتتفاعل مع هويات أخرى، يدعم الأسرة في العولمة ثورة الاتصالات العالمية والهجرات المتزايدة بين شعوب العالم. فالسمات الرئيسية للعولمة العلاقات المتفاعلة والمتشابكة ما بين المحلي والكوني، لتقويض أركان القومية.

ويرى (رود ريجز Roderiguez) ثلاثة أبعاد للتغير في الهوية القومية والعرقية ترتبط بالعولمة الاقتصادية هي[١٨]:

١. التنوع الكوني الناجم عن حركة الهجرة الخارجية بين دول العالم، والتي تتنامى مع الزمن أكثر وأكثر خاصة من دول العالم الفقيرة إلى دول العالم الغنية.

٢. السياق المدني العالمي للعلاقات بين الجماعات العرقية، وتكون العلاقات وطيدة في المدن الكبرى، مثلاً أدى انخفاض أسعار النفط في منتصف الثمانينات من القرن الماضي إلى زيادة أعداد العاطلين من العمل من بين البيض (من صفوف الموظفين الإداريين) في ولاية هيوستون في الولايات المتحدة الأمريكية. بالإضافة إلى انتقال السود إلى تجمعات سكانية كانت مقصورة على البيض، مما أدى إلى مشاحنات بين البيض والسود.

٣. نمو المجتمعات ثنائية القومية بسبب تكنولوجيا المواصلات والاتصالات مما أدى إلى إنشاء أسرتين في بلدين مختلفين، على اتصال دائم مع بعضهما وكأنهما ما زالا أسرة واحدة كما ساعدت سهولة وسرعة الاتصالات والمواصلات على ديناميكية الحركة، مثلاً يمكن وضع حجر الأساس لبناء مسجد في العاصمة الأردنية عمان، وبنفس اليوم يمكن لراعي وضع حجر الأساس الطيران إلى اسطنبول لوضع حجر الأساس لمسجد فيها.

هذه الحركة الكونية بين دول العالم ونموها المتسارع، عملت على تشكل هويات الناس الجديد. هذه الهويات تبتعد عن النزعة القومية، فمع إعادة تشكيل الهويات القومية للبشرية يجري إعادة تشكيل دور الدولة ليتسنى للجميع في المشاركة في اقتصاد عالمي جرت عولمته.

هل هناك هوية أوروبية جديدة في طول التكوين؟ جاء الجواب في تصريح فرنسي في شهر تشرين أول من عام ٢٠٠٢ أن فرنسا ترغب في تسمية رئيس لأوروبا (رئيس واحد). ويرى (أنتوني سمث A. Smith) أن تحليله للهوية الأوروبية المعاصرة انتهى إلى تحديد نمطين متنافسين لتشكيل هويات جماعية هما[١٩]:

١. هويات ينظر إليها على أنها "نتاجات مبنية اجتماعياً، ويمكن وضعها في حيز الوجود وتشكيلها من خلال التدخل والتخطيط الفاعلين". أي إنشاء هوية أوروبية واحدة فوق قومية. تماماً مثلما أنشأت أوروبا إطاراً مؤسسياً فوق قومي.

٢. هوية ثقافية، بوصفها ذاكرة جماعية أو ثمرة الأجيال الأوروبية السابقة، هذه الهوية متشعبة بتشعب التقاليد والأفكار والعادات لأجزاء أوروبا.

عارض النمط الأول دعاة القومية في كل دولة أوروبية، فالتاريخ الأوروبي مثقل بالكراهية والحروب والأحقاد الداخلية. فليس من السهل النسيان المتعمد أو فقدان الذاكرة الجماعي لأوروبا عما جرى من مذابح وإبادات أثناء الحربين العالميتين الأولى والثانية في الدول الأوروبية. هل تستطيع أوروبا نسيان أيام محارق هتلر لكل معارض لسياسته؟ والسماح للنازية بالصعود مرة أخرى لسدة الحكم؟ لذا على أوروبا الاتجاه نحو تضامن اندماجي، لأن الذكريات المريرة مازالت في الأذهان[٢٠].

أما بالنسبة للعرب فهناك عوائق أمام قيام قومية عربية هي:

١. تعارض الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة قيام دولة عربية ذات طابع قومي بل تمنع ذلك خدمة منها لإسرائيل.

٢. ليس من السهل تنازل ٢٣ رئيس دولة لرئيس دولة قومية من المحيط إلى الخليج.

علاقة الدولة الأرض:

تلتصق كل من الدولة والأمة بالأرض التي تشكل كيانهما أصلاً، فكل الدول ترتكز على قاعدة أرضية، إذ يرى أندرسون في هذا السياق أن القومية "أيديولوجية مكانية". فأمة دون أرض (موروثة عن الآباء أو الأمهات Father land - Mother Land)

أمر لا يمكن تصوره، بمعنى أن طرفي المعادلة الحتمية تتمثل في (أرض حرة = وطناً قومياً). هي التي مهدت لظهور مؤسسة واحدة بازدواجية ثنائية تضم الدولة الأمة في مصفوفة واحدة [٢٠].

يرى هارفي مثلاً أن طبقة رؤوس الأموال قد ترتبط بمكان معين مثل البنوك تعمل بالتعاون مع الطبقة العاملة المحلية لتكوين سياسة مكانية بعيداً عن الخلافات السياسية، بذلك تزدهر المدن وينتعش اقتصادها، ويمثل ذلك توجهاً سياسياً وطنياً في الوقت نفسه [٢٢].

تأسيساً على ما سبق فإن سياسات الدول مكانية فهي تسعى للانتعاش الاقتصادي على مساحتها كلها بدلاً من انتعاش المدن اقتصادياً بتعضيد ومباركة من جميع طبقات المجتمع غير المتجانسة أصلاً لا مالياً ولا ثقافياً، إلا أن هذه الطبقات في النهاية هي الأمة. نخلص للقول أن المكان هو التجسيد الواقعي للدولة. وهو مجتمع الهوية بالنسبة للأفراد المتعايشين على أرض الدولة.

والدولة من جانبها تزود الأفراد بهويتهم المكانية- الزمانية، فتتجه الدولة للداخل حيث المجتمع المدني، وإلى الخارج نحو منظومة العلاقات الدولية، بمعنى أن الأفراد يقعون داخل المنظومة العالمية، فهم إما أصحاب هوية وموقع محدد وإما ليسوا من هذا ولا ذاك. وبالتالي فإن الدولة - الأمة هي التي ترسم لنا الأبعاد المكانية والزمانية للمجتمع الذي ننتمي إليه.

مصادر الفصل الخامس:

١. Peter and Colin, OP. Cit. PP ١٩٢-١٩٤

٢. Hobsbawm, E.J. (١٩٨٧) the Age of Empire ١٨٧٥-١٩١٤. Guild, London. PP ٢-٦

٣. Peter and Colin, OP. Cit.P ١٩٨

٤. Hobsbawm, OP. Cit. P ١٣

٥. Wallerstein, I, ١٩٧٤. OP.Cit. PP ١٠١-١٠٥

٦. Orridge, A. (١٩٨١). Varieties of nationalism in I. Tivey (ed.) the Nation State, Robertson, Oxford, UK.

٧. Hobsbawm, OP. Cit. PP ١٠٠-١١٠

٨. Mosse, G.L.(١٩٩٣). Op. Cit. PP ١-٣

٩. Peter and Colin. OP. Cit. PP ٢٠٩-٢١٠

١٠. Wilkinson, H.R. (١٩٥١) Maps and Politics, A Review of the Ethnographic Cartography of Macedonia, University Press, Liverpool, P ٢٠٤

١١. Peter and Colin. OP. Cit. PP. ٢١١-٢١٥

١٢. OP. Cit. P. ٢١٣

١٣. Blaut, J.M. (١٩٨٧) the National Question, Zed Books, London, PP. ٩-١٠

١٤. Peter and Colin. OP. Cit. PP ٢٢٦-٢٢٧

١٥. Mosse, OP. Cit. PP. ١٢

١٦. Wallace, W. (١٩٩١) "Foreign policy and national identity in the United Kingdom", International Affairs ٦٧, PP ٦٤-٧٩

١٧. Booth, K. (١٩٩١) "Security and anarchy: utopian realism in theory and practice", International Affairs ٦٧. PP ٥٤٠-٥٤٥

.١٨ Rodriguez, N.P. (١٩٩٥) "the real new world order". OP. Cit. PP. ٢١١-٢١٥
.١٩ Peter and Colin, OP. Cit. PP ٢٢٥-٢٣٢
.٢٠ Smith, (١٩٩٥). OP. Cit. P ١٣٣
.٢١ Anderson, B. (١٩٨٣) Imagined Communities, verson, London . PP ١٠- ٤٠
.٢٢ Harvey, D. (١٩٨٥) the Urbanization of Capital. Johs Hopkins University Press, Baltimore.

الفصل السادس

جغرافيــة الانتخابــات

نتساءل هل الجغرافيا الانتخابية من مجالات الجغرافيا السياسية؟.

يرى البعض أنها من صلب مجال الجغرافيا السياسية، والبعض الآخر يرى بأنه لا صلة لها بالجغرافيا السياسية[1]. وكل له مبرراته. إلا أن الواقع يشير أن الانتخابات على أشكالها لها ارتباط بالأفكار الأيديولوجية. فالانتخابات صورة مصغرة للصراعات بين الناس، لكن هذه الصراعات تنقل هذه المرة إلى الساحات الدستورية. لذا فمن الإنصاف القول أن دراسة جغرافية الانتخابات ضرورية لفهم عالمنا السياسي.

ويمكن للجغرافي السياسي وللسياسي أن يتناولا دراسة وتحليل الانتخابات كل من وجهة نظره.

رغم وصف معظم الدراسات في الجغرافيا الانتخابية بالضحالة، وعدم التنسيق، وذات نتائج منعزلة لا ترمي لمستوى النتائج العملية، إلا أن إنشاء الممارسات الديمقراطية في عالمنا الواحد والعشرين والقائم على الانتخابات الحرة. ولكي تكون الجغرافيا الانتخابية ذات قيمة وتتمتع بالمصداقية يتعين على الجغرافيا السياسية المعاصرة أن تسهم في وجهات النظر المتباينة حول عملية المقرطة (إشاعة الديموقراطية). لذا من المتوقع أن يكون هناك اهتمام أكبر بالجغرافيا الانتخابية في القرن الواحد والعشرين.

تشير عمليات الانتخابات إلى نمطين مختلفين من العمليات السياسية في كل من الدول القوية والدول الضعيفة (دول المركز ودول الأطراف)، وهو ما يطرح استفساراً لعملية المقرطة في دول العالم المختلفة. وما هو موقع دول العالم الثاني الخارج من عالم الشيوعية إلى عالم الرأسمالية من وجهة نظر المقرطة. فهل هي حقيقة تتجه نحو الديموقراطية أم أنها كغيرها من دول العالم النامي ما زالت تتخبط في اتجاهاتها الانتخابية.

لماذا ينظر إلى الافتراضات الليبرالية بعمق في الجغرافيا الانتخابية؟ ذلك لأن هناك تميز في عملية الانتخابات بين الشرق والغرب زمن الحرب الباردة، وبعد فترة الحرب الباردة أصبحت أشكال الاقتصاد والسياسة الغربية هي الأشكال السائدة

في الدول الشيوعية المنهارة، فأصبح عالم الجغرافيا الانتخابية اكثر سعة مما كان زمن الحرب الباردة. ولكن نتساءل ما هو الشكل كما هو في الدول الغربية أم دول العالم النامي؟ وهل ستواصل الديموقراطي نجاحاتها وتقدمها كما كانت في الحرب الباردة أم لا؟ وما دلالة أفعال الولايات المتحدة بأفغانستان والعراق، وما تسميه مشروع الشرق الأوسط الكبير؟

من مجالات دراسات الجغرافيا الانتخابية: جغرافيا التصويت، والتأثيرات الجغرافية في التصويت، والتحليلات الجغرافية للدوائر الانتخابية. وتعد جغرافيات التصويت أكثرها شيوعاً.

تهدف جغرافية التصويت إلى شرح خرائط خاصة بالأصوات الانتخابية في منطقة ما. بهدف الوصول إلى إطار يمكن من خلاله تفسير جغرافية التصويت ودلالاتها على العملية الانتخابية ككل.

يمكن تحديد أربع عمليات تؤدي إلى التأثير في اتخاذ القرار وقت الاقتراع هي[٢]:

١. التصويت لمصلحة المرشح بحكم الصداقة أو الجيرة كما هو في اليابان والولايات المتحدة الأمريكية وإيرلندا ونيوزيلندا. فمثلاً من المؤكد دائماً أن يجني المرشح في الولايات الأمريكية أكبر أصوات له في مسقط رأسه.

٢. غلبة قضية بعينها على القضايا الأخرى في موقع انتخابي معين.

٣. الدعاية الانتخابية.

٤. عامل الجيرة أو الجوار، وهو أهم العوامل المؤثرة.

الميراث التاريخي لجغرافية الانتخابات

تعد جغرافية الانتخابات أحد مجالات الجغرافيا السياسية الجديدة، وتدرس جغرافية الانتخابات العلاقة القائمة بين الانتخابات والعوامل الجغرافية المؤثرة على سير ونتيجة الانتخابات أي معرفة أثر المكان على التصويت.

ومن خلال دراسة أصوات الناخبين في الانتخابات واتجاهاتها نلحظ العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية على أصوات الناخبين، بمعنى تنعكس الظروف الجغرافية للمكان على الانتخابات.

يعد أندرية سيجفرايد Andre Siegfreid من أوائل من كتبوا في أثر الظروف الجغرافية للمكان وأثر النواحي الاقتصادية للناخبين على الانتخابات عام ١٩١٣ في فرنسا. بهدف الوقوف على العوامل الجغرافية التي تؤثر في نتائج الانتخابات.

أسباب دراسة الانتخابات:

يمكن أن نجمل أسباب دراسة الانتخابات بالآتي:-

١. التعرف على العوامل المؤثرة على الانتخابات.

٢. فهم النظام السياسي للدولة من خلال نظام الانتخابات.

٣. الوقوف على أثر الإيديولوجيات على السلوك الانتخابي للسكان.

٤. التعرف على أثر التباين الجغرافي والإقليمي والاجتماعي على أنماط التصويت.

٥. معرفة أثر التباين العرقي والطائفي والقبلي على الانتخابات.

٦. تحديد أثر طبقات المجتمع على سير الانتخابات.

٧. التعرف على طبيعة الصراع بين جغرافية القوة (جغرافية التراكمات) المتمثلة بمركز الحكم، وبين جغرافية التأثير (جغرافية الشرعية)، أو الدعم الممثلة بالأصوات المناهضة للسلطة.

٨. الوقوف على الحيز الجغرافي لتأثير الأحزاب السياسية.

٩. تحديد مدى تأثير القوى الخارجية على برامج الأحزاب السياسية، والتي تؤثر على الانتخابات.

١٠. رسم خريطة للمقاعد الانتخابية.

ثلاثة عوامل ساعدت على ظهور جغرافية الانتخابات أولاها استخدام الإحصاء في العلـوم الاجتماعية، وثانيهما توفر معلومـات رقميـة عـن الانتخابـات بـين أيـدي المهتمـين بالجغرافيـا الانتخابية، وأخرها الاهتمام بالديموقراطية التي أنتجـت التصـويت الحـر والحكـم الدسـتوري والمساواة إمام القـانون، مـما شـكل مـادة دسـمة لجغرافيـة الانتخابـات سـواء المحليـة منهـا (البلدية) أو على مستوى الدولة (برلمانية)، أو دولية (هيئة الأمم المتحدة ومنظماتها).

ابتدأت جغرافيـة الانتخابـات في النصـف الأول مـن القـرن العشرـين بدراسـات وصـفية لنتائج الانتخابات وسيرها، ثم مثلت النتائج فيما بعد على خرائط تظهـر التبـاين بـين الأقـاليم من حيث عدد المرشحين، والناجحين، وانتماءاتهم الحزبية، أو القبلية. إلا أن الأسلوب العلمـي في التحليـل للانتخابـات جـاء بعـد شـيوع اسـتخدام الحاسـوب والثـورة الرقميـة في العلـوم الاجتماعية. فاهتم المختصـين بجغرافيـة الانتخابـات بتحليـل العلاقـة بـين السـلوك الانتخـابي للسكان الوراء الثقـافي والاقتصـادي والاجتماعـي للنـاخبين، فـيما يعـرف بـالمنهج السـلوكي في الجغرافيا الانتخابية، إذ يتيح هذا المنهج إمكانية التنبؤ بسلوكه الناخب مستقبلياً اعتماداً على سلوك السابق في الانتخابات[٤].

باعتماد جغرافية الانتخابات المنهج السلوكي أعطى المتشككين بصحة هذا المنهج الفرصـة للنقد والتجريح بحكم الصعوبة بالتنبؤ العلمي بسلوك الناخبين مستقبلاً. بالإضافة إلى صعوبة إقناع الناخبين في الـدول الناميـة بضرـورة ممارسـة حقهـم الانتخـابي لقلـة التفـاتهم للشـؤون السياسية ولقناعتهم بعدم فائدة مرشحي الانتخابات البرلمانية، في المنفعة العامة للسكان.

ولزيادة احتمالات الفقر المدقع في الدول الناميـة، يتجـه النـاس إلى تـأمين لقمـة العـيش ومستلزمات أفراد الأسرة اليومية، بل يميل بعضهم لبيع صوته تجـاه دراهـم معـدودة. إمـا في الدول المتقدمة فالمشكلة تكون من نوع آخـر وهـي عـدم النزاهـة في اتخـاذ القـرار المناسـب والصحيح في الانتخابـات. ذلـك أيضـاً عـلى المـنظمات الدوليـة والإقليميـة، فـالاحتمال وارد في عكس رغبات الدول القوية على أصوات الناخبين من الدول الفقيرة مقابل وعـودات براقـة في المساعدات الاقتصادية والسياسية[٥].

جغرافية التمثيل النيابي:

هذا النوع يتمثل في الدول التي تتبع النظام التعددي في الانتخابات، مثل الولايات المتحدة وبريطانيا، حيث يتم انتخاب المرشحين للبرلمان على أساس حصول المرشح على أغلبية الأصوات في دائرته الانتخابية.

والتلاعب بالدوائر الانتخابية لمصلحة حزب معين شيء مألوف، إذ يمكن التلاعب بنتائج الانتخابات بسهولة مثل رسم حدود حول بعض الدوائر الانتخابية بطريقة تؤدي إلى جمع الأصوات الموالية لحزب أو مرشح منافس داخل حي واحد أو اثنين على الأكثر، بحيث يحصل حزب معين أو مرشح معين على أغلبية ساحقة، في حين يحصل على أصوات قليلة من الدوائر الأخرى[٦].

نموذج منظومي للجغرافيا الانتخابية:

تعاني الجغرافيا الانتخابية من مشكلتين هما[٧]:

١. تتضمن ثلاثة أطراف لا تجمع بينها رابطة (جغرافية التصويت، جغرافية التأثيرات في التصويت، جغرافية التمثيل النيابي).

٢. تبقي الأطراف الثلاث في منأى عن التيار العام للجغرافيا السياسية.

لا مخرج للجغرافيا الانتخابية إلا من خلال موالفة بين ثلاثية أطراف الجغرافيا الانتخابية وذلك باللجوء إلى المنهج الإمبريقي (التجريبي).

المدخلات: نقل المعلومات: المعطيات Input throughput and output :

استخدم تيلور منظومة من المفاهيم والمصطلحات في الجغرافيا الانتخابية (شكل ٢٣) ويمثل الشكل نموذج منظومي مطبق على الجغرافيا الانتخابية. فمن دراسة الشكل وتحليله نجد أن: المدخلات: هي جغرافية الاقتراع والمؤثرات الجغرافية فيها.

علمية نقل المعلومات: جغرافية التمثيل.

المخرجات: هي العوامل الجغرافية التي تؤثر في نتائج الانتخابات النيابية أو التنفيذية.

من خلال ملاحظة المدخلات والمخرجات وعملية نقل المعلومات في الشكل (٢٣) نجد:

١. أن هدف الجغرافيا الانتخابية يتجاوز مجرد العملية الانتخابية في حد ذاتها.

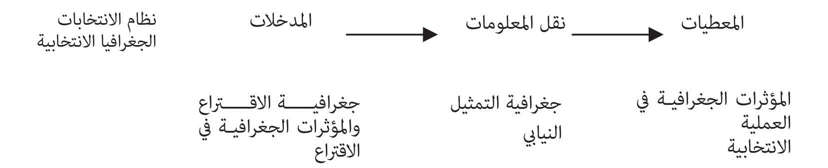
٢. ضرورة إعطاء أهميته إلى عنصر المدخلات لأن المخرجات مرتبطة به.

٣. إغفال عنصر المخرجات.

وضع جونستون الجغرافيا الانتخابية ضمن مهام الجغرافيا السياسية، ففي الولايات المتحدة تبدو الصورة واضحة في العلاقة الوطيدة بين العملية السياسية والعملية الانتخابية والمعروف باسم "المنفعة المتبادلة Pork barrel)، أي يتعهد الساسة لناخبيهم بتقديم المنفعة لهم. وأيضاً يسعى النواب والشيوخ في الكونغرس الأمريكي على عضوية لجان الأنفاق العام لتقديم المساعدة لدوائر انتخابهم. وهذا ما ينطبق على بريطانيا أيضاً[٨].

الشكل (٢٣)

نموذج منظومي مطبق على الجغرافيا الانتخابية



المصدر: Peter and Colin. P ٢٤٢

التقييـم: فرضيـات ليبراليـة:

إذا نظرنا إلى الشكل (٢٤) يتبين لنا أن جميع التغيرات في السلطة التنفيذية كما حددها (تيلور وهدسون) في الفترة ما بين ١٩٤٨-١٩٦٧ قد تمت خارج الأعراف، إما بالتهديد وإما بالوعيد والعنف. علماً بأن هذه الفترة كانت فترة انتعاش اقتصادي عالمي. صاحبها ١٤٧ حالة من تقلبات الحكومات في دول الأطراف (الدول الفقيرة) مقابل حالة واحدة في دول المركز وهي عودة ديجول إلى سدة الحكم في فرنسا عام ١٩٥٨، وحالتين واحدة في تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٤٨، والثانية في اليونان عام ١٩٦٧. وهذا يعني أن ١٤٤ حالة من تقلبات الحكم قد وقعت في أمريكيا الجنوبية وأفريقيا وآسيا[٩].

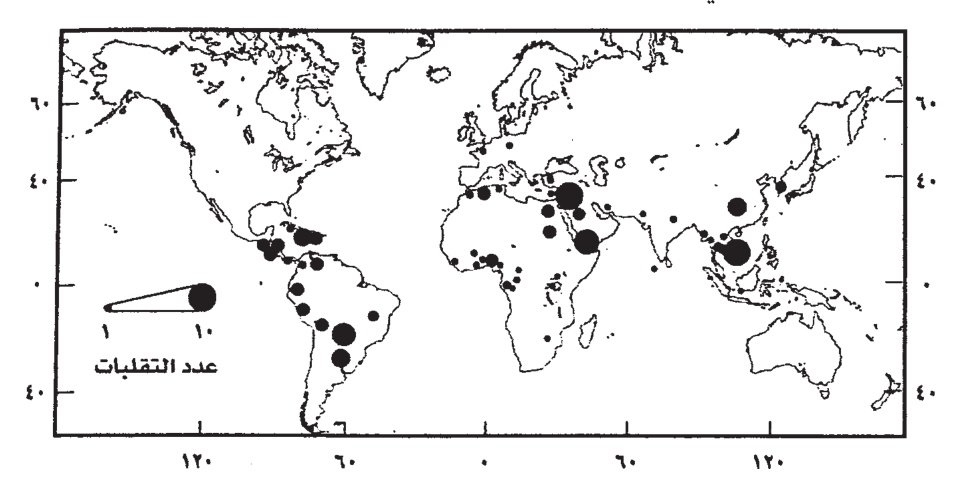
من ذلك نستنتج أن الأساليب السياسية في دول المركز مختلفة عنها في دول الأطراف. غير أنها في دول الأطراف وعلى الجغرافيا الانتخابية لا تنظر إلى عمليات الانتخابات بأنها غاية بل هي وسيلة -من بين عدة وسائل- لاختيار حكومة، علماً بأنه من المنظور الجغرافي تعد هذه الانتخابات متحيزة وبعيدة عن الصحة.

أن طرح الجغرافيا الانتخابية كمساق جغرافي في الجامعات يبحث في قيام الحكومات أمر غائب حالياً، إلا أن هذه الرؤية لقيت اهتماما كبيراً لدى العاملين في العلوم السياسية.

الشكل (٢٤)

خريطة تقلبات في السلطة التنفيذية (١٩٤٨-١٩٦٧)

(في ضوء المادة الواردة عند تيلور وهدسون ١٩٧١)



المصدر: عبد السلام رضوان، ص ٩٢، عن Peter and Colin. P. ٢٤٢

نموذج عن الديموقراطية الليبرالية على مستوى العالم:

أشهر الدراسات السياسية المقارنة تقترن باسم كوكتر، إذ قام بدراسة عن الليبرالية الديموقراطية وثيقة الصلة بالجغرافيا السياسية. وقد سبقه (روسيت) إذ استخدم المفهوم الإقليمي وعلاقته في مجال التكامل السياسي بين دول العالم.

الديموقراطية الليبرالية والتحريك الاجتماعي:

استوعب كوكتر اختبار تطبيق نموذج (دويتش) عن التعبئة الاجتماعية على مستوى العالم، وهو نموذج معروف ومستخدم لدى علماء الجغرافيا السياسية. فحاول ربط نموذج دويتش بالمقياس العالمي.

يميل كوكتر إلى استخدام الخطة التقليدية من معطيات الجغرافيا الكمية في بحثه وذلك على النحو الآتي[١٠]:

١. تحديد خريطة للمشكلة، ويتم دراسة الخريطة بصورة تفصيلية، متضمناً قياس درجة الديموقراطية في ٨٥ دولة في العالم، محدداً ثلاثة جوانب للديموقراطية الليبرالية هي:

أ. التنافس الليبرالي. ب. المشاركة السياسية. ج. الحريات العامة.

ثم يربط الجوانب الثلاثة معاً في فهرس واحد مبيناً في هذا الفهرس عناصر الانتخابات، ومشاركة الناخبين، وحريات المعارضة. هادفاً من ذلك قياس المتغيرات التي تؤثر في نتائج الانتخابات وتبيان نوع الحكومات المنتخبة في الفترة ما بين ١٩٤٦-١٩٦٦ الموضحة في (الشكل ٢٥) على أنها مرتبطة بالشكل (٢٤).

يستخدم كولتر لتحديد المتغيرات لشرح خريطته عن الديموقراطية الليبرالية بأفكار دويتش عن التحريك الاجتماعي والديموقراطية. إذ يرى دويتش أن التحريك الاجتماعي يتم عن طريق تغيير نمط حياة المجتمعات البسيطة إلى قيم وسلوكيات جديدة لم تكن معروفة أصلاً في المجتمعات التقليدية أو البسيطة. حيث يتم غزو المجتمعات التقليدية بالتمدن والتحضر، وبجعلها على صلة بوسائل الإعلام المرئية والمسموعة، وليتم بالتالي تحسين مستوى حياتهم ويرتفع معدل أعمارهم، وتلغى الأمية من حياتهم. ويحدد (كولتر) خمس متغيرات تفرز مؤشرات هي: التمدن،

والتعليم، والاتصالات، والتصنيع، والتنمية الاقتصادية، ثم أجرى كولتر قياساً لمستويات المتغيرات ونسب هذه المتغيرات للفترة ما بين ١٩٤٦-١٩٦٦.

يوصف منهج كولتر بالمنهج التحليلي، حيث تقع الديموقراطية الليبرالية في دور التابع، في الوقت الذي تقع الجوانب الخمسة للتحريك الاجتماعي في دور المتغيرات المستقلة.

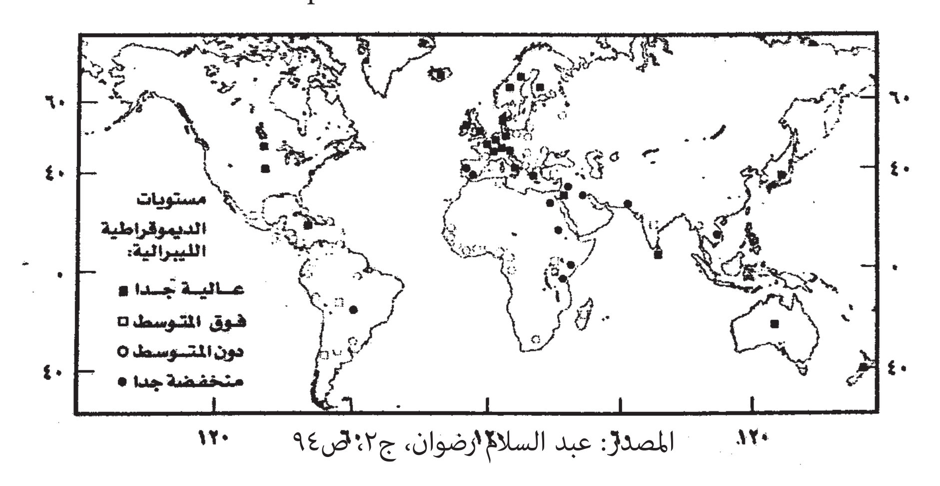
الشكل (٢٥)

خريطة العالم عن الديموقراطية الليبرالية (١٩٤٦-١٩٦٦)

(اعتماد على مادة كولتر ١٩٧٥)

World Map of liberal democracy ١٩٤٦-١٩٦٦.

pased on data in Coulter ١٩٧٥



المصدر: عبد السلام رضوان، ج٢، ص٩٤

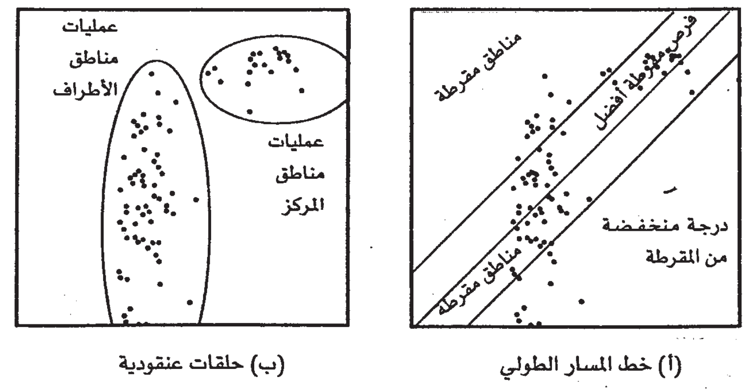
من خلال تناول (الشكل ٢٥) يتضح أن النتائج التي توصل إليها كولتر، أن خط المسار الأساسي تحدده الزيادة في التحريك الاجتماعي بارتفاع في درجة الديموقراطية الليبرالية. ومن الشكل يوضح كولتر تفسير النتائج التي توصل إليها: بأن الدول التي تقع ضمن نطاق نقطة معينة معيارية واحدة من خط المسار تدخل تحت "الديموقراطيات الأعظم" أي ديموقراطية ليبرالية متقدمة على أساس من عوامل التحريك الاجتماعي وهذه الدول هي: دول أوروبا الغربية، وجزر هايتي، ودولة جنوب أفريقيا. إما الدول التي تقع أسفل هذه المجموعة في الشكل فهي ذات

ديمقراطيـات أدنى مـن سـابقتها مـثلما هـو في: إسـبانيا، والبرتغـال. وتقـع دول في أعـلى هـذه الشريحة (من إسبانيا والبرتغال) مثل اليونان وشيلي. إما الاتحاد السوفيتي فوقـع ضـمن دول الديموقراطيات الأعظم، والولايات المتحدة ضمن دول "دون الديموقراطية". هـذا يعنـي فقـط أن التحريك الاجتماعي على هـذا المقيـاس كـان في الاتحـاد السـوفيتي أكـبر منـه في الولايـات المتحدة، من ذلك نستنتج أن هذا المقياس قام على قاعدة غير دقيقة لأن الولايات المتحـدة في الواقع هي أكثر ديموقراطية من الاتحاد السوفيتي(١١).

إما (الشكل ٢٦ب) فهو أدق من نموذج كولتر السابق، حيث يتم تبديل التركيز على خـط المسار الطولي، الذي يرمز إلى التحريك الاجتماعـي، بحلقتـين مـن النقـاط المجتمعـة في شـكل عنقودي (واحدة في شكل بيضاوي عمودي، وأخـرى في شـكل بيضـاوي أفقـي). وتمثـل هاتـان الحلقتان مستويين منفصلين غير متداخلين من التحريك الاجتماعي، ويفسر هـذان المسـتويان من التحريك الاجتماعي بقدر ارتبـاطهما بالتنميـة الاقتصـادية سـواء في دول العـالم الغنيـة أو الفقيرة. وتمثل النقط مؤشرات درجة الديموقراطية الليبرالية. فدول العالم الغربي الغنية عريقـة بالديموقراطية الليبرالية، إما الدول الفقيرة فإنها على تدرج من الديموقراطية الليبرالية.

الشكل (٢٦)

الديموقراطية الليبرالية والتحريك الاجتماعي



(أ) خط المسار الطولي (ب) حلقات عنقودية

المصدر: عبد السلام رضوان، ص ٩٦ عن Peter and Colin.P.٢٤٦

نخلص إلى القول أن السياسة لا تتطور في عزلة، وإنما يتم التطور السياسي لدول العالم وفق مدى تأثيرها وتأثرها بالاقتصاد السياسي العالمي.

تفسير العملية الانتخابية وفق المنظومة العالمية

على الرغم من أن العالم يعتبر منظومة عالمية واحدة، إلا أن الجغرافيا الانتخابية تتم داخل الدولة الواحدة، لذا تنظر الجغرافيا السياسية للجغرافيا الانتخابية على أنها تعدد وتباين الدول في العالم، وينظر لها كمجتمعات متعددة تتعدد فيها العمليات الانتخابية.

ويذكر هنا أنه رغم أن الانتخابات في الدول عملية داخلية، إلا أنها واقعياً قد تكون ذات تأثيرات خارجية، فمثلاً عندما ترفع الأحزاب شعارات داخل دولة ما وقت الانتخابات ترتبط تلك الشعارات بروابط واضحة مع دول أخرى على الساحة العالمية.

ترتبط الأحزاب السياسية بإيديولوجيات سياسية قد تكون خارجية فمن أحزاب للعمال، إلى أحزاب ليبرالية، وأخرى شيوعية، ومحافظين، وديموقراطيين، واشتراكيين وإسلاميين...الخ. كل حزب له مبادئه ولكنها قد ترتبط مع أحزاب أخرى في بعض منها، فالأحزاب الفاعلة ليست منعزلة عن الساحة العالمية خارج حدود الدولة التي ترعرعت على ترابها، مثلاً وصل تأثير الليبرالية الإنجليزية وقت هيمنتها على عرش العالم حداً عبر عنه سياسي برازيلي بقوله: "إني عندما أدخل قاعة مجلس النواب في البرازيل، فإني أشعر بأنني واقع تماما تحت الليبرالية الإنجليزية، إنجليزي في البرلمان البرازيلي"[١٢].

ومنهج المنظومة العالمية يتناول بالدراسة والتحليل الجغرافيا الانتخابية في مهمتين هما[١٣]:

١. تفهم عوامل التنوع والتباين في استخدام الانتخابات، ودلالاتها في مختلف مناطق منظومة الاقتصاد العالمي.

٢. توضيح أن النشاط الانتخابي داخل الدول يظل الهدف الأول للجغرافيا الانتخابية.

الديموقراطية الليبرالية والديموقراطية الاشتراكية

فكرة القومية في المجتمعات العالمية قديمة، مقارنة مع فكرة الديموقراطية الليبرالية في منظومة الاقتصاد العالمي. مثلاً تخوف الليبراليون في القرن التاسع عشر من تراجع للديموقراطية، حيث إن الجرعات الزائدة للديموقراطية تنذر بالكارثة والرعب، وذلك لأن الطبقات الدنيا ستصل إلى سدة الحكم، وتنهب أموال الناس. هذا الموقف الغريب من الليبراليين من الديموقراطية هو نقيض الأيديولوجية الديموقراطية الليبرالية، في الوقت الذي ينظر فيه للديموقراطية الليبرالية على أنها النتيجة الطبيعية للتقدمية السياسية.

على أنه من الإنصاف القول أن الديموقراطية الليبرالية نشأت في دول المركز بعد عام ١٩٤٥ ويبين(الشكل ٢٧) ثلاث قضايا تتصل بمسألة الديموقراطية الليبرالية هي[١٤]:

١. الأسس الدستورية التي تنادي بها الليبرالية، ومعاداة نظم الحكم الاستبدادية وضرورة تفسيرها.

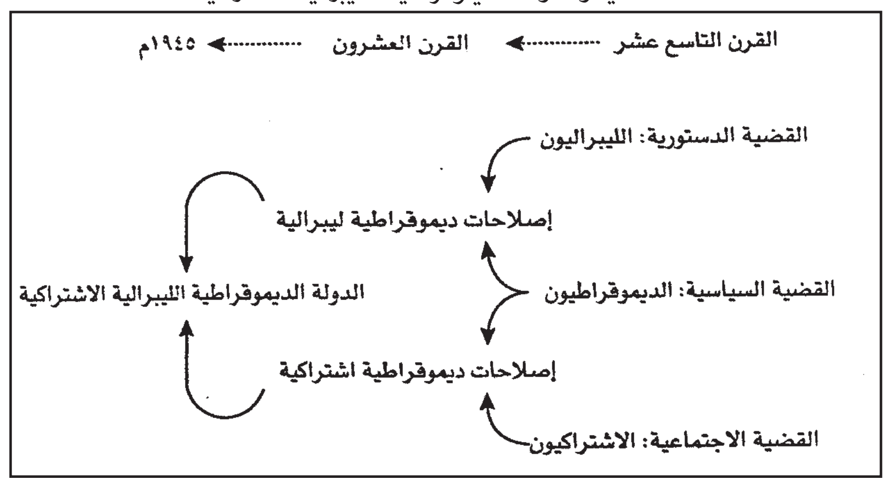
٢. الأسس السياسية التي تبناها دعاة الديموقراطية في أن يتسلم الشعب مقاليد الحكم من خلال الدستور.

٣. الأسس الاجتماعية، وهي معالجة الفقر.

المطلبين الأوليين (الأسس الدستورية والأسس السياسية) يمكن التغلب عليهما بإقامة دولة ديموقراطية ليبرالية. إما المطلبين الثاني والثالث فتتمثل الإجابة عليهما بإقامة ديموقراطية اشتراكية.

الشكل (٢٧)

ثلاث قضايا والدولة الديموقراطية الليبرالية الاشتراكية



المصدر: Peter and Colin. P. ٢٤٩

إن الديموقراطية الليبرالية لا تتمثل بالشعارات بل هي ترتكز على ثلاث ركائز هي:

١. الانتخابات التعددية الدورية بين الأحزاب لتشكيل حكومة.

٢. ضمان الحريات السياسية للجميع.

٣. حق الجميع بالتصويت بحرية تامة.

هذه الركائز الثلاث متوفرة في دول المركز مع بعض الشوائب، فمنذ عام ١٩٤٥ عملت دول المركز على الاستقرار السياسي، وعلى إقامة حكم ديموقراطي ليبرالي، وبالمقابل تراوحت باقي دول العالم بين حكم ديموقراطي ليبرالي حيناً والعكس حيناً آخر.

إما الديموقراطية الاشتراكية فلها صفات ثلاث هي:

١. تحمل الدولة مسؤولية الصالح العام فتقدم لمواطنيها خدمات اجتماعية وسياسات الدعم.

٢. إجماع سياسي بين الأحزاب حول واجب الحكومة في الإنفاق العام وعدالة التوزيع.

٣. تغطية نفقات الخدمات العامة عن طريق فرض ضريبة تصاعدية.

هذه الصفات الثلاثة تتمثل في دول المركز بدرجات متفاوتة وأصبحت معظم دول المركز من الدول الديموقراطية الليبرالية الاشتراكية نتاجاً لتطورين أحدهما اقتصادي والآخر سياسي. وليس من السهل على الدول الغربية القبول بتعميم أو نقل هذا المصطلح ليصف دول الأطراف.

إن مقولة: "الاقتصاد العالمي مستقطب أصلاً" تعني من وجهة نظر الجغرافيا السياسية حتمية عودة المكاسب الليبرالية والديموقراطية الاشتراكية على مراكز الاستقطاب نفسها، وأنه ليس من السهل نقل هذه المكاسب إلى دول الأطراف. بمعنى حتى لو قدر لبعض دول الأطراف من الوصول لدرجة الدولة الديموقراطية الليبرالية الاشتراكية سياسياً، لن يقدر لها الاستفادة من الاقتصاد العالمي التي تتمتع به أصلاً مراكز الاستقطاب (الدول الغنية الغربية). ويحق لدول الأطراف أن تسأل:

إذا لم يكن هناك أمل في قيام حكومة تعيد توزيع الدخل في دول الأطراف فيما لو وصلت لدرجة الديموقراطيات الاشتراكية؟ فلماذا إذن يهتم مجتمع الدولة بالانتخابات النيابية؟ وهذا يجعل من المواطنين عدم الالتفات نحو دعوة المسؤولين في حكومات الأطراف بالديموقراطية. لذا فقد تتحول الانتخابات في الدول الفقيرة (دول الأطراف) إلى حروب أهلية، ونزعات قبلية، وخلافات تؤدي إلى الفرقة والعزلة، هذا يؤدي بنا إلى أنه بالفعل لا يوجد عالم حرّ بالمعنى الديموقراطي الليبرالي في دول الأطراف[١٥].

الجغرافيا الانتخابية تكشف عن التناقض بين المركز والأطراف

تختلف الانتخابات من دولة لأخرى، وذلك وفق منظومة الاقتصاد العالمي، يتضح ذلك من خلال المقارنة بين الانتخابات في دول المركز ودول الأطراف، ففي دول المركز هناك استراتيجية ثابتة لاعادة توزيع الدخول، مما يسمح للأحزاب السياسة مساحة واسعة من المناورة والتزاحم على أصوات الناخبين، بمعنى أن الانتخابات في دول المركز تقوم أحياناً على تحزبات اجتماعية يطلق عليه "جغرافية

التصويت المستقرة". مثلاً في بريطانيا يحصل حزب العمال البريطاني على أصوات أفضل في مناطق سكن الطبقات العاملة وفي المصانع، في الوقت الذي يحصل فيه حزب المحافظين على أصوات أفضل في مناطق سكن الطبقة المتوسطة. وبالمقارنة فأصوات الناخبين في دول الأطراف لا ترتبط بطبقات اجتماعية بل بنظام العشائر والقرابة إلى حد بعيد مثلاً في الأردن وبالتحديد في محافظة عجلون تكون الانتخابات النيابية عشائرية ٩٩% إن لم يكن أكثر. وهذا ينسحب على محافظات أخرى مثل جرش والمفرق ومعان والكرك والطفيلة وغيرها. إما لماذا تقف الأحزاب السياسية في دول الأطراف عاجزة عن جذب أصوات الناخبين؟ لأن شعاراتها وترجمة شعاراتها عاجزة عن انتهاج سياسة إعادة توزيع الدخول. لذا توصف الجغرافيا الانتخابية في دول الأطراف بالتقلب والتغير بين فترة وأخرى.

إن مصداقية هذه النظرية (نظرية التباين في عملية الانتخابات ما بين دول المركز ودول الأطراف) يمكن أن تختبر بتحليل إمبريقي عن طريق قياس درجة الاستقرار الجغرافي للأصوات المؤيدة لحزب من الأحزاب على أساس المعيار التحليلي للنمط الجغرافي لأصوات الناخبين على مرات متتالية من الانتخابات. فلو افترضنا أن النمط السائد للانتخابات ثابت في كل عملية انتخابية، فإن العامل الأول في التحليل يساوي ١٠٠% للمتغير الحسابي الرياضي، وكلما قلت درجة ثبات الأصوات جغرافيا على مدار الوقت، تباعد العامل الأول في التحليل عن حد الـ ١٠٠%. ومن خلال تحليل (الجدول ٩) عن نسبة الثبات الجغرافي للأصوات بالنسبة للأحزاب السياسية في عشرة دول من دول المركز والأطراف، يلاحظ ما يأتي:

١. أن درجة الثبات هي متوسط ما يحققه الحزبان الرئيسيان في كل دولة في جميع الدول الواردة في الجدول باستثناء غانا والهند. ففي غانا فإن الدرجة تمثل ما أحرزه نكروما في كل جولة انتخابية، إما في الهند تمثل ما أحرزه حزب المؤتمر فيها.

٢. في الجدول سبع من دول المركز، وثلاث من دول الأطراف. ففي دول المركز (وكلها أوروبية) نجد أن نقاط الثبات بعد عام ١٩٤٥ عالية. ويرجع

ذلك لاحتفاظ الأحزاب الكبرى في هذه الدول بزبائنها على طول الوقت. إما في دول الأطراف، حيث كانت نسبة الحفاظ على أصوات الزبائن منخفضة.

٣. تقترب جاميكا إلى معدل الثبات اللازم لسياسة إعادة توزيع الدخول، وذلك لتبنيها سياسة اقتصادية ناجحة.

جدول (٩)

الثبات الجغرافي لأنماط الاقتراع من حوالي ١٩٥٠-١٩٨٠

للأحزاب الكبرى في بعض الدول

بلدان المركز	النسبة المئوية	بلدان الأطراف	النسبة المئوية
إيطاليا	٩٥	جمايكا	٥٩
بلجيكا	٩٤	غانا	٣٥
هولندا	٩٤	الهند	٢٣
بريطانيا	٩٣		
ألمانيا الغربية	٨٨		
الدنمارك	٨٦		
فرنسا	٨٣		

المصدر: Peter and Colin. P. ٢٥٢

نخلص إلى القول أن أصوات الناخبين في دول الأطراف في تقلب، لأن الأحزاب في هذه الدول غير قادرة على تلبية حاجات الناخبين. بمعنى أن الجغرافيا الانتخابية مختلفة أساساً ما بين المركز ودول الأطراف، ودلالاتها في دول الأطراف غير دلالاتها في دول المركز "دول الديموقراطية الليبرالية الاشتراكية إن دراسة العملية الانتخابية برمتها دولياً تحتاج إلى استيعاب الفروق الفردية في النواحي المالية وحجم الموارد الاقتصادية في دول المركز ودول الأطراف والتي تنعكس بدورها على سياسات تلك الدول".

الديموقراطية الليبرالية في دول المركز: liberal Democracy in the Core

ينظر إلى الأحزاب السياسية في مضمار الجغرافيا الانتخابية على أنها إما أن تكون انعكاسات لتحزبات اجتماعية، وإما أنها مجرد عمليات شراء لأصوات الناخبين[١٦]. أو بكلتيهما معاً، إلا أن الأحزاب السياسية مهما كانت إستراتيجيتها فهي تسعى للوصول إلى سدة الحكم.

ديالكتيك (منطق) الجغرافيا الانتخابية:

تعرف العملية الديالتيكية: بأنها الوسيلة التي تلتقي من خلالها -تاريخياً- قضيتان متناقضتان عند صيغة تحل هذا التناقض القائم. ويعبر عن هذا الصيغة بالمعادلة: "القضية × نقيض القضية": مؤالفة أو تركيبة من النقيضين تلغي التناقض القائم[١٧]. ويوضح (الشكل ٢٨) ديالكتيك الجغرافيا الانتخابية وما ينتج عنها من تحولات سياسية.

من المفترض أن يرتبط تراكم رأس المال في الحاجة إليه، إلا أنه من الملاحظ أن هذا التراكم يقع في أيدي قلة من الناس في الدولة، مما يجعل الاعتقاد السائد أنه ليس من الشرعية بمكان تراكم رأس المال بأيدي القلة القليلة. ولكن هاتين القضيتين (التراكم × الشرعية) ضرويتان إذا ما أريد للنظام أن يتجاوز إكراه الأقلية للأغلبية في المجتمع، ويقع على كاهل الأحزاب السياسية في حل هذا التناقض، وإضفاء الشرعية من خلال تبني سياسة ديموقراطية ليبرالية اشتراكية وذلك باتباع الخطوات الآتية[١٨]:

١. يحتاج رأس المال الآمن، إلى نظام مستقر سياسياً، لضمان استقرار الإنتاج. وهذا يقع على عاتق الأحزاب كما يحدث في الولايات المتحدة الأمريكية بين حزبي: الجمهوريين والديموقراطيين.

٢. على الأحزاب السياسية أيضاً التحريك الاجتماعي لتسهيل مهمة اشتراك جميع أفراد الشعب بالعملية السياسية، ولإضفاء الشرعية على السياسات التي تتبناها الأحزاب.

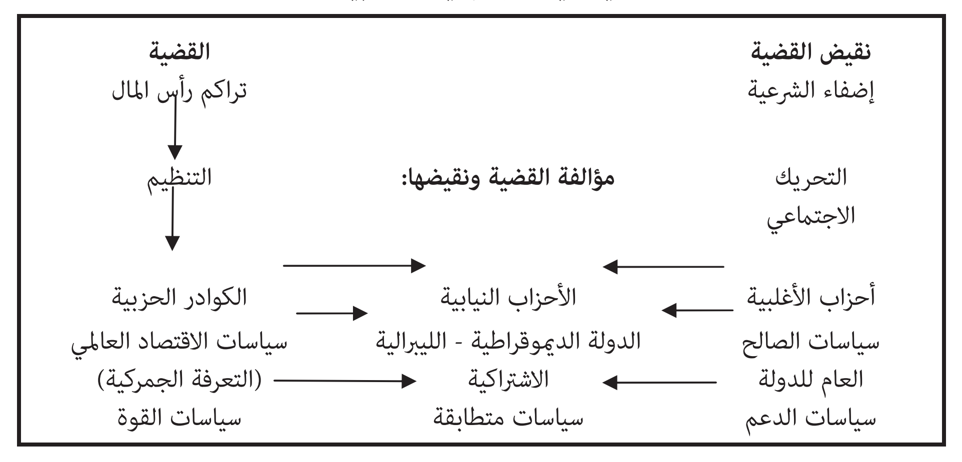
٣. ترتبط الأحزاب السياسية بتنفيذها ما جاء بالبند الأول والثاني. والتي يطلق عليها الكوادر الحزبية وأحزاب الأغلبية الشعبية، وبتلاحم الكوادر الحزبية مع أحزاب الأغلبية تظهر المؤالفة بين تراكم رأس المال وإضفاء الشرعية على النظام السياسي.

٤. تتلاقى السياسة الخارجية للدولة (النشاط التجاري)، مع السياسة الداخلية (الصالح العام للمجتمع) في صفة الدولة الديموقراطية الليبرالية الاشتراكية، التي يصاحبها سياسة القول والفعل.

٥. أن الجمع بين أحزاب التمثيل النيابي والدولة الديموقراطية الليبرالية الاشتراكية وسياسة التطابق (القول والفعل) هو الذي يحل جميع التناقضات.

الشكل (٢٨)

ديالكتيك الجغرافيا الانتخابية



المصدر: Peter and Colin. P. ٢٥٣

التنظيم والتعبئة Organization and Mobilization:

يقع على عاتق الأحزاب السياسية مهمتين أساسيتين هما[١٩]:

١. إعداد الأجندة السياسية بالكامل أو بشكل جزئي.

٢. كسب ود الجماهير لأجندتها السياسية.

في معظم الـدول الغربيـة يوجـد ثنـائي حـزبي يحتكـر السـلطة. ففـي الولايـات المتحـدة الأمريكية جميع الرؤوسـاء جـاءوا إمـا جمهـوريين وإمـا ديمـوقراطيين. وفي بريطانيـا إمـا مـن المحافظين وإما من الأحرار حتى العشرينات من القرن العشرين ثم إمـا مـن المحـافظين وإمـا من العمال.

ومن ملاحظة الأنظمة الحزبية والانتخابات في معظم دول العالم، ومنها الـدول المتعـددة الحزبية والتي فيها أكثر مـن حـزبين، يجـد الناخـب نفسـه في اختيـار مـن اثنـين رغـم تعـدد الأحزاب فتجد أقواها اثنين والباقي في الظل. هذا الضيق في الاختيار هي النقطـة المحوريـة في النظام الحزبي، ولكن المشكلة أن تصويت الناخب يكون دعماً لبيـان هـذا الحـزب أو لبرنـامج ذلك الحزب. ولا يتم التصويت مع أو ضد نظام الحزب نفسه أو هيكلته.

إن المجتمع العالمي الحالي مؤرق بكم هائـل لا يحصى مـن الصراعات التـي هـي سـمة العصر، لذا تتبدل شعارات الأحزاب بين الفينة والأخرى، فتستبعد الأحـزاب السياسـية أجنـدة بعينها تخص قضايا معينـة وتـأتي بـأخرى. هـذا يعنـي أن الأحـزاب تضـع محـددات لعمليـة الانتخابات تتواءم مع برامجها السياسية.

أن كلمة حزب Party مشتقة من الجذر نفسه لكلمة جزء Part التي تعنـي القسـمة أو التجزئة داخل المنظومة.

بمعنى أن للأحزاب مهمات أخرى تتمثل في تسوية الخلافات أو الانقسامات أو الصراعات الاجتماعية داخل الدولة، فينجم عنها تحزبات تصبح جزءاً مكملاً لهيكلة الديموقراطيـة. هـذه الأحزاب تهدئ هيجان نفوس الناخبين ليصوتوا مع هذا أو مع ذاك بدلاً من إثارة القلاقل.

بـدء تطـور الأحـزاب السياسيـة: The development of political parties

في القرن التاسع عشر بدأت الأحزاب السياسية على شـكل أفـراد بـالتجمع مـن مختلـف الاتجاهات والمصالح، من أبناء الطبقة العليا، على شكل تحزبـات. ونميـز هنـا بـين الجماعـات الحزبية التي تسعى إلى تحقيق مصالحها الشخصية، وبـين الأحـزاب التـي تقـوم عـلى مبـادئ تمثل الصالح العام للمجتمع، وفي بدايات القرن

العشرين تبلور نمطان مختلفان من الأحزاب هما: أحزاب جماهرية، وأحزاب تعتمد على الكوادر في التنظيمات للانتخابات.

إن المهمة الأساسية للانتخابات هي تنافس الأحزاب من أجل الوصول إلى سدة الحكم بصفة شرعية وبصورة عامة، فإن أحزاب الكوادر تتبنى سياسة تحقق المصالح والطبقة المهيمنة داخل الدولة، باتباعها مبدأ الحمائية مرة، وأخرى مبدأ التجارة الحرة، مثلاً في الولايات المتحدة الأمريكية اتبع الحزب الجمهوري السياسة الحمائية، إما الحزب الديموقراطي اتبع سياسة التجارة الحرة. وفي بريطانيا تبنى المحافظون سياسة الحمائية، إما الأحرار فتبنوا سياسة التجارة الحرة، إما الأحزاب الجماهرية في العادة يتمحور برنامجها حول إعادة توزيع الدخل.

إن واقع الأمر يؤشر على سياسات أحزاب الكوادر (التجارة الحرة × إصلاح التعرفة الجمركية) فقد أخذت تختلط بسياسات جديدة لتعبئة القاعدة الشعبية (أهل الحضر × أهل الريف)، نتج عنه عدم توافق بين المصالح من ناحية، والانتخابات من ناحية ثانية، لذا تولد عن كل جولة انتخابية سياستين هما[٢٠]:

١.سياسة القوة التي ترتبط بتراكم رأس المال، والعمل على كسب الانتخابات للحفاظ على المكتسبات التي حققتها طبقة معينة.

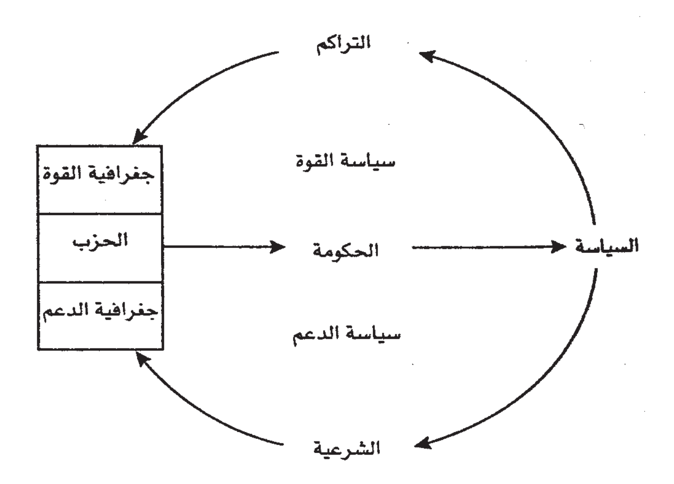
٢. سياسة الدعم وقت الانتخابات لضمان أصوات الناخبين.

هناك نمطين من الجغرافيا الانتخابية: جغرافيا القوة (مصالح جماعات بعينها وعمليات تمويل الأحزاب) وجغرافية الدعم. (والشكل ٢٩) يعبر عن نموذج معدل للجغرافيا الانتخابية يختلف عن النموذج الخطي الموضوع في (الشكل ٢٣) لتوضيح جغرافيتي القوة والدعم في الانتخابات.

الشكل (٢٩)

نموذج معدل للجغرافيا الانتخابية

Arevised Model of electoral geography



المصدر: Peter and Colin. P. ٢٥٨

على أية حال، ومهما قيل عن العمليات الانتخابية من مدح أو ذم، تبقى العملية الانتخابية ممارسة علنية شخصية من خلال الدولة، وإن إعلان نتائج الانتخابات أولاً بأول يتيح للمراقبين مادة دسمة للبحث، وهذا هو السبب الرئيسي في انتعاش جغرافية الدعم في الانتخابات. إذ إن جغرافية الدعم باتت من أهم الموضوعات التي يتناولها الدارسون.

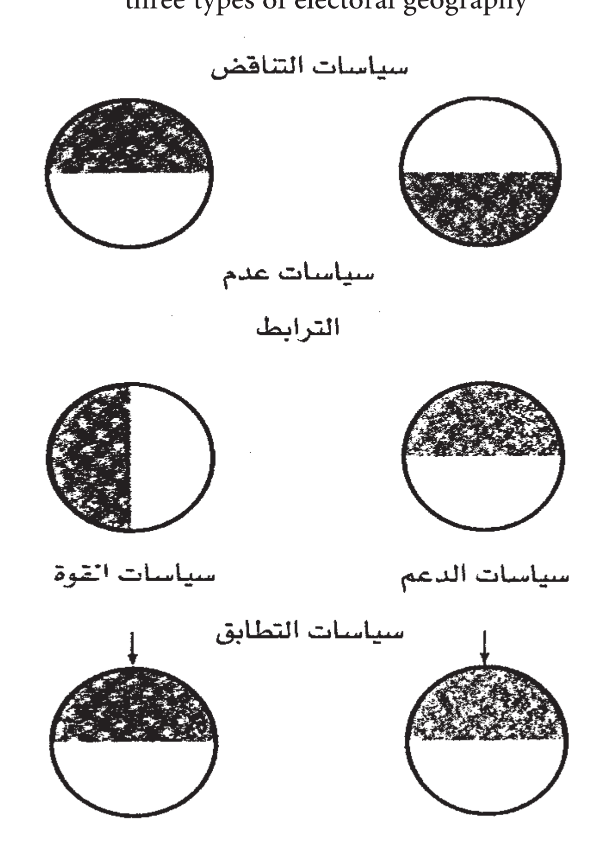
إما جغرافية القوة فنصيبها بين الباحثين أقل من جغرافية الدعم. لأن جغرافية القوة تميل إلى السرية والكتمان وتتبنى سياسية الدهاليز، فمن التطبيقات العملية لجغرافية القوة مسلك دائرة المخابرات الأمريكية (CIA) في دعمها المادي والمعنوي والتخطيطي لأحزاب أجنبية صديقة للولايات المتحدة، أو لزعزعة أنظمة حكم أجنبية غير صديقة للولايات المتحدة. وهذا ما ينطبق على سياسة الولايات المتحدة في كثير من دول العالم. ويبقى حجم فاتورة التمويل المادي للأحزاب السياسية ضمن دائرة السرية والكتمان، لذا تبقى جدولة جغرافية القوة وإصدار حكم عليها غير دقيق. وتبقى الجغرافيتان (دعم وقوة) ضروريتان لضمان فاعلية

الديموقراطية الليبرالية. وأن النموذج المعدل (الشكل ٢٩) هو تعديل دفة المسار في الجغرافيا الانتخابية تجاه نصفها المهمل ألا وهو جغرافية القوة ومن الشكل (٣٠) نحدد ثلاثة أنماط من العلاقات بين جغرافيتي القوة والدعم هي: علاقة معكوسة (علاقة تناقض)، لا علاقة (علاقة عدم ترابط)، علاقة إيجابية (علاقة تطابق).

الشكل (٣٠)

ثلاثة أنماط من السياسات الانتخابية

three types of electoral geography



التطورات الحديثة في جغرافية الانتخابات

أدخل الحاسوب في جغرافية الانتخابات حديثاً بهدف تحليل الأرقام المتوفرة، ورسم خرائط جغرافية تبين حدود المناطق الانتخابية. بالإضافة إلى الميل لاستخدام التحليل الكيفي في دراسة العوامل المؤثرة على الانتخابات من هذه العوامل الأيديولوجية السائدة في منطقة الانتخابات والعشائر والاتجاهات السياسية، والانتماءات الحرفية والجيرة، وكذلك أثر البيئة على السلوك الانتخابي للسكان. إما قيمة التطورات الحديثة في جغرافية الانتخابات، تتمثل في تفسير الأنماط السياسية بوساطة دراسة العمليات التي تمت على أساسها تشكيل الحكومة ووظيفتها، ودراسة النظام الاقتصادي العالمي World Economy.

صنف الجغرافيان الإنجليزيان بيتر تيلر ورونالد جونستون (١٩٧٩) في كتابهما جغرافية الانتخابات مجالات البحث في جغرافية الانتخابات إلى ثلاثة مجالات هي[٢١]:

أولاً: جغرافية التصويت:

تهتم جغرافية التصويت بدراسة نتائج الانتخابات، ولتسهيل مهمة هضم تحليل نتائج الانتخابات، يتم توقيع النتائج على خرائط موضوع عليها التوزيع الجغرافي للأصوات، وتقارن مع خرائط الظروف الجغرافية ذات العلاقة والصلة على الانتخابات.

ويمكن حصر العوامل المؤثرة على التصويت بالآتي:

أ. العمر:

أشارت بعض الدراسات إلى أن هناك علاقة بين عمر الناخب ونمط التصويت، فالشباب يميلون للانخراط في الأحزاب السياسية، والتصويت لها. بينما يميل الشيوخ للارتباط بالاتجاهات العرقية ونمط تصويتهم اقل استجابة للأحداث الجارية.

ب. الجنس:

النساء اقل تطرفاً من الرجال في المواقف السياسية، والتصويت النسائي السياسي الانتخابي يعكس المحافظة على القديم والمألوف، وهو اقل انجذاباً لما هو

جديد وحديث، والنساء أميل من الرجال إلى التسامح ورفض العنف أثناء التصويت، ويقفـن بجانب المرشح الذي يدعو إلى السلام والوئام.

ج. البيئة الاجتماعية:

يتأثر التصويت الانتخابي بالسلوك الانتخابي للعائلة والجيران، والزملاء، وبالظروف البيئية والاقتصادية والاجتماعية وبـالميول الدينيـة وموقـع الناخـب الطبقـي. ويتنـاقص تـأثير البيئـة الاجتماعية للناخب بالابتعاد عن المركز.

د. المستوى الاقتصادي:

يؤثر المستوى الاقتصادي للناخب بنسبة ٢٠-٤٠% على اتجاهه، فالمجتمعات التي تعـاني من البطالة والفقر يتم التصويت لصالح المرشح الـذي يـدعو إلى رفـع مسـتواهم الاقتصـادي، بينما يميل الأغنياء للتصويت لصالح أحزاب المحافظين، والتي تتبنى برامج الإبقاء عـلى الوضـع الاقتصادي على حاله.

و. تأثير وسائل الأعلام:

لوسائل الإعلام من تلفاز، وإذاعة، وصحافة ومجلات تأثير مباشر أو غير مباشر على أنماط التصويت في المجتمعات غير المسيسـة، والتـي لا تعـير اهتمإمـا كبـيراً للسياسـة، فالمجتمعـات العريقة في الديموقراطية يقل تأثير وسائل الإعلام فيها، فمثل هـذه المجتمعـات تجـذرت فيهـا الأحزاب السياسية، تصغي لوسائل الأعلام للوقوف على المصداقية والرأي السليم، وبهذا فقـط يكون لها تأثير في التصويت.

هـ. الصفات الشخصية للمرشح:

يميل بعض الناخبين إلى إعطاء صوته لمرشح ذو شخصية مميزة وقياديـة، وذلـك في حالـة انتخاب رئيس جمهورية أو رئيس حزب معين ويتم الاختيار أحياناً على حسن المظهر والهندام والأناقة والكياسة.

الحملــة الانتخابيــة:

في الدول ذات المجتمعات المتقدمة والمثقفة والمسيسة يميل فيها الناخب لإعطـاء صـوته للمرشحين لحزبين أكثر من المرشحين المستقلين. إما في الدول

الفقيرة وذات الأنظمة غير الديموقراطية يميل فيها الناخب لإعطاء صوته لمرشحين حسب مميزاتهم الشخصية أو العشائرية أو العرقية أو الطائفية.

وتعتمد قدرة الأحزاب السياسية للحصول على أكبر عدد من أصوات الناخبين على عدة عوامل هي:

١. قوة الحزب العددية.

٢. قدم الحزب وتاريخه النضالي.

٣. مدى تولي الحزب القيادة في الدولة.

٤. مدى قدرة الحزب على الوصول إلى الناخبين وتواجد مبادئه بين أيديهم.

٥. كشف الأحزاب عن توجهات السياسة بصورة واضحة للناخبين.

٦. مدى قدرة الحزب المادية.

٧. قدرة الحزب الدعائية في تغير ولاءات المؤيدين.

ص. استطلاعات الرأي:

يميل الناخب لإعطاء صوته لمرشح الحزب القوي، وللمرشح التي تشير استطلاعات الرأي أو الإعلام إلى رجحان كفته في الانتخابات، لذا تمنع بعض الدول نشر استطلاعات الرأي أثناء الانتخابات لتأثيرها المباشر وغير المباشر على أصوات الناخبين.

ثانياً: جغرافية التمثيل:

ترتكز دراسات جغرافية التمثيل على دراسة الأقاليم الانتخابية من حيث توزيعها وتنظيمها، والعوامل المؤثرة على ذلك التوزيع والتنظيم .

وتتمثل جغرافية التمثيل في الدول التي يقوم بها برلمان يمثل الأقاليم الجغرافية في الدولة. والعوامل المؤثرة على التمثيل هي: عدد السكان، توزيعهم الجغرافي، وعدد المقاعد المخصصة لكل إقليم، وعدد الأقاليم وأحجامها.

يمكن إجمال العوامل المؤثرة على التصويت على النحو الآتي:

أ. المشكلات التي يطرحها المرشحون.

ب. العوامل الجغرافية الاجتماعية والاقتصادية السائدة في منطقة الانتخابات.

ج. أثر البيئة والصفات الحضارية على التصويت.

وتهتم جغرافية الانتخابات بدراسة الأقاليم الانتخابية، ومساحاتها، وعدد سكانها، ومستواهم العلمي والثقافي والاقتصادي والاجتماعي.

تسعى الدولة إلى إيجاد حدود لأقاليمها الانتخابية تحقق من خلالها الأهداف المرسومة للانتخابات النيابية، وقد تكون هذه الحدود غير عادلة. ويعود تغير رسم للحدود الانتخابية إلى عام ١٨١٢ في ولاية ماساشوسش في الولايات المتحدة الأمريكية لتحقيق السياسة المرسومة للانتخابات من قبل حاكم الولاية. وفي العادة تتم إعادة ترسيم الحدود بين المناطق الانتخابية بالطرق الآتية:

١. عدم تغير رسم الحدود القائمة للمناطق التي تتركز فيها معارضة النظام الحاكم، رغم ضرورة إعادة رسم حدودها الانتخابية أو زيادة عدد مقاعدها نتيجة زيادة عدد السكان إما عن طريق الزيادة الطبقية أو عن طريق الهجرة الخارجية.

٢. حصر معظم المناوئين لنظام الحكم ضمن دائرة انتخابية واحدة للسيطرة على تحديد عدد الفائزين.

٣. تشتيت المعارضين إلى أكثر من دائرة انتخابية واحدة، لبعثرة أصواتهم وتقليل فرص نجاحهم.

٤. إعادة ترسيم الحدود الانتخابية، لحصر المعارضين لسياسة الحكومة وسط مؤيدين لإضعاف تأثير أصوات المعارضين.

٥. إعطاء عدد من المقاعد لمناطق مؤيدة للحكم.

الانحياز في الانتخابات

أجرى ليجفارن١٩٧١ دراسة لقياس نسبة الانحياز في الانتخابات عند شرائح مجتمعية مختلفة نحو الأحزاب التي تؤيدها هذه الشرائح بشكل طبيعي. فالعمودان الأولان من (الجدول ١٠) يوضحان الانحيازات القائمة على أسس دينية واقتصادية في سبع دول أوروبية تتبع نظام التمثيل النيابي النسبي هي (فرنسا، وإيطاليا،

وألمانيا، وهولندا، وبلجيكا، والنمسا، وسويسرا). إما الأرقام فتعبر عن نسبة انحياز الناخبين المتدينين تجاه الأحزاب الديموقراطية المسيحية وكذا نسبة الانحياز لدى الطبقات العمالية اليدوية تجاه الأطراف الاشتراكية. ولافت للنظر هيمنة الانحياز الديني في الدول الأوروبية.

إما العمود الثاني والرابع في جدول ليجفارن ١٩٨٢ (١٠) يمثلان النتائج التي انتهت إليها قيام حكومات إئتلافية للدول الأوروبية ما بين ١٩١٩-١٩٧٩ إلى الآتي:

١. إما أن تكون هذه الحكومات ارتكزت على تأييد جماعات دينية.

٢. وإما على أصحاب مصالح اقتصادية.

٣. وإما على عضوية حزبية.

الجدول (١٠)

مقارنة سياسات الدعم بسياسات القوة في سبع دول أوروبية

* سياسات الدعم تحزبات انتخابية ** سياسات القوة حكومات ائتلافية

	ديني	اقتصادي	ديني	اقتصادي
فرنسا	٥٩	١٥	٢٥	٧٥
إيطاليا	٥١	١٩	صفر	٧٥
ألمانيا	٤٠	٢٧	١٢	٧٠
هولندا	٧٣	٣٦	صفر	١٠٠
بلجيكا	٧٢	٢٥	١٧	٧٠
النمسا	٥٤	٣١	٥	٩٥
سويسرا	٥٩	٣٦	صفر	٤٩

* انحياز نسبي نحو الأحزاب الدينية والاشتراكية من جانب المتدينين وطبقات العمالة اليدوية.

** نسبة "سنوات الائتلاف" للفترة من ١٩١٩-١٩٧٩م.

المصدر: Peter and Colin. P. ٢٦٠

إلا أن أهم النتائج التي أوضحها الجدول (١٠) أنها تتناقض سياسات الدعم مع سياسات القوة، فالعامل الديني كانت أهميته تعادل ثلاثة أمثال العامل الاقتصادي في نمط الاقتراع، وبالمقابل فقد مثل المعيار الاقتصادي أهمية تساوي ثمانية أمثال العامل الديني في حالة الحكومات الائتلافية، هذا الوضع يرجع إلى أن أصوات الناخبين كان على أساس ثقافي، في حين يبقى تشكيل الحكومات معتمداً على العامل الاقتصادي. وهكذا أفرز نمط السياسات غير المترابطة.

إما سياسات التطابق، أي تطابق سياسات الأحزاب مع مصالح القاعدة الشعبية التي تدعم هذه الأحزاب. فقد لوحظ أن أحزاب اليمين تنتهج سياسات تلبي مصالح كبار الطبقة الوسطى. إما أحزاب اليسار فتلبي مصالح صغار الطبقة الوسطى. ومهما كان الأمر فالنمط السائد اليوم في دول المركز هو نمط السياسات المتطابقة. وهي التي تتبنى سياسة إعادة توزيع الدخل وهي ميزة الدول الكبرى (الدول الديموقراطية الليبرالية الاشتراكية). هذه الثلاثية المؤلفة من الحزب والسياسة والدولة تكمل واحدتها الأخرى، وهي التي تساوي قضية التناقض ما بين تراكم رأس المال وإضفاء الشرعية على هذا التراكم ومباركته في دول المركز في منظومة الاقتصاد العالمي.

الإقليمية والحزبية في الولايات المتحدة قبل صدور الوفاق الجديد:

بدأت الانتخابات في الولايات المتحدة على أصوات المواطنين البيض الذكور، وقدم (Archer and Taylor) عن انتخابات الرئاسة الأمريكية للفترة ما بين ١٨٢٨-١٩٨٠ معامل تحليل، يتلخص في استخدام نسبة الاقتراع لمصلحة المرشحين من الحزبين الديموقراطي، للوقوف على الأنماط المتباينة من الدعم الذي صادفه المرشحين في عدد من الولايات المتحدة الأمريكية. فأوضح التحليل ما يأتي[٢٢]:

١. في الولايات الشرقية من الولايات المتحدة الأمريكية للفترة ما بين ١٨٢٨-١٩٢٠ برز نمطين من الأصوات هما:

أ. الأصوات المعتادة التي لا تنتمي إلى ولاية بعينها.

ب. الأصوات المعتادة التي تنتمي إلى ولاية بعينها.

٢. النمط السائد في الولايات الجنوبية هي الأصوات المعتادة التي تنتمي إلى ولاية بعينها، أي تأييد عريض للديموقراطيين. وتأييد أقل درجة للحزب نفسه في ولايات الحدود.

٣. هناك تعاطف نسبي مع الجمهوريين في ولايات الشمال مع تأييد قوى للحزب نفسه في ولايات فرمونت ومشيجان. يطلق على هذا النمط "الاقتراع وفق التوزيع الإقليمي".

٤. إما نمط الأصوات المعتادة التي لا تقوم على أساس إقليمي فهي تتمثل في الولايات المتحدة الشمالية والجنوبية للحزب الديموقراطي.

نخرج من هذا التحليل بالملاحظات الآتية:

أ. أن العوامل الإقليمية في الانتخابات لم تفقد أهميتها.

ب. إما ما يعكسه الاقتراع عن النتائج التي لا ترتكز على أسس إقليمية فهو مجرد انعكاسات لتكتل التحالفات المحلية.

وقد ظلت الولايات الشمالية في الولايات المتحدة تصوت للجمهوريين في معظم الأحيان، والولايات الجنوبية للديموقراطيين. صب ذلك في مصلحة رجال الصناعية الشماليين لأن عدد الأصوات في الولايات الشمالية أكثر من الجنوبية مما أعطى الفرصة لمنصب رئيس الولايات المتحدة الأمريكية للجمهوريين بينما لم يحظ الديموقراطيين بالمنصب إلا مرتين ما بين الحرب الأهلية الأمريكية وحتى عام ١٩٣٢. ثقافة المواطن الأمريكي وانتماءاتهم المذهبية والعرقية وراء صوت الناخب لتلك الفترة.

أنواع العملية الانتخابية:

يمكن أن نجمل أنواع العملية الانتخابية بالآتي[٢٣]:

١. الانتخاب المقيد (الاقتراع المحدود): هو الذي تختص به فئة من المواطنين، وتحرم منه بقية الفئات، فمن تحقق فيه شروط معينة يحق له الانتخاب مثل امتلاك قطعة أرض أو شرط توفر الكفاءة العلمية.

٢. الانتخاب العام: هو الانتخاب الذي لا تختص به فئة معينة مـن النـاس مـع تـوفر شروط معينـة، فالناخـب في الأردن يجـب أن يتمتـع بالجنسـية الأردنيـة وسـن الـ (١٨) عامـاً، والأهلية العقلية والأدبية.

٣. الانتخاب المتساوي، هو الذي يكون فيه لكل ناخب صوت واحد. وهذا النوع طبـق عـلى الانتخابات النيابية في الأردن عام ٢٠٠٣ (رجل واحد، صوت واحد).

٤. الانتخابات المتعددة هي التي يكون فيها للناخب أكثر من صوت.

٥. الانتخاب السري والانتخاب العلني.

٦. الانتخاب المباشر والانتخاب غير المباشر.

٧. الانتخاب الاختياري والانتخاب الإجباري؛ الاختياري هو أن الناخب غير ملـزم قانونـاً بـأن يذهب إلى الصندوق ليدلي بصوته، والإجباري يعني التصويت بالقوة والعنف.

٨. الانتخاب الفردي والانتخاب المهني: الانتخاب الفردي يعني الحـق لكـل فـرد بالانتخـاب، إما المهني يـتم عـلى أسـاس مهنـة معينـة، ولا يجـوز لأحـد مـن خـارج المهنـة أن يقـوم بالانتخاب.

مراجع الفصل السادس

١. Muir, R. (١٩٨١). Modern political Geography (٢nd edition). Macmillan, London. PP ٢٠٣-٢٠٥

٢. Taylor, P.J and Johnston, R,J. (١٩٧٩) Geography of Elections, penguin London, PP ٢٧٣-٢٩٤

٣. قاسم دويكات (٢٠٠٢)، الجغرافيا السياسية، مطبعـة البهجـة، اربـد، ط١، الأردن، ص ٣٢٣-٣٢٤.

٤. المصدر السابق، ص ٣٢٥.

٥. المصدر السابق، ص ٣٢٦-.٣٢٧

٦. Taylor and Johnston. OP. Cit. PP ٣٧١-٣٨٠

٧. Peter and Colin. OP. Cit. PP ٢٤١-٢٤٢

٨. Johnston, R.J. (١٩٨٠) "Electoral geography and political geography", Austrahan Geographical Studies ١٨. PP. ٣٦-٥٢

٩. Peter and Colin, OP. Cit. PP. ٢٤٣-٢٤٤

١٠. Coulter, P. (١٩٧٥) . social Mobilization and Liberal democracy, Lexington, . Lexington, MA.PP٧١-١٥٠.

١١. Peter and Colin. OP. Cit. P ٢٤٦

١٢. Smith, A.D. (١٩٨١) the Ethnic Revival in the Modern World, Cambridge University Press, PP. ٣٠-٣٦

١٣. Peter and Colin. OP. Cit. PP ٢٤٨-٢٤٩

١٤. OP. Cit.PP ٢٤٦-٢٤٩

١٥. OP. Cit. PP ٢٤٩-٢٥٠

١٦. Johnston, R.J. ١٩٧٩. OP. Cit. PP. ٢٠-٤٠

١٧. Peter and Colin, OP, Cit. PP. ٢٥٢-٢٥٣

١٨. OP. Cit. PP ٢٥٣-٢٥٤

١٩. OP. Cit. P ٢٥٤

٢٠. Op. Cit. PP. ٢٥٧-٢٥٩

٢١. قاسم دويكات، مصدر سابق، ص ٣٢٨-٣٤٠

Peter and Colin. OP. Cit. P ٢٥٩

٢٢. Archer. J. C. and Taylor. P. J. (١٩٨١)OP. Cit. PP. ٨٠-٩٠

٢٣. حسان خصاونة (٢٠٢)، الاتجاهات المعاصرة في الأنظمة الانتخابية، مجلة رسالة مجلس الأمة الأردني، المجلد الحادي عشر، العدد ٤٥، ص ٥٢-٥٦.

الفصل السابع

الجغرافيا السياسية للمحليات

الجغرافيـا السياسيـة للمحليـات: Locality Politics

إن لكل محلية حالتها المنفردة في ذاتها، وعليه فإنه يصبح القول بأن العولمة لا تستأصـل التنوع البشري، وإنما تعيد ترتيب هذا النوع بشكل أو بآخر.

كل إنسان على سطح الكوكب، لا يشبه فيه إنسان آخر، فلكل شـخص صـفته الجسـمية، وخبرته الذاتية ونفسيته الخاصة واتجاهاته وميوله الخاصة، فلكل فرد تميز فريد، وهذا التميز لا يعني الانقطاع عن الآخرين، وبما أن الإنسان محكـوم بمحـددات مكانيـة - زمانيـة، فهـو في واقع الأمر يؤلف جماعة محكوم عليها في التعايش الجماعي عاكسة مجال الخبرة الفردية.

وبما أن الإنسان عضو في أمة - دولة، فهو عضو في منظومة الاقتصاد العـالمي، سـواء كـان منتجاً أو مستهلكاً على حد سواء. ويرى (برول) أن سلوكيات الأفراد اليومية تصوغ على المدى البعيد الأحداث العالمية القريبة منه أو البعيدة عنه.

وفي القـرن العشرـين أنصـبت الدراسـات التـي تناولـت خـبرة الإنسـان -(الدراسـات الاجتماعية والسياسية والجغرافية السياسية)- على الأفراد الحضر في المدن الكـبرى، وازدهـرت الجغرافيا السياسية للحضر في السبعينات من القرن العشرين أكثر من أي وقت آخـر، وبـذلك انتقص حق الأفراد في الأرياف في الدراسات والبحوث في القرن المـاضي لإبـراز خـبراتهم ومـدى مساهمتهم في تطور الحياة.

ورغم أن الميراث الإمبريقي عن الدراسات الحضرية كان في الخمسين سـنة الماضـية وفـيراً إلا أن العقم في تناول هذه الدراسات بالتفصـيل حـال دون ظهـور هـذه الدراسـات بالشـكل الذي يجب أن تستحقه.

دخل مصطلح البيئوية Ecology في أدبيات الدارسـات الجغرافيـة بمعنـى تحليـل المـادة العلمية، وعودة بنا إلى دراسة الميراث البيولوجي، لنقيم مـا ينطـوي عليـه مـن دلالات لبلـورة الجغرافيا السياسية للمحليات.

العولمة لا تعني بحال فرض صيغة نمطية على كل سكان الكرة الأرضـية. إلا أنهـا تنطـوي على تحولات في المحليات، مع التأكيد على أن لكل عولمة محلية

منفردة، فالعولمة لن تستأصل التنوع، وإنما تعيد ترتيب هذا التنوع، فالمحليات دائمة التغير والتحول، ولن تختفي من الساحة الدولية.

لذا تركز الجغرافيا السياسية على دور المحليات لفهم سياسة الدولة، والسياسة الدولية. محاولة الخروج بنظرية عن المحليات.

التطبع الاجتماعي في الحيز المكاني:

احتلت نظرية التطبع الاجتماعي السياسي مكاناً في العلوم السياسية، فالتطبع هو مفتاح الاستقرار لأي نظام سياسي فالدولة تسيطر سياسياً على رعيتها إما بالقهر وإما عن طريق الرضى الشعبي. وفي دول العالم محاولات للتوازن بين القهر والرضى الشعبي يتفاوت هذا التوازن وفقاً لأحوال الاقتصاد العالمي وانعكاساته على جميع دول العالم.

في دول المركز تحاول الدولة بيع سياستها على الرعية عن طريق الرضى الشعبي لتربية النشء على مفاهيم التطبع الاجتماعي السياسي، من خلال: الأسرة، والمدرسة الرسمية وغير الرسمية، ووسائل الاتصال والإعلام كي تترسخ المبادئ السياسية المرغوب فيها في ضمائر الشعب، وتعزز ذلك بالاقتصاد المريح، وتوزيع الثروة على جميع أقاليم الدولة، ومكافحة الفقر، وتقديم يد المساعدة لمن ليس لديهم عمل، بمعنى آخر توفير المتطلبات المادية لجميع فئات الدولة.

يرى (رنسون) أن وضع أسس نظرية عالمية في علم الاجتماع السياسي يحتاج إلى الوقوف على خبرات الأفراد في محلياتهم ينتج عنها عمليات محددة تتضح في مواقف اجتماعية واقعية. هذه العمليات أطلق عليها (آثار صلة التجاور) التي لا تؤدي إلى نتائج مهمة في العمليات الانتخابية، بل يرى تيلور وجونستون أنها لا تعدو أن تكون هامشية في تأثيرها في بعض الانحرافات وقت الاقتراع، بحيث يمكن إهمالها في حساباتنا. إلا أن الواقع يشير أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال إلغاء آثار صلات التجاور[1].

أجرى (آلمي) دراسة لـ٥٥ استفتاءَ حول أنماط الانتخابات في ١٨ مدينة في الولايات المتحدة الأمريكية للفترة ما بين ١٩٥٥-١٩٧٣، اشتملت هذه الاستفتاءات على بعض القضايا مثل: الموقف من إضافة مادة الفلورين إلى مياه الشرب، ثم

أجرى مقارنة بين نتائج الانتخابات، وبين المستوى الاجتماعي والاقتصادي للناخبين، ليقف على ما أطلق عليه "التلاحم الانتخابي" بين طبقات المجتمع. هادفاً من مقارنته لبيان إذا كانت الدوائر الانتخابية المتشابهة في النواحي الاجتماعية والاقتصادية تصوت متضامنة برأي واحد عند الاستفتاء على القضايا المطروحة للبحث والدراسة. وقد خرج (آلمي) بالنتائج الآتية[٢]:

أن تسع عشرة دائرة تفصح عن درجة بسيطة من التلاحم في الرأي.

أن ستا وثلاثين حالة أبدت درجة عالية من التماسك.

وقد أرجع (آلمي) أسباب التفاوت في درجة التلاحم والتماسك، إلى أن المدن التي تتألف من أحياء متفرقة تظهر مستويات عالية من التلاحم وقت الانتخابات، مقارنة في المدن ذات الأحياء السكنية المتلاحمة؛ أي أن قوة صلات التجاور في المدن ذات الأحياء السكنية المتفرقة أوضح منها في المدن ذات الأحياء السكنية المتلاحمة. إذ أظهرت١٦ حالة من أصل ١٩ حالة التي أبدت نسبة منخفضة من التماسك الإيجابي، أنها من المدن ذات الأحياء المتلاحمة. وبالمقابل فإن ٣١ حالة من أصل ٣٦ التي أظهرت نسبة عالية من التماسك الانتخابي، قد جاءت من المدن ذات الأحياء السكنية المتباعدة. هذا يعني أن الهيكلة المكانية للمدن تؤثر على سلوك الاقتراع من خلال صلات التجاور.

لجأ بعض الباحثين لقياس مؤثرات التجاور بين سكان المحليات إلى تقصي الحالات الفردية، فقد أجرى (فيتون) مسحاً لتقصي الحالات الفردية للتعرف على المؤثرات بين سكان المحليات لسبع وثمانين من الناخبين في ثلاث من شوارع منشستر في بريطانيا على أثر انتخابات عام ١٩٧٠. حيث توصل إلى نتيجة مؤداها، على أنه هناك تعاطف البعض مع حزب العمال، مراعاة لخواطر جيرانهم الموالين لحزب العمال. إلا أن الجدل السياسي في هذه الشوارع لا يوحي بأن هناك تأثيراً أو تعاطفاً مع حزب العمال، وهذا مؤشر على أن أغلب الناخبين يحصلون على معلوماتهم من وسائل الإعلام. ومن الصعب المقارنة بين أثر كل من عامل التجاور وعامل وسائل الإعلام خاصة عند اختيار رئيس الدولة.

وقد أرجع (دنليفي) الانحرافات في أصوات الناخبين إلى قضايا تتصل بالخدمات والإسكان والمواصلات.

إلا أن الرجوع إلى دراسة عامل التطبع الاجتماعي السياسي كما يرى (مليبناند)، يفسر لنا ما يتعرض له الناخب من المهد إلى اللحد من تـأثيرات مثـل صـلات التجـاور، وصـلات القـربى خصوصاً الأب، وخبرات الفرد واتجاهاته السياسية، وقد لوحظ أن الولاء لحـزب معـين يبقـى مع الفرد من المهد إلى اللحد تقريباً[٣].

فالدول الديموقراطية شهدت أنماطاً ثابتة من التصويت في الجغرافيـا الانتخابيـة، بمعنـى بقي ولاء الفرد لحزبه لسنوات طويلة، لكن التغير والتذبذب هو من صفات الناخب في الدول الفقيرة وغير الديموقراطية.

يحدث التصدع في التطبع الاجتماعي عندما تتغـير سياسـية الحـزب، بحيـث تصـبح غـير متساوية مع أهـداف النـاخبين، وغـير موائمـة مـع مصـالح المحليـات مـن أصـحاب الأصـوات المعتادة. هذا التحول أوضحه (لويس) في أصوات الناخبين في مدينة فلنت بولايـة ميشـجان في الولايات المتحدة الأمريكية في الثلاثينات من القرن العشرين فلقد كانت الأحياء التـي يقطنهـا السود من المؤيدين للحزب الجمهـوري، فهـم أصـلاً يصـوتون (لإبرهـام لنكـولن) الـذي حـرر السود من الرق وظلم الرجل الأبيض، ثم تحولوا فيما بعد لمـؤازرة الحـزب الـديموقراطي بعـد صدور وثيقة الوفاق الجديد New Deal[٤].

وهناك أمثلة أخرى على تحول ولاء الانتخابات من حزب لآخر، ففي دراسـة لجريجـوري ١٩٦٨ في بريطانيا، فقد لاحظ أن ولاء عمال المناجم في بريطانيـا قبـل الحـرب العالميـة الأولى، كان لحزب الأحرار، ثم انحاز لحزب العمال في عام ١٩١٨، ويرجـع التحـول إلى جهـود نقابـات عمال المناجم وصلاتهم الوثيقة بحزب العـمال منـذ سـنة ١٩٠٧، بالإضـافة إلى عوامـل تـرتبط بالتقاليد الراديكالية السائدة بين العمال في مواقع العمل بسبب الظروف القاسية التـي كـانوا يعملون في ظلها.

إن آثار صلات التجاور تمثل ما هو أبعد من العلاقات الفرديـة، وهـي ليسـت مـن نتـاج الاتجاهات السياسية للأفراد؛ لذا فالمحليـات هـي الأمـاكن التـي تـتم فيهـا عمليـات التطبـع الاجتماعي الذي يتجاوز الولاء لحزب معـين. والتطبـع ينطـوي عـلى أيـديولوجيات في ضـمائر الناس، وفي المبادئ القومية التي يتطبع عليها الأفراد من المهد إلى اللحد. لذا فتعـدد الثقافـات السياسية في أرجاء المعمورة هي الأصل الذي يتعين عـلى الأحـزاب السياسـية في بلـدان العـالم أخذه بعين الاعتبار.

فالأفكار التي تسود في مجتمع ما إنما هي أفكار الطبقة الحاكمة، فالدول التي تنتج سياسة اقتصاديات السوق (الرأسمالية) يؤكد عليها أفراد المجتمع، مثلاً في بريطانيا تسود أيديولوجية تساند النظام الرأسمالي. ويمكن أن تعبر الدولة عن أيديولوجيتها إما بقبول ما هو سائد، وإما بالتطلع إلى الأفضل. وقد وجد أن الشعب البريطاني أقل من الشعب الأمريكي في تطلعاته إلى الأفضل[٥].

يمكن القول أن جميع دول أوروبا الغربية التي تتمتع باستقرار سياسي، يسود فيها أيديولوجيات خليط متنوع من القيم، مثل التسامح والتطلع إلى الأفضل ومعايشة الآخر، هذه القيم تتوقف على استمرارية تبني الطبقة الحاكمة لهذه القيم، إلا أن مجرد منادادة الولايات المتحدة الأمريكية بعد ١١ أيلول من عام ٢٠٠١ بقيم جديدة مثل معادات الأنظمة والشعوب التي لا تراها الولايات المتحدة سائره بفلكها، أيدت الدول الغربية مثل هذه الأفكار. وأن قيام فرنسا بمنع الحجاب في مدارسها الرسمية عام ٢٠٠٤ له مؤشر على بداية التعايش مع الغير والتسامح مع ثقافات الشعوب ومعتقداتها.

يرى (لوكوود) أن الفرد يتأثر ببيئته المحلية بشكل ملموس، فقد ربط (لوكوود) بين القيم البديلة وبين "نقطة الفرصة المواتية للفرد في الوسط الذي يحيط به". وذلك من خبرات الفرد في بيئته المحلية. وقد حدد (جيسون) ثلاثة أنماط في محيط الفرد هي[٦]:

أ. الوسط الصناعي في المدن، فالعلاقات الفردية هنا رسمية، فيؤدي إلى ظهور قيم خاصة بهذا المجتمع.

ب.الوسط الريفي الزراعي مع بعض الصناعات الحرفية اليدوية الصغيرة، حيث يسود العلاقات الشخصية بين الأفراد، فتظهر قيم هنا فيها التسامح تجاه الرأي الآخر.

ج. وسط سكان الضواحي، يسود فيها المنافسة في الاستهلاك، ويتولد عند هذا الوسط التطلع إلى ما هو أفضل.

إن فهم ما يجري في السياسة العالمية بشكل عام والبريطانية والأمريكية المعاصرة بشكل خاص لا يأتي بأي حال من الأحوال على أساس مكان سكن الناخب أو أثر البيئة المحلية التي يعيش فيها الفرد، وإنما من خلال فهم نشاط

الأحزاب السياسية المتنافسة في تعبئة الجماعات التي تتبنى قيماً مخالفة للقيم السائدة في المحليات المتعددة. فمثلاً في بريطانيا من المألوف والمتعارف عليه أن المناطق الصناعية موالية لحزب العمال، ومناطق الريف موالية لحزب المحافظين، وبذلك تكون الساحة الحزبية المتنافس عليها بصورة جدية هي أوساط الجماعات التي تتبنى قيماً واتجاهات تتطلع إلى حال افضل من الوضع القائم، سعياً وراء كسب أصواتها لأنها المرجحة لكفه ميزان الانتخابات[٧].

المكـان و المعارضـة: Locality and Protes

ما يتحكم بالنشاط السياسي في معظم دول العالم ليس فقط الأيديولوجيات، بل البيئة المحلية أيضاً لها أثرها، كما أثبت ذلك عدد من الباحثين. فقد درس (Tilly) أشكالاً من المعارضة وهي تتحول من جهة إلى جهة بدءاً من ظهور منظومة الاقتصاد العالمي حتى قيام الدول الديموقراطية الليبرالية. فخلص إلى أن دوافع المعارضة ترجع إلى عدة قضايا هي[٨]:

أ. القضايا المادية.

ب. أهداف المنظمات والمؤسسات.

ج. تعبئة الرأي العام.

ويرى Tilly أن المرتع الخصب للمعارضة تكون وسط الكتل الجماهرية الكادحة المنعزلة في المناطق الصناعية وتجمعات العمال والمناجم والموانئ أي عند تزاحم الأقدام والحالة المادية الأقل من الوسط.

إلا أن الدراسات والبحوث دللت على تأثير المحليات في القنوات السياسية للدول، فالظروف البيئية للصناعة تنعكس وفق طبيعتها على مجريات العلاقات الاجتماعية والمواقف السياسية، فقد خلص (Read) إلى أن مدينتي برمنجهام وشفيلد من المدن المتحدة في الرؤية السياسية بينما مدينتي مانشستر وليدز تقعان ضمن المدن المتحزبة اجتماعياً[٩]. وفي دراسة (فوستر) حول انعكاسات البنية الاجتماعية المحلية على النشاط السياسي، في مقارنة بين مدن: أولدهام، ونورثهامتون، وسوث شيلدز، أوضح فيها أثر المكان في العلاقات الاجتماعية وهي آثار ملموسة.

المعارضـة وحجـم المكـان: Protest and Size of Place

لا شك أن لحجم المدن مساحة وسكاناً دوراً هاما في النتائج والأرقام لعدد الأصوات التي تحرزها الأحزاب السياسية، فعدد السكان في المدن يمثل متغيراً هاما في نتائج الانتخابات. فقد كانت نتيجة دراسة (بينيت وايرل) التـي أجراهـا في بريطانيـا والولايـات المتحـدة عـلى النحـو الآتي(١٠):

١. في المقاطعات التي يقل عدد سكانها عن ٨٥ ألف نسمة جاء معامل الارتباط إيجابياً بـين عدد السكان ونسبة التصويت لصالح الاشتراكيين.

٢. في المقاطعات التي يزيد عدد سكانها عن ٨٥ ألف نسمة جاء معامل الارتباط سلبياً.

هذا يعنـي أن الحـزب الاشـتراكي في بـدايات القـرن العشرـين في الولايـات المتحـدة كـان يحصل على أصوات أقل في المحليات الصغيرة والكبيرة، إما المقاطعات المتوسـطة الحجـم فقـد كانت متعاطفة مع الاشتراكيين. ويرجع جوردون ذلك إلى الروابط الاجتماعيـة والأسريـة التـي اجتمعت لمواجهة الهيمنة الرأسمالية.

وفي دول الغرب القوية يجري في الوقت الحاضر تكسير أنياب النقابات العمالية، ففقدت الكثير من سطوتها وأهميتها السياسية والإعلامية والحزبية، بل هناك موجة من تخفيض أجور العمال في الدول الغربية وتهميش دور العمال في سياسة الأجور، مما جعـل رأس المـال الكبـير والصـناعات العملاقـة (تلافيـاً للاضـطرابات العماليـة) يتجـه للهـرب مـن دول المركـز إلى دول الأطـراف. فمـثلاً معظـم الصـناعات الكبـيرة في الولايـات المتحـدة وبريطانيـا وغيرهـا أقامـت صناعات كبرى لها في كوريا والمكسيك وإندونيسـيا جريـاً وراء أجـور عماليـة زهيـدة، وأربـاح خيالية، وسيطرة اقتصادية وسياسية على دول الأطراف، فمثلاً أقامت دول أجنبية صناعات في المدن الأردنية مثل مصانع مدينة الحسن في مدينة اربد وكذلك الصين وتـونس وغيرهـا. هـذه الصناعات توسعت بعد عام ٢٠٠٤ وذلك لرخص الأيدي العاملة وشيوع الأمن.

التخطيط من أجل التناغم: Planning for harmony

لا شك أن رأس المال هو أساس إقامة الصروح الصناعة العملاقة في دول العالم الغنية والفقيرة على حد سواء، وهو أيضاً المسؤول عن عدم إقامتها أو هدمها في أي مكان في العالم هذه الحقيقة نبهت الدول الغربية الصناعية الكبرى وجعلتها تتبنى سياسة رأسمالية جديدة، وهي تخطيط المدن بهدف تثبيت دعائم التمازج الاجتماعية وترقيته خوفاً من حدوث فصل بين طبقات المجتمع، والذي يتضح في سوق الإسكان والإيجارات، فقل لي أين تسكن أقل لك من أنت.

فسياسة تخطيط المدن تؤدي إلى التمازج الاجتماعي، والذي من ثماره: رفع سلوكيات أفراد الطبقات الدنيا من المجتمع لمحاكاة جيرانهم الأسعد حظاً من الناحية المادية، ليسود السلام الاجتماعي، وتخف حدة الحسد والتوتر والقلاقل. بل يسعى مخططو المدن إلى إعطاء فرص متكافئة لجميع أفراد الطبقات بالتساوي، وتمكين الفقراء من توليد قيادات منها، ومحاكاة أهل اليسر في المدينة، مما يعني اختزال المشكلات الاجتماعية إلى أدنى مستوى لها. هذه الأفكار طبقت عملياً من قبل جورج كادبوري الذي قام ببناء حي بوزنفيل في مدينة برمنجهام في ثمانينات القرن التاسع عشر، ليحقق التمازج الاجتماعي في هذه البقعة لبناء مجتمع متوازن. وتبعة إبنزير هوارد بتبنيه فكرة إقامة المجتمع المتوازن في المحليات، بهدف الإصلاح عن طريق المسالمة، وتقوم فكرته على إقامة أحياء متفرقة في المدن، ولا يحبذ فكرة الاندماج الكامل لهذه الأحياء في المدن المقامة بضواحيها[١١].

هذه الأفكار لقيت رواجاً في بريطانيا بعد الحرب العالمية الثانية، خاصة أن التضحية بالنفس والدماء والمال من اجل بريطانيا وقت الحرب العالمية الثانية جاء من قبل أفراد من جميع الطبقات، مما عزز فكرة إعادة هيكلة المدن التي نادى بها هوارد "المدن المزينة بالبساتين". وقد قامت هذه المدن الجديدة في كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، حيث يتمتع جميع الأفراد بالفرص المتكافئة، وهي من منجزات الدول الديموقراطية الحرة، وهي الدول التقدمية في العالم[١٢].

هذه الأفكار تهدف إلى إيجاد مواقع للسكن يسود فيها السلام والتناغم الاجتماعي، إلا أن الواقع يشير أن هذه الأحياء أصبحت عالة على المدن، وجزءاً من مشاكل المدينة العصرية المعاصرة فمعظم مدن العالم المليونية مثل القاهرة

ونيويورك وبكين وإسلام أباد وطوكيو وبغداد تضم أحياء من الصفيح يقطنها الفقراء.

يبقى الجدل حول آثار التجاور محل استفهام؟، فقد رأى (جونستون) أن هناك تأثير للمحليات في التصويت. إما (مارك ألستر) فقد رأى أن متغيرات المحليات ليست مطلوبة لفهم عملية التصويت، هذا الخلاف مرده: أن الجغرافيين مثل (جونستون) يهتم بتأثير الموقع الجغرافي في العملية الانتخابية. بينما يهتم علماء السياسة مثل (مارك ألستر) بالمتغيرات السياسية وتأثيرها على الدولة ككل بما فيها الانتخابات. هذا الخلاف ولد نظرية سياسية للمحليات جمع بين طرفي الجغرافيين والسياسيين. حيث تبنت النظرية السياسية للمحليات مبدأ مشاركة سكان المحليات في الأمور السياسية ، فهم ليسوا رعايا نائمين، همهم شؤون محلياتهم، فلديهم الإمكانات لجعل محلياتهم أرضية صالحة للوصول إلى أهدافهم[١٣].

إن دراسة آثار التجاور في المحليات من وجهة نظر الجغرافيا السياسية أدى إلى بروز أنماط الانتخابات على حساب عوامل أخرى في الأنشطة السياسية. فقد ميز (سافيج) بين السياسات العملية Practical politics والسياسات الرسمية التي تعلنها الأحزاب. إذ تقوم السياسات الرسمية للحزب على التنافس للوصول إلى رأس الدولة. إما السياسة العملية Proctical Politics فتقوم على تلبية أماني الشعب[١٤].

إن الثقافة السياسية الراديكالية لا تكفي لشرح ما يطرأ من تبدلات سياسية بين دول العالم. فليس هناك دولة على خريطة جغرافية العالم السياسية في منأى عما يجري على الساحة العالمية من أحداث وتماما مثل سياسات الدول فهي في تحولات سياسة كبرى فمثلاً دخلت إسبانيا الحرب مع الولايات المتحدة لاحتلال العراق في عام ٢٠٠٣، إلا أنها في عام ٢٠٠٤ أعلنت انسحابها من العراق. فالتقلبات في الاقتصاد العالمي صعداً ودنواً يسفر عادة عن تبدلات وتحولات سياسية تؤثر على مخططات السكان المحلية، وإما أن يكون انعكاساً سلباً أو إيجاباً. بل يؤدي إلى تحولات كبيرة في مجريات السياسات المحلية، إذ أن الأحزاب المحلية تنتهج أيضاً سياسات مختلفة من حين لآخر، وذلك وفق متطلبات المصلحة والظروف. فالسياسات الجديدة تكون على المستوى المحلي والقومي والإقليمي والدولي فالموقف الإسباني الجديد من احتلال العراق يعد سياسة إسبانية جديدة محلياً وإقليمياً وعالمياً

لقي ترحيباً محلياً (من إسبانيا) وإقليمياً (من أوروبا) وعالمياً من الـوطن العـربي وبـاقي دول العالم.

إن ربط المحليات بالأحداث السياسية العالمية يكمن في تفهم درجـة التفـاوت في مجـال التنمية من دولة لأخرى. هذا التفـاوت يـؤدي إلى وجـود محليـات غنيـة وأخـرى فقـيرة. لـذا فانتعاش المكان أو المحلية أو انهيارها يتوقف على درجة التنمية. ومـن الـنماذج التـي توضـح هذه الصلة نموذج (دورين ماسي) والذي يتلخص بأن كل مرحلة انتعاش في الاقتصـاد العـالمي تمثل دورة في مجال الاستثمار. هذا الاستثمار يكون في مكان بعينـة، فكـل محليـة تملـك مـدى معين من الاستثمار كما يحدده الاقتصاد العالمي. والمكان يمر في دورات فتور وكساد أيضاً. هذا يعني أن المسار الاقتصادي في أي مكان أو محلية يمر في انتعاش أو كساد.

يبقى هم المحليات مسايرة ما يظهر لهم من تقلبات في الاقتصاد العالمي، وانعكاسه على أحوال محليتهم. فالتفاعل بين الثقافات السياسية المحليـة ومتغـيرات الاقتصـاد العـالمي واقـع نلمسه في دول العالم. لكن التفتيش والوقوف على الممارسات الفعلية والعملية للسياسـات في المحليات تكمل أمامنا الصورة الحقيقية.

وضع (هيرشمان) نموذجاً بين فيه سبل المعارضة في المحليات في شكل ثلاثية من: الهجرة، أو الاحتجاج أو الولاء. هـذه الأشـكال اسـتجابات كـردود فعـل للمشـكلات التـي يعـاني منهـا السكان في المحليات. فالهجرة هي الأكثر شيوعاً، وتعمـل الهجـرة عـلى إنعـاش موقـع جديـد، ومعاناة للمنطقة الطاردة للسكان. إما الولاء فيتم خوفاً من كون الهجرة إلى موقع جديـد قـد يؤدي إلى إحباط وتوجساً من عواقب لا يحمد عقباها مسـتقبلاً. إمـا الاحتجـاج العلنـي فهـو معارضة تسعى إلى الحيـاة الأفضـل. ويضـيف (جونسـتون) ثلاثـة أشـكال للمعارضـة المحليـة هي[١٥]:

١. الاحتجاج من خلال القنوات الرسمية.

٢. التظلم لدى القضاء.

٣. الاحتجاج المنظم، أي توسع دائرة المعارضة لتشمل الرأي العام من خلال التماس الجهات المسؤولة أو عقد الاجتماعات العامة للتعبير عن الرأي، أو تنظيم المسيرات أو الاعتصـام. هذا الشكل من ممارسات الاعتراضات عرضة للتحول مع مرور الزمن واختلاف المواقع.

أن للمحليات سياسات عملية مختلفة، ويرد (سافيج) ذلك إلى ان البنية الاجتماعية لكل محلية تفرز سياسة محلية خاصة بها، بسبب الفروق في نمط الصناعات المحلية. مثلاً تتيح ورش الحرف اليدوية جواً من التفاهم والتآزر بين العاملين فيها، فيقتربون من سياسة عملية واحدة. وبالمقابل فإن العمال في المصانع الكبرى يتعرضون لإصابات بليغة تدفعهم إلى مؤازرة الدولة لتأمين حياتهم[١٦].

خرج سافيج ١٩٨٧ عن التفاعل في البنية الاجتماعية للمحليات، وما ينتج عنها من سياسات ترسم لنا صورة سياسات متنوعة على مساحة عريضة من المحليات. هذه الصورة لسافيج توصل إليها من واقع الأمور في بريطانيا. إلا أنها قد تكون قابلة للتطبيق على بعض دول العالم.

سياسات بديلة للمحليات: Altemative Politics of Location

تبنى السياسة العملية Proctical Politics للمحليات على أفكار ومعتقدات الأسر وهنا لا بد من فهم دور رأس المال في المحليات، فأصحاب رؤوس الأموال يأخذون المحليات في اعتبارهم، لأنهم يضعون أموالهم بين أيدي سكان المحليات. وتتبلور الاستراتيجيات العملية لرأس المال في ثلاثة اختيارات هي [١٧]:

١. إما مواجهة المنافسين من أصحاب رؤوس الأموال.

٢. وإما بنقل الاستثمارات إلى محلية أخرى تحقق لهم دخلاً أفضل.

٣. وإما إقامة ائتلاف رأسمالي في المحلية. أطلق عليها (كوكس ومير) "اقتناص الفرصة المواتية عندما تتعزز جدواها في محلية معينة"[١٨].

إن استراتيجية إقامة ائتلاف رأسمالي في المحلية هي شائعة في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث يتم تشجيع استثمارات رأس المال في المحليات عن طريق سن القوانين التي تحول دون الاحتكار. وذلك بتوفر البنوك والخدمات.

يعتقد كوكس أن ما يجري الآن هو صورة من صور الهيمنة الرأسمالية الإقليمية في المحليات، هذه السياسة تتمشى والوضع الاقتصادي المحلي والعالمي. هذه السياسات المحلية تستدعي تناول الممارسات السياسية الأكثر رسمية، والدولة المحلية.

الدولـة المحليـة: The Local State

يقصد بالدولة المحلية الأقاليم أو المحافظات التي تشكل الدولة، إذ تتوزع المؤسسات في الدولة على أكثر من نطاق جغرافي على مستوى المحليات، من تعليم وصحة وإسكان ووسائل نقل...الخ. هذه الأنشطة هي الدولة المحلية، وللدولة أيضاً أنشطة على المستوى الشامل لها يطلق عليها أنشطة الدولة المركزية.

ولأن الدولة العصرية تختلف في مفهومها عن الدولة القديمة، إذ إن الدولة العصرية لا تعني السيادة الكاملة، لذا يفضل بعض العلماء مصطلح الحكم المحلي كبديل للدولة. إلا أن مصطلح الحكم أو الحكومة يعني تطبيق السلطة في المحليات. إما مصطلح الدولة يعني سلسلة من العلاقات الأكثر شمولاً، تتبلور وتتركز من خلالها السياسة الرسمية للمحليات. لذا من المفترض أن نتحفظ على مصطلح الحكم المحلي كونه لا يحل محل مصطلح الدولة على المستوى السياسي. من وجهة نظر منظومة العالم الاقتصادية توجد دولة محلية لها طبيعة خاصة (طبيعة الدولة المحتلة the Nature of Local State) داخل الدولة القومية، يتضح ذلك عندما نتناول بالدراسة والتحليل جانبين في الدولة العصرية هما[١٩]:

١. إن مؤسسات الدولة تتألف من بيروقراطية واسعة المجال والنشاط في الدولة، تعمل من خلال دوائر منتشرة في جميع أرجاء الدولة على شكل بنية هرمية، إذا أن اللامركزية في الإدارة أكثر كفاءة من المركزية، وعلى سبيل المداعبة يقال: إن العاصمة ليست في حاجة إلى أن تشير على المدن الإقليمية وغيرها من المحليات بكيفية التخلص من القمامة فيها.

٢. تحتاج الحكومة في كل الدول لكي تقوم بواجبها إلى الشرعية، وبالمقابل على الدولة الاعتراف بدور المحليات في الاضطلاع بإدارة شؤونها بنفسها. هذه الشراكة بين الحكومة والأهلية أصبحت سمة الدول العصرية، وهو ما نطلق عليه بالدولة المحلية Local State. لذا فشكل الدولة المحلية يتوقف على هذين الجانبين من مكان وزمان. إما من الناحية النظرية فإن طبيعة الدولة المحلية the Nature of Local State تبقى ثابتة كما هي.

تعمل الدولة على المستوى العام، والدولة المحلية على المستوى المحلي. ففي المركز نجد سياسة الطبقة الحاكمة وقوامها قضايا الإنتاج، إما في الدولة المحلية فنجد سياسة الحد من الاستهلاك عبر الفواصل الطبقية، وما يهم المركز هو تراكم رأس المال في الوقت الذي ترتكز فيه الدولة المحلية على مشروعية هذه المتطلبات. إذاً فالتوتر بينهما أمر مقبول. هذه النظرة الثنائية واجهت رفضاً ونقداً من بعض الكتاب[٢٠].

يرى (كيربي) أن الدولة المحلية يكتنفها الغموض من حيث المهمات الملقاة على عاتقها. فهو وضع سياسي غريب، فهي واقعياً جزء من الدولة وقد تشكل يوماً ما معارضة ضد الدولة. فهي سيف ذو حدين[٢١]. إن التفاوت في درجة التنمية من محلية لأخرى داخل الدولة هو الذي يتيح المجال للدولة المركزية لتنظيم وكلاء محليين يتولون إدارة شؤون محلياتهم، وفق متطلباتهم المتباينة، بمعنى أن مصالح حكومة المركز قد لا تكون متوافقة مع مصالح المحليات، فيتولد سياستان غير متوافقتان الأولى للمركز والثانية للمحليات. وتلكم السياسة المحلية المناهضة لسياسة المركز هي التي تميز مفهوم الدولة المحلية على وجه التحديد[٢٢].

ليس من السهل تطابق دور الدولة المحلية كأداة Local State as instrument للدولة من ناحية، ودورها كأداة للمحليات بمعنى أن الصدام بين المستويين حاصل في يوم ما. مثلاً عدم التوافق والتوتر بين الدولة المركزية والدولة المحلية واضحة في السياسة البريطانية منذ ١٩٨٠ وحتى الوقت الحاضر فقد وعد حزب المحافظين ناخبيه بخفض الإنفاق الحكومي العام، بينما تبنت مجالس الحكم المحلي التابعة لحزب العمال معارضة التخفيض أو تقليص الخدمات العامة للشعب، نتج عنه توتر بين المركز والمحليات داخل أجهزة الدولة. هذا التوتر شمل النقل والتخطيط والإسكان والصحة والتعليم...الخ[٢٣] فمدن العالم الكبرى شهدت في عام ٢٠٠٤ اضطرابات عمالية في معظم الأنشطة الاقتصادية احتجاجاً على الحكومة المركزية.

وجاءت سياسة الحكومة المركزية لتنقل بعض صلاحيات المحليات للمركز مثلما حدث في التعليم والنقل والمواصلات والإسكان. لتقلم حكومة المركز أظافر السلطة المحلية. وإذا اشتد الصراع بين المستويين المركزي والمحلي قد تلجأ الحكومة إلى المركزية إلى إلغاء الحكم المحلي نهائياً، تم ذلك فعلياً في بريطانيا إذ ألغيت السلطات المحلية في سبع مدن، والتي كانت تمثل ساحة المعارضة لسياسة

حكومة المحافظين. إما في الولايات المتحدة الأمريكية، فأغلب الأحيان تكون السلطة المحلية في أيدي الطبقة الوسطى وذويهم للحيلولة دون تحرش السياسة المركزية بسياسة المحليات فمثلاً منطقة نيويورك وشيكاغو تحوي نحو ألف وحدة حكم محلي مستقلة. ولقد أورد (جونستون) [٢٤] بأن عدد المجالس البلدية ومجالس الأحياء في الولايات المتحدة الأمريكية بلغ نحو ٨٠ ألف وحدة، بمعنى وجود مجلس لكل نحو ٣٠٠ نسمة من السكان. هذا العدد الهائل من المجالس يرتبط بفكرة تقسيم المدن الكبرى إلى عدد من الضواحي والأحياء لضمان دقة الأشراف على الأراضي وطرق استغلالها. ففي قطاع كنيتيكت التابع لمدينة نيويورك مثلاً احتجز نحو ٧٥% من الأراضي على ذمة قطاع الإسكان، أي بواقع أربعة آلاف متر مربع لكل وحدة سكنية. هذه السياسة تمثل على أرض الواقع حقيقة الفصل الاجتماعي وهو سمة الصراع الطبقي في الولايات المتحدة الأمريكية، ففي الفصل المكاني تعفى الضواحي الغنية نفسها من دفع أي أموال لتطوير وسط المدينة[٢٥]. مع ذلك نجحت الضواحي (الدول المحلية) في أن تحافظ على هذه المكتسبات (العنصرية) في المرافعات أمام القضاء ضدها[٢٦] هذا التميز كان واضح في المدن الأمريكية في قضية التعليم في الفصل ما بين البيض والسود.

إن الصراع الحالي القائم بين الدولة على المستوى المركزي والدولة على المستوى المحلي في بريطانيا يعود إلى محاولات الحكومة المركزية إعادة هيكلة العلاقات بين المركز والمحليات[٢٧].

ففي كل فترة تتميز بالركود الاقتصادي لقاء هيكلة الدولة المحلية. إلا أن التحدي للدولة المركزية في لندن قد جاء من واحدة من ضواحي لندن London Borough في شكل تمرد شعبي تؤازره سلطة الحكم المحلي، هذا التمرد عرف باسم الانتفاضة الشعبية. فقد دعمت الحكومة المحلية فقراء الضاحية بشكل آثار حفيظة الحكومة المركزية. مما أجبر الحكومة المركزية للتدخل بالتغير والتبديل بالحكومة المحلية وتحت شعار "الصالح القومي فوق كل اعتبار" تم إلغاء السلطات المحلية كحل أخير، للحفاظ على المصلحة القومية العليا لبريطانية[٢٨].

ولكن ما هو الحجم الحقيقي للقوة التي تتمتع بها الدولة المحلية؟ وما هي الاحتمالات المتغيرة للصراع the changing potential conflict.

من الناحية الشكلية يمكن للحكومة المركزية التخلص من المحلية عندما ترى ذلك، وقد رأى كلارك أن للسلطة المحلية مصدرين هما: المبادرة في إنتاج سياسات جديدة، والحصانة من تسلط هيئات أعلى عليها. إلا أنه يمكن القول أن هناك ثلاثة أنماط من الحكم الذاتي[٢٩]:

١. في الدولة التي لا تمتلك بها المحليات المبادرة ولا الحصانة، فإن المحليات تخضع لسياسة دولة المركز.

٢. وحيثما توجد المبادرة والحصانة، تكون صورة دولة المدينة، ولكن هذا أمر لا وجود له في الواقع.

٣. وحيثما لا توجد مبادرة، ويوجد كياسة سياسية في تنفيذ سياسات الحكومة المركزية، يعود ذلك على المحليات بالخير.

والواقع أن درجات التنمية المتفاوتة في المحليات، تؤدي بالدولة المركزية لبسط نفوذها على جميع أراضي الدولة من خلال صور للحكم المحلي أو الذاتي، إما إلغاء الحكم المحلي بقرار من المركز لا يفلح في خفض التوتر في العلاقات بين المركز والمحليات.

نخلص من ذلك بالقول أن الدولة المحلية ليست مجرد وكالة للدولة المركزية، ولا أداة من أدوات المعارضة للمركز، وإنما هي هذين البعدين معاً، والمحليات تتساوق مع منظومة الاقتصاد العالمي، لأن العالم منظومة مركبة تتألف من الكثير من التناقضات، التي تنتج أزمات تصيب رجال السياسة بالتلون والارتباك.

ولهذا فإن الجغرافيا السياسية لهذا العالم المتداخل، وقعت في إرباك وتشابك وتداخل. هذا التشابك يمكن للجغرافيا السياسية تبديده لأنه بمقدورها أن تجعل لعالمنا دلالة ومعنى.

الجغرافيا السياسية للمدن العالمية: Political Geography of World Cities

ترتكز نظرية المحليات على مبدأ التنافس بين الأماكن. وفي إطار منظومة الاقتصاد العالمي يلاحظ أن هناك أماكن هي الرابح في هذه المنافسة حتى أنها

أصبحت مراكز التحكم للرأسمالية العالمية، والتي نطلق عليها تسمية المدن العالمية World Cities تتميز بصفات مشتركة هي[٣٠]:

١. تمتلك مراكز إدارة الشركات العالمية الكبرى.

٢. مراكز النظام المالي العالمي.

٣. مقر إقامة النخبة العالمية من المهنيين في قطاع خدمات الإنتاج عابر القارات. في مجالات متعددة مثل القانون، والإعلان، والتأمين...الخ.

٤. المركز الرئيسية للمكاتب العالمية، ويتضح هذا من سوق عقاراتها المحلية.

إلا أن هذه الصورة اللامعة يقابلها صورة قاتمة للمدن العالمية تتمثل في:

أ. الأجور المنخفضة للعاملين والمستخدمين.

ب. بروز طبقات إما أن تتمتع بالغنى الفاحش وإما بالفقر المدقع.

ج. هدف للإرهاب الدولي.

د. بؤر تعاني من الانحطاط الأخلاقي.

على أية حال، فالمدن العالمية تمثل قمة التطور "للعالم الأول" ولكنها تحمل في كثير من أحيائها ملامح العالم الثالث من تشرد، وسوق سوداء، وغش اقتصادي، وسرقات، ونصب واحتيال. هذه المدن العالمية هي عوالم صغيرة المساحة تضم أناساً يملكون ولا يملكون، مثقفون ومتعلمون وأميون، وأجناساً بشرية متنوعة في السلوك والمظهر والشكل واللون والعادات والتقاليد، يستتبع ذلك دوامة العنف والحقد والكراهية والجريمة والتطرف والعنصرية. مما يوحي بأن عالمنا الحديث عالم أجرام وغير مستقر. وتبقى هذه المحليات (أي المدن العالمية) تقف كمحليات ذات خصوصية، في جميع مجالات الحياة الأسرية والاجتماعية والاقتصادية.

قدم جون فريد مان إطاراً عاماً للروابط بين الحضر ـ والعولمة، أو كما يطلق عليه بين المحليات ومنظومة الاقتصاد العالمي، قدم سبع نظريات هي[٣١]:

١. نظرية التكامل: وهي تقول أن هناك محددات تواجه كل مدينة أو محلية، تتوقف على طبيعة تكاملها مع نظام تقسيم العمل على الساحة الدولية.

٢. نظرية الهرمية، أي أن بعض المدن تمثل نقاط (مراكز) لرأس المال، هـذه المـدن تنـدرج في ترتيب هرمي كمراكز تحكم وهيمنة فمثلاً تعد مدينة نيويورك العاصمة المالية للعالم.

٣. نظرية الإنتاجية، بمعنى أن لكل مدينة وظيفة تتمثل في بنيـة هـذه المدينـة الاجتماعيـة- المكانية. من حيث وضعها كمحلية من المحليات.

٤. النظرية التراكمية، أي تراكم رأس المال العالمي في بعض هذه المدن.

٥. نظرية الهجرة، وهي أن تلعب هذه المدن دور المغناطيس الجـاذب للمهـاجرين، ليظهـر التنوع لعرقي في هذه المدن العالمية المظهر والمخبر مثل باريس ولندن ونيويورك وبرلين.

٦. نظرية الاستقطاب: التي تقول بأن التنـوع البشري في هـذه المـدن يتفاعـل مـع النشـاط الاقتصادي للمدينة، لتغرز محليات خاصة، لها حدود مكانية بين هذه الأعـراق المتباينـة من البشر القادم من جميع بقاع الأرض فالمدن العالمية الكبرى تضم أحيـاء متباينـة مـن أمم مختلفة مثل الحي الصيني والحي العربي والحي المغربي والحي الهندي ...الخ.

٧. نظرية التكلفة الاجتماعية، أي أن تدفق البشر إلى هذه المدن يشـكل عبئـاً فـوق طاقتهـا المالية المحلية، الأمر الـذي يـؤدي إلى ظهـور المشـاكل والمصـاعب والقلاقـل للسـكان، في الوقت الذي يبقى فيه رأس المال المهيمن في منأى عن تلك القلاقل.

فالمدن العالمية مدن يتمثـل فيهـا المفهـوم السـياسي - الاقتصـادي، فالسياسـة والاقتصـاد شقين لحبة واحدة. ويرى (فريد مان) المـدن العالميـة بأنهـا صـاحبة موقـع بينـي يجمـع بـين منظومة الدولة ومنظومة رأس المال العالمي. ويصـف (بـرودل) المـدن العالميـة بأنهـا بالفعـل مراكز بيوت المال العالمية ابتداء من مدينة إنتورب، ثم جنوة، ثم أمستردام. إمـا مـدن القـرن العشرين فقد شـهد العـالم مـدناً عالميـة جديـدة، ولكنهـا مرتبطـة ببنيـة الدولـة مثـل: لنـدن العاصمة الإمبريالية لبريطانيا ووريثتها مدينة نيويورك الأمريكية.

ومع سعي المدن العالمية للاستقلال بصورة أو بأخرى عن الدولة الإقليمية، فإنهـا تـدخل لعالم الجغرافيا السياسية، فمثلاً تتوقف الأحوال المالية في دول أوروبا

الغربية على القرارات التي يتخـذها بنـك "بنـدزبنك" Bundes bank في مدينـة فرانكفـورت الألمانية. ولا يسمح البنك حتى الحكومة الألمانية بالتدخل في سياسة هذا البنك العملاق.

إن خريطـة المـدن العالميـة الهرميـة في تـدرجها (الهايرياركيـة) تطغـى في الأهميـة عـلى خريطة العالم السياسية. من حيث أهمية البنية المكانية في السياسة الدوليـة. هـذه الفلسـفة تتطابق مع وجهة النظر القائلة بوجود نظام اقتصادي عالمي حـديث،تلعب فيـه الدولـة دوراً أساسياً تكتمل به المنظومة. فالدولة مهمة، ولكن الدولة الرأسـمالية الماديـة لعالمنـا الحـديث، لن يبقى مهيمن على العالم إلى الأبد، لما يقوم به من جشع قاتل في استغلال الموارد الطبيعيـة، وما يجره ذلك من كوارث التلوث البيئي على كافة بقاع الأرض.

إن سحب البساط من تحت أقدام الدول الإقليمية يعطي الأمل في أن العالم مقبـل عـلى بدايات نقلة جديدة لها سياساتها الجديدة[٣٢].

إن معظم أبناء البشرية يرتبطون بالمكان الذي ولدوا فيه، أو أتوا منه، أو يعيشـون فيـه، هذا الشعور نحو المكان بالولاء شعور طبيعي فطري يولد مـع الإنسـان، وهـو سـمة الإنسـان الحضاري الطبيعي والسوي. والدولة تحاول التقليل من شأن تلك الولاءات المحليـة باعتبارهـا تهديداً للدولة. وعلى الرغم من ضآلة شأن المحليات السياسية الرسمية للدولة إلا أن الولاءات المحلية من الصعب إلغاءها، وقد تستمر في البقاء بدرجات. بمعنى أن ارتباط الشخص بوطنـه حقيقة واقعة. أطلق عليها (كوب) "الهوية المكانية".

يصـف الـبعض مفهـوم المدينـة والمجتمـع، والإقلـيم لا كمجـرد ظـواهر جغرافيـة، وإنمـا كفصيلة من الكائنات الحية الاجتماعية. وتوصف مدينة شيكاغو بأنها خضعت لكم هائل من البحوث، لا نجد لها مثيلاً في أي مدينة أخرى في العالم بحيث أطلق البعض "مدرسة شـيكاغو" فهي بحق من الأماكن التقدمية Progressive Places في العالم التي نالت أعـداداً كبـيرة مـن الدراسات والبحوث لما لهذه المدينة من أهمية محليـة في الولايـات المتحـدة، كمدينـة عالميـة تضم جماعات مهنية متعددة لها شأن محلي خاص من الحكومة المركزية.

النظرية البيئية: البعد السياسي الغائب: Ecological theory : the hidden political dimension

توصف المدينة بأنها كـائن عضـوي اجتماعـي، وعـلى أسـاس نظريـة دارويـن في التطـور "البقاء للأقوى" فإن أشد الأحياء فقراً في المدينة، قد فسر على أسـاس دونيـه سـكانها الوراثيـة. وقد ادعت مدرسة شيكاغو التجريبية أن الأحياء الفقيرة في المدن تبقى على حالهـا حتـى مـع قدوم جنسيات جديدة مهاجرة إليها[٣٣] بمعنى أن مشكلة هذه الأحياء الفقيرة ليست بسـبب نوعية البشر الذين يعيشون فيها، وإنما هي لصيقة بالمكان نفسه وهنا إلى انتقـل التركيـز مـن الإنسان إلى المكان، أي من الوراثة إلى البيئة.

ولجت سياسة المدن من خـلال قنـاتين: ففـي الجغرافيـا السياسـية، أدى تحليـل الصراع القائم في المـدن حـول اسـتغلال الأراضي إلى ظهـور جغرافيـا جديـدة عـن الصراعات المحليـة "جغرافيــة الصراعات المحليـة " Geography of Locational Conflicts. أو الجغرافيـا السياسية للمحليات Locality Politics.

ومـن ناحيـة أخـرى في العلـوم الاجتماعيـة صـب الاهـتمام عـلى دراسـة قضيـة القـوة والسياسة في الدراسات الحضرية يحتل مكاناً مرموقاً، وفي الحالتين برز المكان كقيمـة أساسـية في الدراسـات والبحـوث. وفي الحـالتين: الجغرافيـا السياسـية والعلـوم الاجتماعيـة توصـلوا إلى نتيجة واحدة مفادها أن هناك دوراً هاماً تلعبه المحليات في القضايا السياسية[٣٤].

إن تناول الصراعات في المحليات بالدراسة والتحليل أصبحت من مهمات جغرافية المـدن السياسية، ويعد كل من (جوليـان ولـبرت وكيفـين كـوكس)، مـن أبـرز رمـوز هـذا الميـدان، في محاولة للخروج بأنماط مترابطة أو غير مترابطة من حـالات الكسـب والخسـارة الناجمـة عـن الصراعات المحليـة بهـدف رسـم خريطـة جغرافيـة عـن الصراعات في المحليـات، فقـد رصـد جغرافية الصراعات المحلية في كل من لنـدن وأونتـاريو مـا بـين ١٩٧٠-١٩٧٢، ثـم مـن ١٩٧٠-١٩٧٣، هذه الدراسات وغيرها خرجت بنتائج متشابهة عن جغرافيـة الصراع في المحليـات، إذ حصرت نحو ١٠٠٠ حالة من حالات الصراع المحلي قسمت على ثلاث مناطق في

المدينة: المركز، ودواخل المدن حول المركز، ومناطق العمران الحديثة على حواف المدن.

قدم جانيل وملورد، تفسيراً بيئوياً للصراع المحلي، قللا فيه من أثر النطاق الجغرافي وتخطيط المدن. وقد حدد نمطين من الصراع هما[٣٥]:

١. صراع يتصل بعوامل التنقل، وهي الإسكان، والنقل، والحفاظ على الأرض.

٢. صراع يتصل بعوامل التوسع، وهي إقامة حي الأعمال في وسط المدينة، وإعادة تطوير مناطق الأطراف ومباني المدارس.

إما دراسة (جانيل) فقد أوضحت أن دعاة التغير في أشكال استغلال الأرض في المدينة هم من أصحاب القطاع الاقتصادي، من مؤيدي وأصحاب التوسع لإقامة الشركات العملاقة. ثم يأتي في المرتبة الثانية من دعاة التغير رجال القطاع العام، وفي المرتبة الثالثة فقراء المدينة. هذا التفسير يشير إلى تداخل أطراف الصراع في قضية تغيير طرق استغلال الأرض في المدينة بين مؤيد ومعارض.

المحليـة والاقتصـاد السياسـي: Locality and Political Economy

يعتقد (لي وميرسر) أن الصراعات داخل المدينة تأخذ صورة نطاقات متعددة، ففي مدينة فانكوفر بكندا تظهر المشاكل نتيجة موافقة الجهات المعنية لتغير استغلال الأرض في القطاع الغربي من المدينة، بحيث تزيد ثمانية أضعاف عدد الصراعات عنه في القطاع الشرقي من المدينة، هذا الصراع سببه التحزبات الاجتماعية، ثم السياسية التي تنتهجها المدينة، فالمتربع على رئاسة مجلس المدينة يقرر حسب سياسة حزبه شكل التغير، ثم أصبح الصراع في مدينة فانكوفر جزءاً من عمليات سياسة أكبر من تحول شامل في سياسة المدينة ككل، والتي بدأت في أجندة القطاع الغربي للمدينة لمناطحة النفوذ المتزايد لطبقة التجار[٣٦].

إما (كوكس ومكارثي) الذي بحث في الصراع كظاهرة محلية، درس صلة التجاور بين السكان فخلص إلى أن أكثر من ٦٦% من السكان كانوا في حال من العداء: بين مؤيد للتوسع في البنية التحتية للمدينة، واستغلال الأرض بشكل أكثر ربحية وفائدة، وبين آخر يؤمن بإبقاء المدينة على حالها، لأنها قيمة في حد ذاتها. هذه النتيجة تبرز أن وراء الصراعات المحلية أبعاداً اقتصادية وسياسية. إما

الضحايا فهم أهل التجاور. وهكذا تكشف جغرافية الصراع في المحليات عن خبرات محلية تعمل على جمع مؤيديها في مواجهة موجة الاقتصاد الرأسمالي العالمي المتغير هذه التعبئة المحلية مؤلفة من جماعات مهنية تناهض التحزبات السياسية التقليدية[٣٧].

خاتمة: ما بعد العولمة:

لفهم مبادئ الجغرافية السياسية والمبادئ الجيوبولوتيكية لدول العالم، لا بد من فهم التغيرات الدرامية، والمربكة على مستويات جغرافية محلية أو إقليمية أو دولية. وفهم الاستجابات السياسية الجماهرية للتغيرات الجغرافية.

لماذا كل هذا الاهتمام العالمي بالعولمة فهناك المؤيد وهناك المعارض بل نشاهد على شاشات التلفزيون المظاهرات والاحتجاجات في معظم دول العالم على مبدأ العولمة وتبعاتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ويصف البعض العولمة بأنها أيديولوجية تنزع إلى الضعف في مواجهة الفكر النقدي.

ومن الملاحظ أن الدعوة إلى العولمة لم يصاحبها تغيير في الهيكلة الأساسية للاقتصاد العالمي الرأسمالي، بمعنى أن هذه العولمة غير متكافئة، حيث كسبت بعض المواقع وخسرت أخرى، بل أن التفاوت الاقتصادي بين الأمكنة الجغرافية على الساحة الدولية أصبح اليوم أوسع وأكثر بكثير مما مضى بدون عولمة ومن سلبيات العولمة أن النزاعات السياسية حول المكان والحيز والنطاق الجغرافي هي مستمرة وتنمو تماما مثلما هو حاصل من تفسيرات مبطنة لمسار الاقتصاد العالمي الرأسمالي.

والمشكلة التي يواجهها الجغرافي السياسي أن تعريف الحيز والمكان والنطاقات الجغرافية يدخل عليه الفعل السياسي. تلك هي مشكلة تواجه الجغرافيا السياسية فمثلاً نشأت الدولة كحيز سياسي تتمتع بالسلطة، تدير الدولة هذا الحيز الذي تشغله بالقوة، فتولد شعور من قبل المواطن بأن هذه الدولة لا تستحق الولاء، فالدولة شغلها الشاغل جمع الضرائب وفرض المزيد منها. وخلال الفترة الواقعة بين ١٨٠٠-٢٠٠٠ تحولت الدولة إلى مكان بدلاً من حيز، ودمج بين حيز الأراضي

ذات السيادة وبين مكان الوطن بمعنى أصبح فيه حيز الدولة هو مكان الأمة- الدولة.

واصبح الرعايا مواطنين، وأصبح يحق للمواطنين تقديم المطالب إلى الدولة، فظهرت دولة الرفاة التي يقع على عاتقها رعاية مواطنيها من المهد إلى اللحد. إلا أن الواقع كان غير هذا، فظهرت بيروقراطيات الدولة، حتى أصبحت الدولة جزءاً من المشكلة وليس حلاً لها[٣٨].

إما النطاقات الجغرافية فلم تبقَ بعيدة عن التغيير، فمثلاً أجبرت الحكومة البريطانية على أثر إضرابات عمال المناجم عام ١٩٨٤ على فرض قيودٍ على محاولات الاتحاد الوطني لعمال المناجم تعميم الإضراب على مستوى بريطانيا ليبقى النطاق الجغرافي محدوداً بحدود الإضراب.

ونقول أن الحركة العمالية على دراية بأن ساحتها الفعلية هي الساحة العالمية كلها. إلا أن هذا المبدأ ليس من السهل ممارسته.

بل أن المشكلة التي واجهت الحركات العمالية أن لرأس المال القدرة على التنقل عبر العالم، بمعنى أن اضطرابات عمالية في مكان ما يمكن أن يستوعب دون ضرر بنقل رأس المال لمكان آمن.

وفي منتصف القرن العشرين ظهرت دول الرفاة التي كانت من الأهداف الرئيسية لأنصار العولمة، وكان من أهداف الحركات العمالية محاولة بناء مكان كوني لسياسة ديموقراطية ومتكافئة بدلاً من الحيز الرأسمالي الكوني، وقد نتج عنه بناء حيوز رأسمالية جديدة مثل اتفاقية التجارة الحرة لأمريكيا الشمالية على تعاون عمالي عابر لدول أمريكيا الشمالية في عملية ترمي إلى إعادة تأسيس الاقتصاد العالمي[٣٩].

والتاريخ يعلمنا أن هناك عولمات عدة قبل العولمة الراهنة منها العولمة الأيكولوجية. والأيكولوجيا من المنظور الجغرافي الطريق الرئيسي الذي يقوم من خلاله الكوني كمكان. في الوقت الذي تعتبر به العولمات الأخرى العالم حيزاً للعمل. مثل الحيز المالي للمدن العالمية.

لقد أمنت الولايات المتحدة الأمريكية هيمنتها على العالم من خلال أيديولوجيتها الاستهلاك، والحياة الراقية التي تعد بها العالم (حياة الضواحي) فهل بمقدور الولايات المتحدة الأمريكية تحقيق هذا الوعد؟ وهل هي حقاً راغبة في تحقيقه؟

قدر (وان) أن قدرة العالم على الإعالة وفقاً لمعايير الحياة الأمريكية تبلغ نحو ٦٠٠ مليون نسمة. وللمقارنة يبلغ عدد سكان العالم اليوم نحو (٦) مليار نسمة، يرتفع إلى نحو ١٤ مليار عام ٢١٠٠ من هذا الرقم السكاني ندرك لماذا لا يمكن احتمال الأرض بيئياً، ولا اجتماعياً وحتى اقتصادية، فهل للأرض القدرة على تحمل أعداد البشر المتوقع وصولهم إلى نحو (١) مليار بعد عام ٢١٠٠؟.

ونسوق مثالاً على التدهور البيئي العالمي، فقد انساقت الصين وراء الحداثة الاستهلاكية، ومدنها تعتمد في حركة السير على الدراجات وشبكة نقل برية رخيصة. إما المدن الصينية الكبيرة ففيها نظام نقل حديث يقلل من التلوث لحد ما. وبالمقابل فإن المدن في الدول الغربية تترنح تحت ملايين السيارات، إذا أصبحت هذه المدن بؤر تلوث، ومع ذلك تتجه الصين لمحاكاة الغرب في كثافة السيارات في مدنها، في الوقت الذي يروج مخطط مدن الغرب للانتقال للدراجات بدلاً من السيارات، وضرورة العودة إلى وسائل النقل الجماعي للحد من التلوث البيئي، إما الأردن التي تعد من الدول النامية، وذات إمكانات مادية متواضعة، والتي تبلغ عدد سكانها نحو ٥ مليون نسمة عام ٢٠٠٤، فعدد السيارات فيها في تزايد غير واقعي.

ففي الوقت الذي يفترض فيه قيام الدولة بتنشيط حركة النقل الجماعي داخل المدن الكبرى مثل عمان واربد، يتجه السكان في تفكيرهم إلى غير ذلك كالدعوة إلى شطب السيارات القديمة على أن يسمح بشراء سيارات جديدة بدلاً منها ومن غير جمارك. هذه السياسة إن طبقت ستكون كارثة للبيئة وتدميراً الاقتصاد الوطني ومضاعفة عدد السيارات.

إلا أن الواقع يؤكد أن السيارة تحتل قلب الحداثة الاستهلاكية، وبالتالي تحولت مدننا إلى مدن السيارات، حتى مدن العالم الثالث تحاول اللحاق بمدن الغرب فالصين تأمل أنه بحلول عام ٢٠١٠ تصبح ثالث أكبر مصنع للسيارات في العالم علماً بأنها تملك نحو ٤٠ مليون سيارة وإذا أصرت الصين التشبه بالولايات المتحدة في السيارات يعني ذلك إنتاج عشرة أضعاف هذه الرقم من السيارات بأحجامها المختلفة.

هذه هي الأمركة! فالصين ستضيف مليار نسمة كمتسوق استهلاكي مـن المتجـر العـالمي الكبير هو السوق العالمي، فالصينيون بفكرهم الاستهلاكي يعتقدون أنهم يعيدون خلق الصـين كمكان تقدمي جديـد للعـالم. هـذا الحلـم هـو خيـال. فسياسـة الصـين المبنيـة عـلى محاكـاة السياسة الأمريكية الاستهلاكية مؤشر على قصر نظر السياسـة الصـينية تجـاه مسـتقبل الأرض كمواطن مستدام للبشرية جمعا.

مراجع الفصل السابع:

١. Taylor P.J. and Johnston, R.J (١٩٧٩) . OP. Cit. PP ٢٦٦-٢٦٨
٢. Peter and Colin. OP.Cit. PP. ٢٩١-٢٩٥
٣. Miliband, R. (١٩٦٩) the state in Capitalist Society, Quarter, London, PP ١٨٠-١٨٥
٤. Peter and Colin,. OP. Cit.PP ٢٩٤-٢٩٥
٥. OP,Cit. PP. ٢٩٥-٣٠٤
٦. OP.Cit.P ٣٠٥
٧. Miliband, R. (١٩٦٩). OP. Cit. PP ٢٠٩-٢٠٨
٨. Tilly, C. (١٩٧٨) from Mobilization to Revolution, Addison- Wesley, Reading. MA.PP. ٦٦-٦٨
٩. Read, D. (١٩٦٤) the English provinces ١٧٦٠-١٩٦٠, A Study in Influnce , Arnold, London.
١٠. Bennett, S, and Earle, C. (١٩٨٣). OP.Cit. PP. ٤٦-٤٨
١١. Sarkissian, W. (١٩٧٦) "the idea of social mix in town planning", an historical review, Urban studies .PP٢٣١-٢٤٠
١٢. OP.Cit. PP. ٢٣٩-٢٤٠
١٣. Peter and Colin. OP. Cit. PP ٣١٠-٣١١
١٤. Savage, M. (١٩٨٧), the Dynamics of working class politics, Cambridge, University prees, Cambridge, UK.PP. ١٠-١٥
١٥. Johnston, R.J. (١٩٩٢) OP. Cit. PP. ٢٣٦-٢٤٢
١٦. Savage. OP. Cit.PP.١٦-٣٢
١٧. Harvey, D. (١٩٨٥) the vrbanization of Capital. OP. Cit. PP. ٧٠-١٣٣
١٨. Cox, K.R. and Mair, A (١٩٨٨) OP.Cit.PP ٣٠٩-٣١٠
١٩. Peter and Colin. OP. Cit. P ٣١٦- ٣١٨

٢٠. Duncan, S. and Goodwin, M. (١٩٨٨) the local state and Uneven Development, polity prees, Cambridge, Uk. PP. ٤٠-٥٥

٢١. OP .Cit. PP ٤١-٤٦

٢٢. OP.Cit. PP ٤٢-٤٧

٢٣. Peter and Colin. Op . Cit. PP ٣١٧-٣١٩

٢٤. Johnston, R.J. (١٩٨٢) the American Urban System, PP. ٢٢-١٠٣

٢٥. Cox, K.R (١٩٧٣) Confict power and politics in the city, PP.٨٣-١٠٨

٢٦. Johnston, R. J. (١٩٨٤) OP. Cit.

٢٧. Duncan, S. and Goodwin, M. (١٩٨٨). OP. Cit. P. ٣

٢٨. Runciman, W. G. (١٩٦٠) Relative Deprivation and social Justice London, PP. ٧٧-٨٠

٢٩. Peter and Colin. OP. Cit. PP. ٣١٩-٣٢١

٣٠. King, A.D. (١٩٩٠ Global Cities, Routledge, London,

٣١. Peter and Colin. OP. Cit. PP. ٣٢٢

٣٢. Taylor, P.J. (١٩٩٣). "Geopolitical world orders in P.J. Taylor (ed) Political Geography of the Twentieth Century, London.

٣٣. Faris, R. E.L. (١٩٦٧) Chicago Sociology ١٩٢٠-١٩٣٢, Chandler, San Francisco. P. ٥٧

٣٤. Peter and Colin. OP. Cit. PP. ٣٣٠-٣٣١

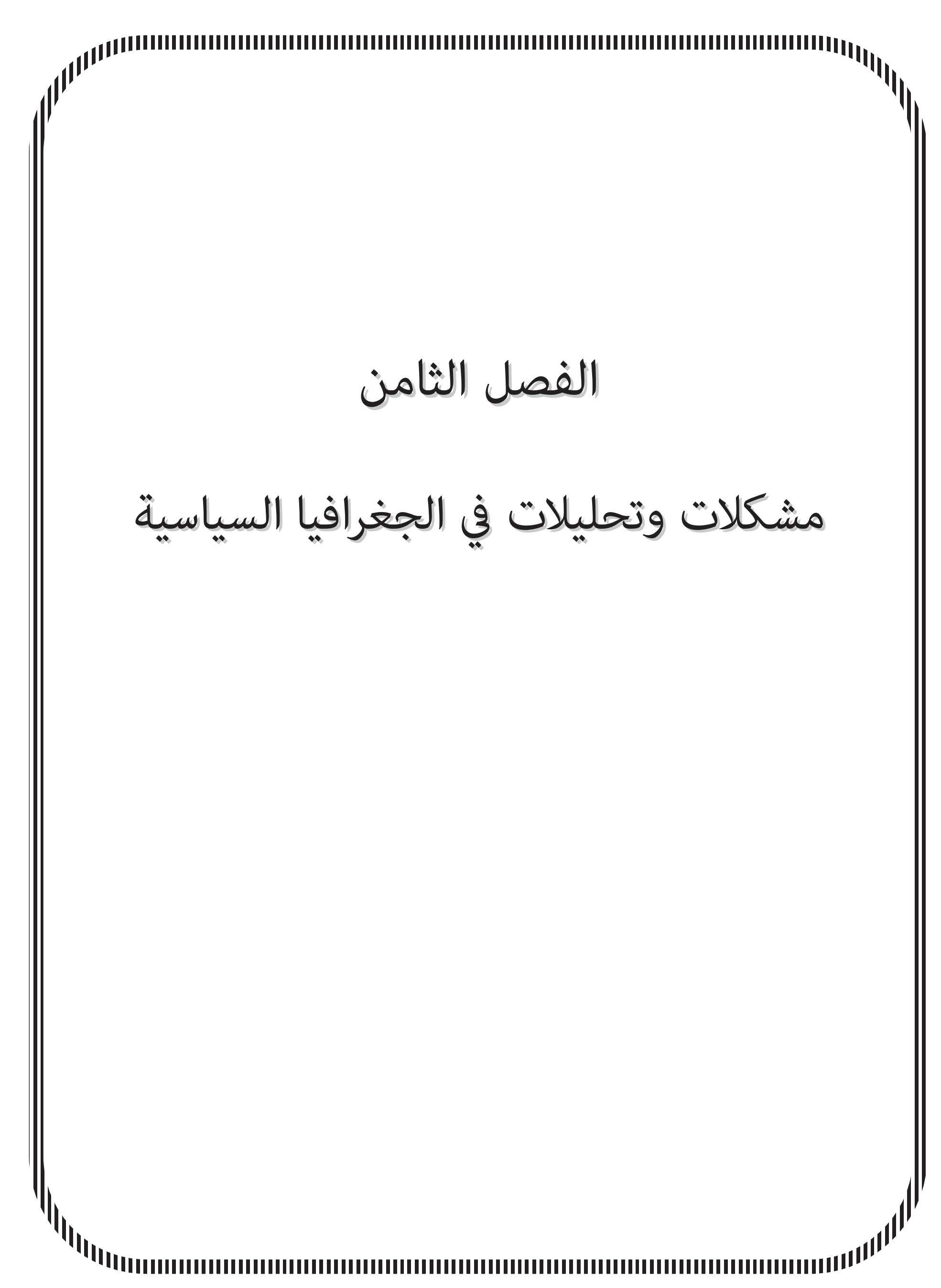
٣٥. OP. Cit. Pp. ٣٣١-٣٣٣

٣٦. OP. Cit. P. ٣٣٤

٣٧. Ley, D. and Mercer. J. (١٩٨٠)"Locational Conflict and the Political of Consumption" , Economic Geography ٥٦. PP ٩٥-١١٠

٣٨. Cox, K. R. and Mecarthy, J.J.(١٩٨٢)OP. Cit. ٢١٠-٢١٢

٣٩. Peter and Colin.OP. Cit. PP. ٣٦٣-٣٦٧



الفصل الثامن

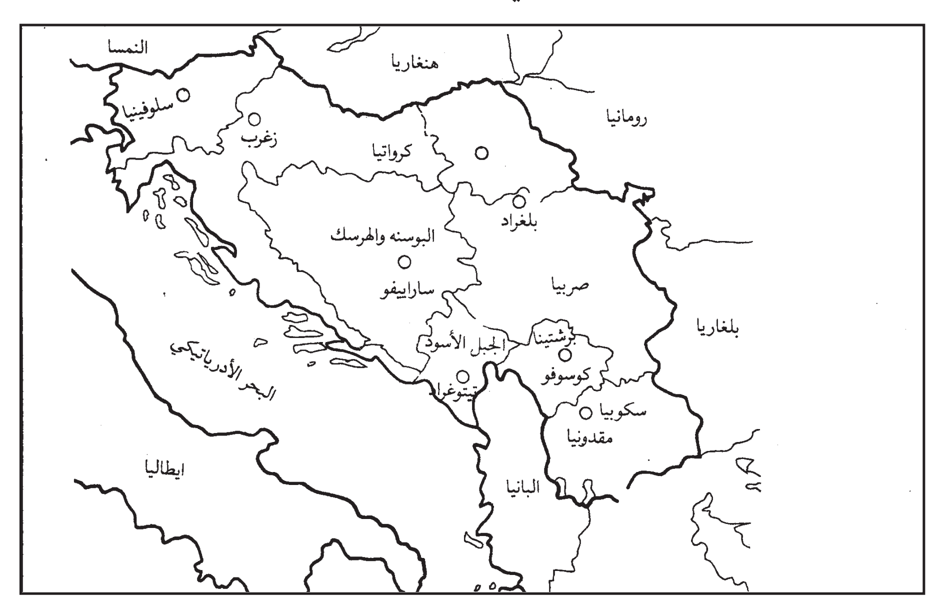
مشكلات وتحليلات في الجغرافيا السياسية

الأقليــات

هناك دول في العالم يتألف سكانها من مجموعات سكانية متباينـة الأصـل العرقـي مثـل الهند والصين والولايات المتحدة وبريطانيا واستراليا وكنـدا وروسـيا ويوغسـلافيا سـابقاً. شـكل (٣١) وسويسرا شكل (٣٢) وتشيكوسلوفاكيا سـابقاً شـكل (٣٣) وهـذا التنـوع العرقـي أوجـد مشكلات سياسية بين الأقليات. ويبدو أن الوسيلة المثلى للاستقرار وضبط حركات الاقليات هو قيام نظام سياسي يتصف بالحزم والقوة وتطبيق العدالة الاجتماعية وضـمان حقـوق الإنسـان والمساواة السياسية. أما الاضطهاد والتطهير العرقي للأقليات مـن قبـل الأغلبيـة يعنـي إشـاعة الدمار والاقتتال وبالتالي انزواء الدولة في ركن الكراهية من قبل المجتمع الدولي.

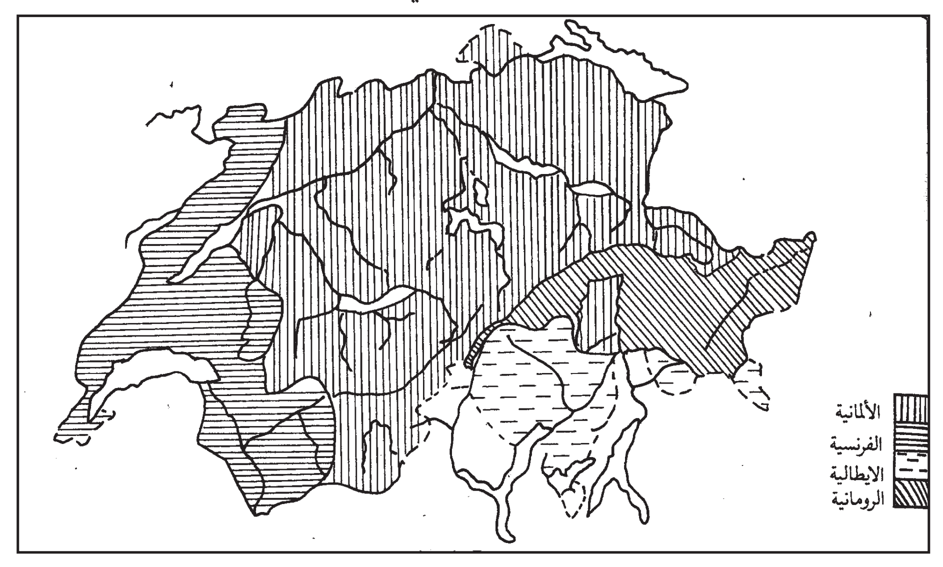
الشكل (٣١)

المجموعات القومية في جمهورية يوغسلافيا (سابقاً)

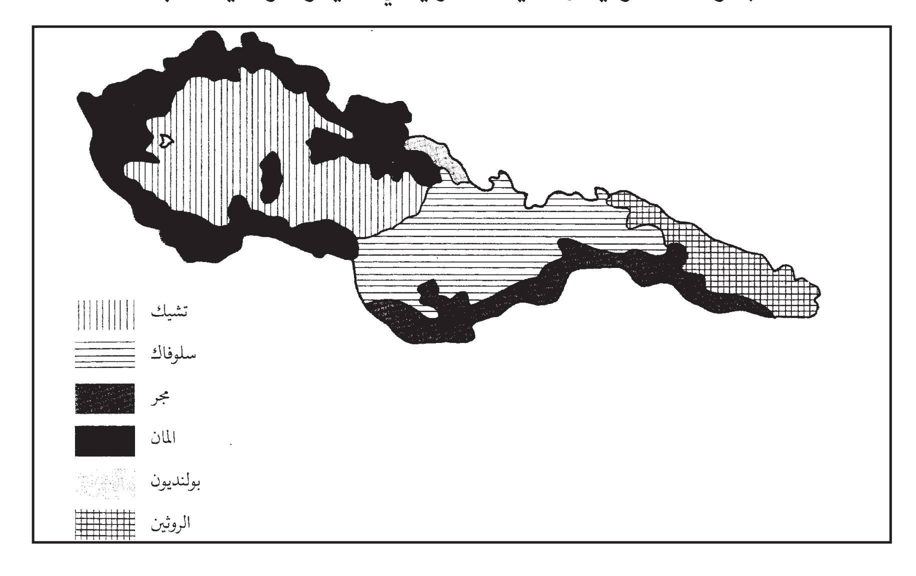


الشكل (٣٢)

المجموعات اللغوية في سويسرا



المجموعات القومية والأقليات العرقية في تشيكوسلوفاكيا السابقة

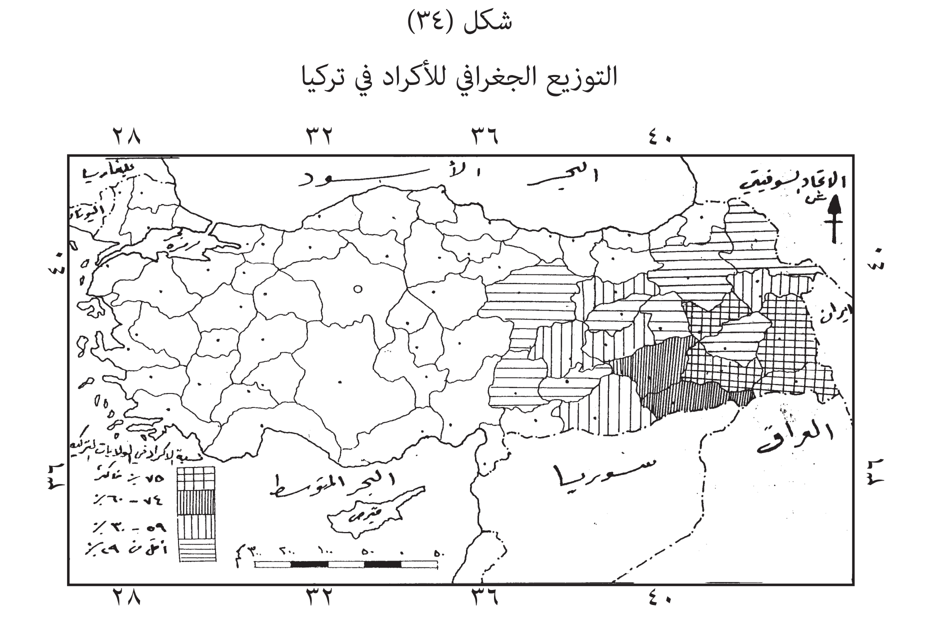


ومن أبرز العوامل الجغرافية التي تساعد على تحقيق المواءمة السياسية وتحدد علاقة الدولة الأم بالأقليات هي[1]:

أولاً: التوزيع الجغرافي لمجموعات الأقليات في الدول التي تتوزع فيها الأقلية السكانية في طول البلاد وعرضها، تكون احتمالات حدوث حركات انفصالية ضعيفة كما هو في حالة الزنوج في الولايات المتحدة الأمريكية حيث يتواجد الزنوج في جميع الولايات. أما في حالة تركز الأقلية في ركن معين من الدولة فاحتمالات حدوث حركات انفصالية واردة كما هو في حالة الباسك في إسبانيا والأكراد في تركيا شكل (٣٤) وإيران أما في سوريا والعراق فحقوقهم مصانة ولا يرغب الشعب الكردي بالانفصال، إنما هي رغبة الساسة الأكراد في إثارة المشاكل للعراق وسوريا كما حصل في أحداث القامشلي السورية في شهر آذار من عام ٢٠٠٤ بدعم من الولايات المتحدة الأمريكية.

شكل (٣٤)

التوزيع الجغرافي للأكراد في تركيا



ثانياً: اللغات التي تتكلم بها الأقلية السكانية:

في حالة تشابة لغة الأقلية بلغة غالبية سكان الدولة الأم تنتفي حركات التمرد والاستقلال، كما هو في حالة زنوج الولايات المتحدة الأمريكية. وقد تكون لغة الأقلية مختلفة عن لغة الأغلبية فيصاحبها مشكلات متعددة مثل لغة السكان من أصل أوزبكستان عندما كانوا جزءاً من الاتحاد السوفيتي السابق.

ثالثاً: العلاقة بين المجموعات العرقية والدولة

في العادة تكون قوانين الدولة مصاغة ومطبقة على جميع فئات سكان الدولة بما فيهم الأغلبية والأقلية وهناك قياسات من وجهة نظر الجغرافيا السياسية تطبق على الدول التي تضم أصولاً مختلفة ولغات متنوعة. من هذه المعايير: معيار قياس حرية استخدام اللغة في التعامل index of linguisitc freedom ومعيار قياس الفصل العرقي أو الاضطهاد السياسي index of Measuring ethnic segregation or political oppression. وقد تكون الأقليات كبيرة العدد كما هو في حالة البروتستانت في أيرلندا الشمالية وقد تكون الأقلية قليلة العدد كما هو في سكان كويبك والأسكيمو والهنود الحمر في كندا، والهنود الحمر في الولايات المتحدة.

عملت مبادئ الدين الإسلامي على دمج الأقليات والقوميات في الدولة الإسلامية لترفعه عن الفوارق الطبقية واللونية على الرغم من الاختلافات اللغوية والانتماءات الوطنية.

وضع ريتشارد موير تصوره للعلاقة بين توقعات فئات السكان المختلفة في الدولة، من خلال واقعهم الجغرافي، وأعدادهم وإمكانياتهم من ناحية، وبين ما أتيح لهم فعلاً من الممارسات الاقتصادية والسياسية، وما أسند إليهم من مناصب سياسية وهو ما أطلق عليه في الجغرافيا السياسية بمقياس المكانة السياسية للمجموعات السكانية[٢] Collective Value Position of ethnic groups.

وتتباين الاتجاهات بين فئات الأقلية الواحدة تجاه القضايا والمشكلات فمثلاً هناك فئات من بين الأكراد في العراق وإيران وتركيا يرون بقاءهم ضمن هذه الدول هو أفضل حالاً من انفصالهم، لأن جغرافية كردستان فقيرة بالموارد الطبيعية خالية من النفط متضرسة قليلة السهول الزراعية، وإنهم إذا أسسوا دولة فسوف تكون حبيسة ومحاطة بدول جوار جغرافي لا ترتبط معهم بعلاقات سياسية ودية،

ولا بد لنا من الانتظار ونحن نتابع ما ستسفر عنه مشكلة العراق، فحتى عام ٢٠٠٤ لم يستطع أكراد العراق كسب أي شيء يذكر، فجميع فئات المجتمع العراقي تطالب بوحدة أراضي العراق.

أنــواع الأقليــات

يمكن تصنيف الأقليات إلى عدة أنواع حسب طبيعة مشكلتهم، ونوع المعاملة وأعدادهم والمساحة التي يشغلونها وحسب درجة انفصال الأقلية أو اندماجهم، أو تطلعاتهم للانضمام لدولة أخرى. هذه الأنواع يمكن حصرها بالآتي(٣):

أ. الأقليات التاريخية:

وهي أقليات التي يرجع وجودهم إلى أسباب تاريخية أو ظروف سياسية طارئة مثل الأقلية العربية في لواء الأسكندرونة المحتل من قبل تركيا. فمنذ ضم اللواء عام ١٩٣٩ إلى تركيا لا يزال يطلق عليه اللواء المحتل وأيضاً مثل الأقلية الفرنسية في كويبك الكندية، ورغم حصول الأقلية في الأقليم على حقوقها كاملة فقد أطلق شارل ديجول عام ١٩٦٨ أثناء زيارته لكويبك "فلتحيا كوبيك حرة وتحيا فرنسا".

ب. الأقليات الناجمة عن الصراع الاجتماعي:

بعض الأقليات تنعزل في منطقة جغرافية لتحمي نفسها من التصفية الجسدية، مثل انعزال القبارصة الاتراك في شمال شرق جزيرة قبرص.

ج. الأقليات بسبب العزل الاجتماعي الاقتصادي:

بمعنى تنعزل الاقليات الغنية في الدولة عن الأقليات الفقيرة، فسكن الرجل الأبيض في المدن الأمريكية في أحياء خاصة بهم والزنوج كذلك وذلك استناداً لأسس عرقية واجتماعية واقتصادية.

د. الأقليات بسبب العزل الدستوري:

كالتميز العنصري في جنوب أفريقيا والولايات المتحدة ضد الزنوج قبل حصول الزنوج على حقوقهم في كلا البلدين.

هـ الأقليات بسبب العنف والقوة: مثل طرد الفلسطينين من بلادهم إلى أماكن خاصة بهم "إلى المخيمات".

درجــة الاستقــلال الدولــة

من أهم مقومات الدولة الاستقلال واعتراف دول الجوار الجغرافي بها، فلا سيادة دون استقلال، وبعد استقلال الدول عن الاستعمار بدأت فيها الممارسات السياسية الوطنية. وبرامج التنمية وتفعيل الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وإحلال الرموز الوطنية على أسماء الأماكن Landscape ومؤسسات التعليم.

أما التغيرات الجوهرية من وجهة نظر الجغرافيا السياسية فهي المنهج السياسي الوطني الجديد بعد التحرر وظهور الأحزاب السياسية الوطنية والأيديولوجيات أو الأفكار النابعة من المجتمع وتراثه وتاريخه، ومواقف الدولة من القضايا والمشكلات السياسية العالمية، والدور الوطني الذي تلعبه مجالس البحث العلمي، والجمعيات العلمية، والمؤسسات الصحفية...كل ذلك يتطلب من الدولة حديثه الاستقلال هضم واستيعاب الأوضاع الجديدة للدولة، والتلائم مع الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي محلياً وإقليمياً وعالمياً.

ومن أهم المشكلات التي تواجهها الدول حديثة الاستقلال عن الاستعمار، هو أن مؤسساتها الاقتصادية مرتبطة بصورة مباشرة أو غير مباشرة بمؤسسات الدولة المستعمرة. فمثلاً معظم اقتصاديات المواد الخام في الدول الفقيرة- والتي كانت في يوم ما تحت سيطرة الاستعمار الأوروبي وفيما بعد الأمريكي ثم تحررت من الاستعمار العسكري - هذه المواد تنتج لصالح الدول الأوروبية والولايات المتحدة، فمثلاً كل إنتاج النفط في منطقة الشرق الأوسط الكبير من بحر قزوين حتى ساحل المحيط الأطلسي- غرباً موجه أصلاً للدول الأوروبية والولايات المتحدة وتحت سيطرة شركاتها العابرة للقارات.

أما الحرب فهي آفة تدمر اقتصاديات الدول المسْتَعْمَرة والمسْتَعْمِرة، ففي أوروبا أسفرت الحرب العالمية الأولى ١٩٤١-١٩١٨ عن انحلال اتحاد هابسبرج الجمركي the Cuseoms Union Of The Hapsburg الذي كان موجوداً في أوروبا

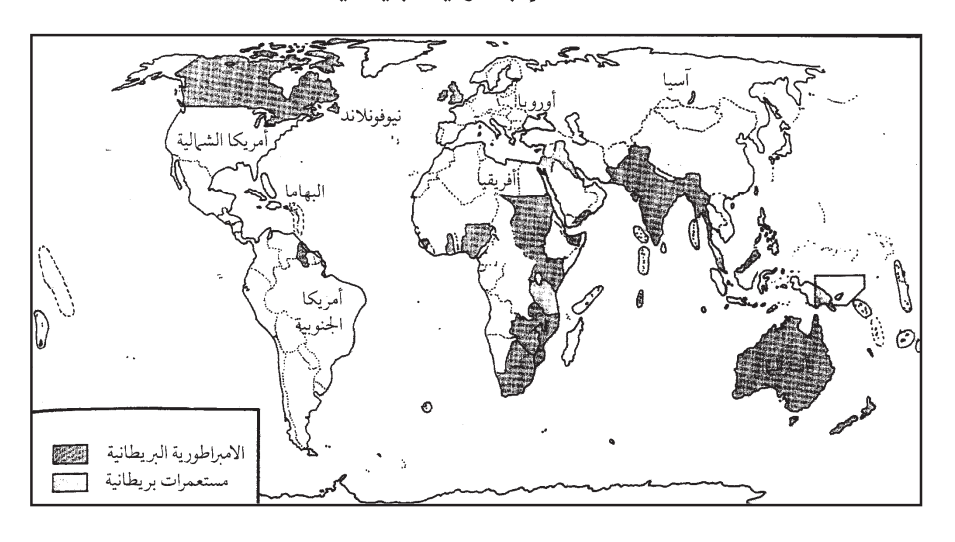
بين سبع دول أوروبية كل دولة لها كيانها السياسي والاقتصادي المستقل عن الأخرى.

وكان من نتائج الحرب العالمية الأولى: تمزيق دول وتقسيم أخرى إلى عدة دول جديدة فكانت هذه الدول تعاني من مشكلات السيادة والحرية والتنمية والانتعاش الاقتصادي فمثلاً تأسست دولة تشيكوسلوفاكيا في أعقاب الحرب العالمية الأولى، ثم انقسمت إلى دولتين عام ١٩٩٢ هما التشيك وسلوفاكيا. كما تأسست يوغسلافيا أيضاً من ست جمهوريات هي (صربيا والجبل الأسود وسلوفينيا ومقدونيا وكرواتيا وجمهورية البوسنة والهرسك ثم عادت وتفسخت من جديد) أما ألمانيا فقد قسمت بعد الحرب العالمية الثانية إلى دولتين ثم عادت وتوحدت في نهاية القرن العشرين أما الوطن العربي فقد انقسم إلى ٢٣ دولة وما زال كذلك.

أن معظم مشكلات الأقليات في الوقت الحاضر في العالم تعود في أصولها إلى خضوع مناطق واسعة من العالم للاستعمار البريطاني. شكل (٣٥) ولم يرافق ترك بريطانيا لمستعمراتها حل مشاكل الأقليات فيها.

الشكل (٣٥)

امتداد الإمبراطورية البريطانية



ويمكن القول أن سيادة الدولة في الوحدة والاندماج أو الانفصال كانت قبل هجمات ١١ أيلول ٢٠٠١ أو بصورة أصح كانت صحيح قبل انهيار الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩٠ كانت تتم بدافع من ظروف محلية داخلية ورغبة شعبية أو لأسباب أيديولوجية أما بعد هجمات ١١ أيلول ٢٠٠١ فلا وحدة ولا انفصال بين دول العالم دون تدخل الولايات المتحدة الأمريكية بالإيجاب أو السلب، لأن التغيرات في مبادئ الجغرافيا السياسية والجيوبولوتيكا للولايات المتحدة كانت كبيرة بحيث لم يستطع العالم حتى الآن الحد من تهورها.

المياه الإقليمية والمشكلات الجيوسياسية المتعلقة بها

تغطي المياه نحو ٧٥% من سطح الأرض، إلا أن الاستثمار المستقبلي للفترة الواقعة بين ٢٠٠-٢١٠٠ سيكون في معظمه للدول القوية اقتصادياً وعسكرياً وتكنولوجياً، وعلى ضوء ذلك وضعت صور الاستفادة القصوى من الثروات الطبيعية في البحار والمحيطات، وللحد من المشكلات السياسية التي لا بد من وقوعها بين الدول الكبرى المستثمرة قسمت مياه البحار والمحيطات إلى قسمين هما:

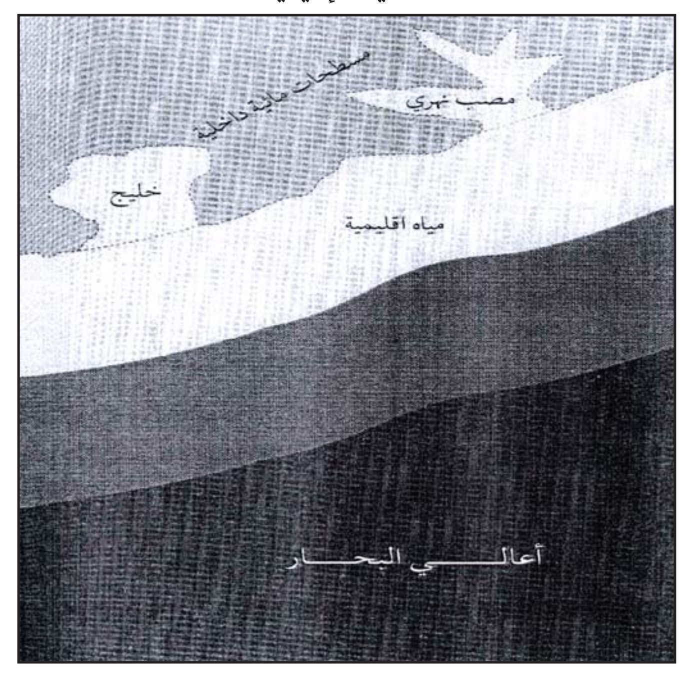
١. مياه إقليمية تمتد من بداية الشاطئ ولنحو ١٥ ميلاً باتجاه الداخل.

٢. مياه دولية، تقع خلف المياه الإقليمية.

تخضع المياه الإقليمية شكل (٣٦) المحاذية لدولة ما لسيادتها وهناك عدم اتفاق حتى الآن (عام ٢٠٠٤) بين الدول على عرضها فالدول القوية عسكرياً تحدد المياه الإقليمية بعشرات الكيلومترات وهذا لا يكون للدول الضعيفة بالإضافة إلى درجة غنى المياه الإقليمية بالثروات الطبيعية فهو عامل أساسي في تحديد عرض المياه الإقليمية. نصت اتفاقية جنيف عام ١٩٥٨ على أن الحد الفاصل بين المياه الإقليمية والمياه الدولية هو خط الأساس Base Line. وتطالب بعض الدول بجعل المياه الملاصقة للمياه الإقليمية ضمن نطاق سيطرة الدولة وليس جزءاً من المياه الدولية وقد حددت هذه المياه لمسافة بنحو ١٢ ميلاً بحرياً ابتداءاً من خط المياه الإقليمية.

الشكل (٣٦)

المياه الإقليمية



ويعد أيضاً الرصيف القاري جزءاً من أراضي الدولة، وقد حدد القانون الدولي الرصيف القاري لأي دولة بعمق ٣٠٠٠ قدم وقد يصل إلى ١٠٠٠ قدم، وعلى هذا فالرصيف القاري قد يكون أعرض أو اقل عرضاً من اتساع المياه الإقليمية ومن أبرز الخلافات الجيوسياسية على الأرصفة القارية والمياه الإقليمية:

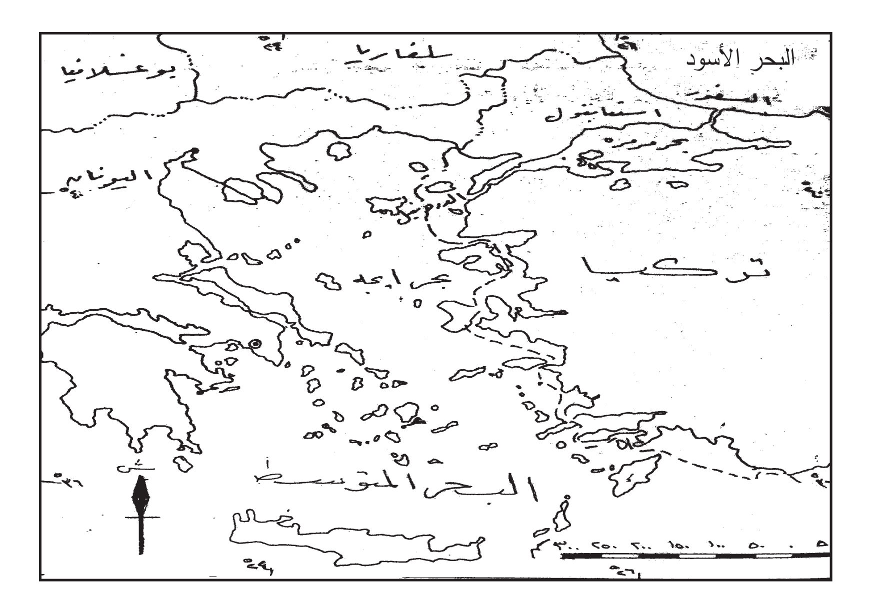
١. الرصيف القاري لبحر إيجه والخلاف اليوناني التركي

يعد بحر إيجه فاصل مائي بين تركيا واليونان يصل البحر الأسود بالبحر المتوسط ويتصل بحر إيجه بالدردنيل المتصل ببحر مرمرة والذي بدوره متصل بالفسفور ويبلغ طول مضيق البسفور وبحر مرمرة والدردنيل نحو ٢٠٦ أميال بحرية منها ٦ أميال طول مضيق البسفور و ١٧٥ ميل طول بحر مرمرة و ٢٥

ميل طول مضيق الدردنيل. أما من حيث العرض فيبلغ عرض بحر مرمرة في المتوسط ٥٠ ميلاً بحرياً يقل في بعض أجزاءه إلى ٧٠٠ يارده. أما الدردنيل فيبلغ عرضه في الجنوب نحو ٤,٥ ميل بحري، وفي شماله ٢,٥ ميل[٤] شكل (٣٧).

شكل (٣٧)

المضائق التركية وبحر إيجة



وترجع الخلافات التركية اليونانية على بحر إيجه لاكتشاف النفط فيه، وكاد الخلاف عام ١٩٨٧ يصل لصدام عسكري، إلا أن انتهاء الحرب الباردة وانتهاء الاتحاد السوفيتي من الساحة العالمية حالياً سيسمح بأبعاد شبح الحرب بين الدولتين.

المضائق البحرية

يمكن إبراز أهم المضائق البحرية بالآتي[٥]:

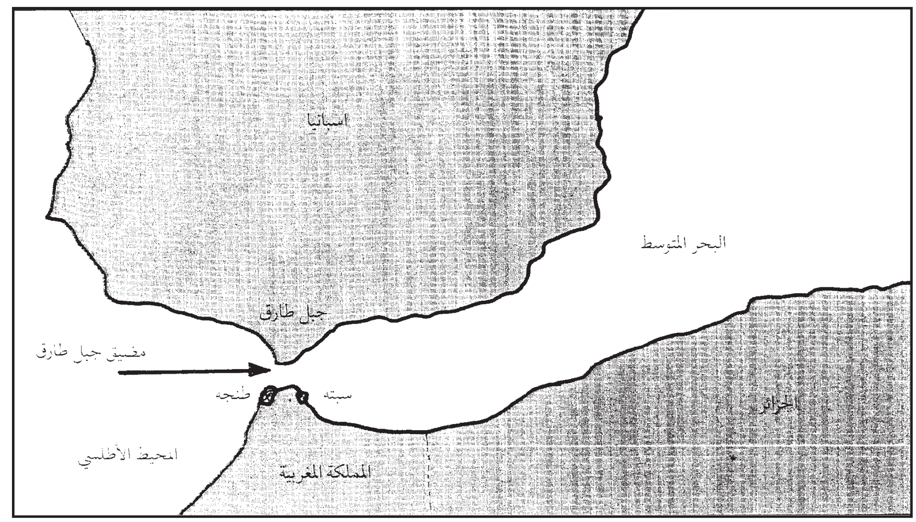
أ. مضيق البسفور- بحر مرمرة- مضيق الدردنيل - تأتي أهمية هذه المضائق كونها تصل بين روسيا والبحر المتوسط ولم يعد هناك في الوقت الحاضر

احتمالٌ لسيطرة روسيا على هذه المضائق بعد تراجع قوتها أمام قوة الولايات المتحدة الأمريكية.

ب. مضيق جبل طارق، يصل بين المحيط الأطلسي والبحر المتوسط ويفصل بين أفريقيا وأوروبا شكل (٣٨) ويرتبط المضيق باسم طارق بن زياد الذي عبره من المغرب إلى الأندلس لنشر الإسلام. وتبلغ مساحة جبل طارق التي تشرف على المضيق نحو ٦ كيلو متر مربع. ويخضع جبل طارق لبريطانيا منذ عام ١٧٠٣ وما زال حتى اليوم.

الشكل (٣٨)

مضيق جبل طارق



ولأن القوة هي الحاسم في السياسة منذ منتصف الألفية الثانية فإن جبل طارق الإسباني محتل من قبل بريطانيا وإن منطقة طنجة ومدينتي سبتة ومليلة المغربيتين محتلتين من قبل إسبانيا.

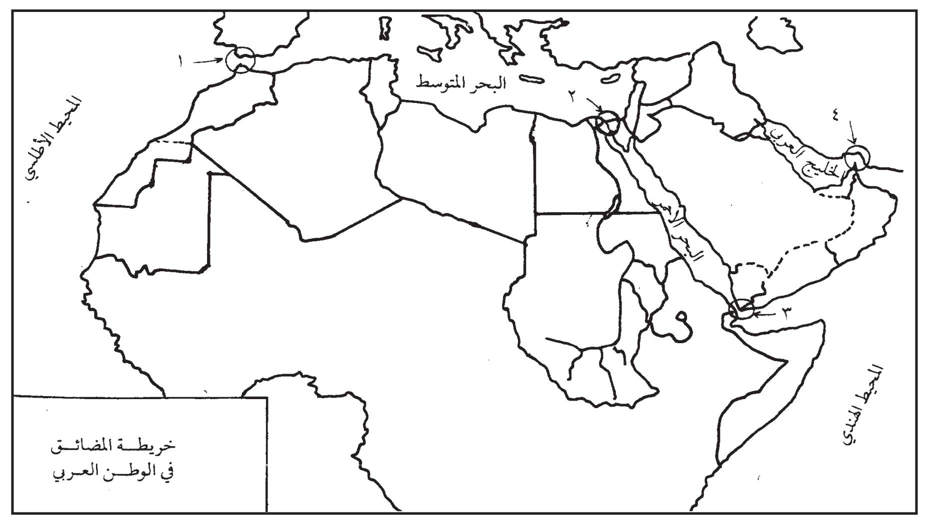
ج. مضيق باب المندب:

يصل مضيق باب المندب بين البحر الأحمر والمحيط الهندي شكل (٣٨) يبلغ عرضه نحو ٢٠ ميلاً وتقسمه جزيرة بريم (ميون) إلى ممرين: الأول الممر

الشرقي، عرضه نحو ميلين غير صالح للملاحة لضحالته والثاني الممر الغربي عرضه ١٦ ميل. وتأتي أهمية الإستراتيجية من كونه معبراً لناقلات النفط من الخليج العربي إلى أوروبا.

الشكل (٣٩)

المضائق والممرات المائية في الوطن العربي



د. **مضيق هرمز:** ترجع تسمية مضيق هرمز إلى القائد الفارسي هرمز، يصل ما بين مياه الخليج العربي ومياه بحر العرب وترجع أهميته إلى كونه معبراً لناقلات النفط السعودي والكويتي والإيراني والعراقي والإماراتي والقطري إلى بحر العرب ومن ثم شرقاً وغرباً. شكل (٣٩) ويمكن القول أن مضيق هرمز الآن تحت سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية حيث تجوب مياه الخليج العربي ومياه بحر العرب الأساطيل البحرية الأمريكية وحاملات الطائرات العملاقة لدعم القوات العسكرية المتواجدة أصلاً في دول الجزيرة العربية والقوات الأمريكية الغازية للعراق.

هـ. **مضائق تيران:** تقع مضائق تيران في معبر خليج العقبة شكل (٣٩) وتقع عند مدخل خليج العقبة جزيرتا تيران وصنافير ويبلغ عرض الفتحة بين جزيرة تيران وساحل صحراء سيناء ٤ أميال بحرية. وتأتي أهمية مضائق

تيران من كونه معبراً للبواخر المتجهة إلى الأردن إلى ميناء العقبة وإلى ميناء إيلات الواقع جنوب فلسطين.

الأقنيـــة المائيـــة

أولاً: قناة السويس:

تصل قناة السويس بين البحر المتوسط والبحر الأحمر، مما عزز موقع مصر الاستراتيجي وضاعف أهمية البحر الأحمر واختزلت المسافة ما بين جنوب أوروبا وعالم المحيط الهندي والمحيط الهادي. وهي بحق المفتاح الاستراتيجي لمنطقة البحر المتوسط والبحر الأحمر.

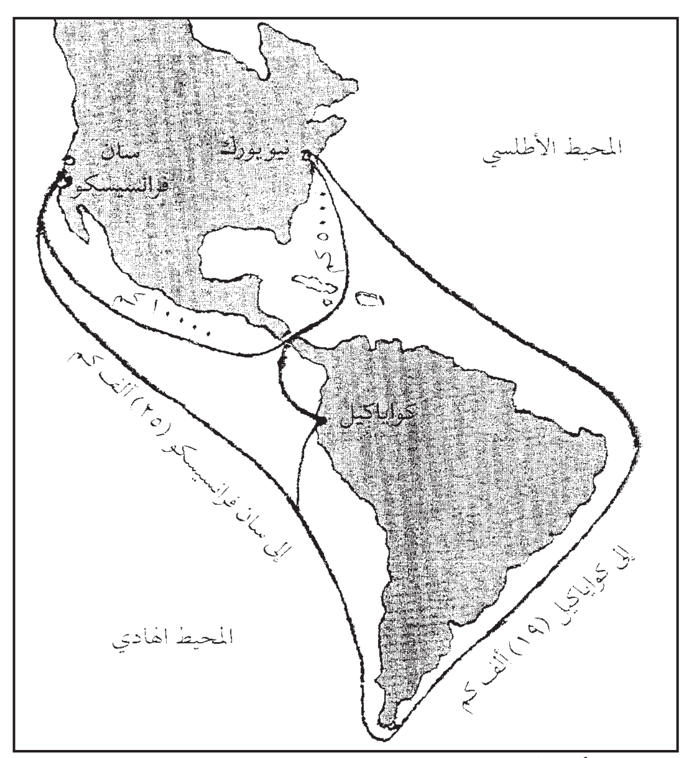
ثانيـاً: قناة بنما

تسيطر الولايات المتحدة على قناة بنما بالرغم من أنها جزء من أراضي بنما، والقناة تصل ما بين المحيط الأطلسي والمحيط الهادي. وتتمثل أهميتها بأنها تقصر المسافات بين الموانئ الواقعة على كلا شاطئ المحيطين، فمثلاً تبلغ المسافة بين ميناء نيويورك وميناء كواياكيل في الإكوادور نحو ١٩ ألف كيلو متر بينما تصبح خمسة آلاف كيلو متر عند استعمال قناة بنما.

والمسافة بين مينائي نيويورك وسان فرانسيسكو تبلغ نحو ٢٥ ألف كيلو متر، تصبح عشرة آلاف كيلومتر شكل (٤٠) وتمتد سلطة الولايات المتحدة على جانبي قناة بنما لمسافة ثماني كيلومترات وتخضع للقوانين الأمريكية. يبلغ طول قناة بنما نحو ٨٠ كيلو متر وعرضها يتراوح ما بين ٩٠-٣٠٠ متر، وبعمق ١٢.٥ متر وقد بدء بالحفر عام ١٨٨١ ثم توقف العمل بها عام ١٨٨٩ لعدم توفر المال الكافي. وانتشار الأمراض والأوبئة وهلاك نحو ٢٠ ألف عامل، ثم استكملت الولايات المتحدة شق قناة بنما عام ١٩٠٥ وذلك لأهميتها الاستراتيجية والتجارية وانتهى العمل بها عام ١٩١٤ وتدشينها عام ١٩٢١.ويعبر قناة بنما سنوياً نحو ١٢٠٠٠ سفينة حربية وتجارية[٦].

الشكل (٤٠)

موقع قناة بنما



نخلص إلى القول أن الأهمية الاستراتيجية للمضائق والقنوات المائية (السويس وبنما) تتلخص بالآتي:

١. تشكل بؤر مهمة استراتيجياً للأساطيل الحربية للدول الكبرى.

٢. يعني السيطرة على المضائق والقنوات المائية السيطرة على البحار والمحيطات.

٣. يمر عبر هذه المضائق والقنوات المائية مئات ناقلات النفط يومياً من مواقع إنتاجها إلى أماكن استهلاكها.

٤. تؤمن خطوط الاتصال بين الدول وتختزلها مما يوفر في الوقت والتكلفة والسرعة.

٥. تفتح المجال أمام المدن الواقعة على قناة بنما وقناة السويس وعلى مداخل المضائق البحرية (هرمز وباب المندب وجبل طارق) للنمو والتطور والاختلاط الثقافي مع شعوب العالم الأخرى.

الملامح الرئيسية لاستراتيجية الأمن القومي الأمريكي الجديدة

جاء في نشرة واشنطن التي يصدرها مكتب برامج الإعلام الخارجي بوزارة الخارجية الأمريكية "الملامح الرئيسية الاستراتيجية الأمن القومي الأمريكية الجديدة التي أودعها الرئيس الأمريكي لدى وزارة الدفاع الأمريكية و الكونغرس في العشرين من شهر أيلول ٢٠٠٢ (أي بعد ٣٧٤ يوم على أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١). وقد صاغ الرئيس الأمريكي الاستراتيجية التي تتخلى بشكل أساسي عن مفاهيم سياسة الردع، التي هيمنت على السياسة الدفاعية الأمريكية خلال فترة الحرب الباردة، لصالح استراتيجية استباقية أو وقائية مستقبلية التطلع والتأثير ضد الدول المعادية أو المجموعات الإرهابية، وموسعة في نفس الوقت لمساعدة التنمية والتجارة الحرة والتشجيع على الديموقراطية، ومكافحة الأمراض، وتغيير القوات المسلحة الأمريكية العسكرية. وقد بلور بوش الابن هذه التطلعات في الاستراتيجية الأمريكية الجديدة بعبارات منها: "إن الدفاع عن الولايات المتحدة ضد أعدائها هو الالتزام الأول والأساسي تجاه الشعب الأمريكي". وقوله: "وقد تغيرت هذه المهمة اليوم بشكل مثير، فقد كان الأعداء يحتاجون في الماضي إلى جيوش ضخمة وطاقات صناعية عظيمة ليعرضوا أمريكيا للخطر، أما الآن فيمكن لشبكات مشبوهة من الأفراد أن توقع فوضى عظيمة وتسبب معاناة كبيرة على أراضينا (في الولايات المتحدة) بتكلفة تقل عما يكلفه شراء دبابة واحدة". و "إن إلحاق الهزيمة بمثل هذا التهديد يتطلب استخدام الولايات المتحدة لكل قوس في جعبتها : القوة العسكرية والدفاعات الوطنية الأفضل، وأجهزة تطبيق القوانين، والاستخبارات والجهود النشطة، لوقف تمويل الإرهاب". وقال بوش أيضاً: "إن الإرهابيين وأعداء الولايات المتحدة مصممون باندفاع ونشاط ويسعون علناً لتطوير واستخدام أسلحة الدمار الشامل".

وتوضح الاستراتيجية الأمنية بصورة لا لبس فيها سياسة الولايات المتحدة القاضية بتحديد أي تهديد إرهابي وتدميره قبل وصوله إلى الولايات المتحدة.

فقد نصت الوثيقة الاستراتيجية على أنه "في حين أن الولايات المتحدة ستجهد دائماً للحصول على دعم المجتمع الدولي، إلا أننا لن نتردد في التصرف بمفردنا، إذا دعت الضرورة، لممارسة حقنا في الدفاع عن النفس عبر التصرف بشكل استباقي ضد مثل هؤلاء الإرهابيين لمنعهم من إلحاق الأذى بشعبنا وبلدنا".

كما رسمت الوثيقة معالم سياسة العمل مع دول أخرى ومنظمات عالمية لنزع فتيل النزاعات الإقليمية، وللحيولة دون استخدام الأعداء لأسلحة الدمار الشامل ضد الولايات المتحدة وحلفائها وأصدقائها، ولدعم تشجيع حقبة جديدة من النمو الاقتصادي العالمي من خلال الأسواق الحرة والتجارة الحرة، ولتوسيع وتطوير المجتمعات المنفتحة وإقامة البنية التحتية للديموقراطية، ولتخفيض الضريبة من الأرواح البشرية التي يفرضها مرض نقص المناعة المكتسبة (الإيدز) وغيره من الأمراض المعدية، ولتغيير القوات الأمريكية المسلحة لتواجه تحديات القرن الحادي والعشرين بشكل ملائم. وهذا يبدو من تصريحات الرئيس الأمريكي بقوله: "إن الولايات المتحدة ستستغل هذه اللحظة المواتية لتوسيع نطاق فوائد الحرية عبر العالم وسنعمل بنشاط لجلب أمل الديموقراطية والنمو والأسواق الحرة والتجارة الحرة إلى كل ركن من أركان العالم وستقف الولايات المتحدة إلى جانب أي دولة مصممة على بناء مستقبل أفضل عبر الجد في طلب فوائد الحرية لشعبها". وستلتزم الولايات المتحدة بالمؤسسات الثابتة كالأمم المتحدة، ومنظمة حلف شمال الأطلسي، ومنظمة التجارة الدولية ومنظمة الدول الأمريكية.

عبرت كوندوليزا رايس مستشارة الأمن القومي للولايات المتحدة الأمريكية عن المبادئ الجيواستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية لما بعد الحرب الباردة بقولها: "إن الولايات المتحدة قوة محررة ومكرسة للديموقراطية في العالم الإسلامي" وسوف تكرس نفسها لإحلال الديموقراطية ومسيرة الحرية في العالم الإسلامي". ورأت أن هجمات ١١ أيلول ٢٠٠١ أوضحت إلى حد كبير نوع التهديد الذي علينا التصدي له بعد الحرب الباردة".

ودعت روسيا إلى الاختيار بين أمرين موضحة أنه "لا يمكن المساهمة في الاستخدام السلمي للتكنولوجيا والعمل مع دول تسعى بوضوح إلى الحصول عليها

لغايات عسكرية ". وتقصد رايس التعاون بين روسيا وإيران. ورأت أن النضال من أجل القيم الليبرالية الأمريكية يجب "ألا يتوقف عند حدود الإسلام" وأكدت رايس أن الولايات المتحدة "لا تستطيع القيام بهذه المهمة وحدها". لكنها رأت أن التفوق الأمريكي العسكري يفرض مسؤولياته لتأمين محيط آمن تزدهر فيه بعض القيم وأشارت إلى القليل من الدول التي كانت تاريخياً في هذا الموقع من التفوق العسكري مؤكدة ان الأمريكيين يرون أن السلطة والقيم أمران متحدان.

هناك ثلاث سمات تتميز بها عملية السياسة الخارجية في الولايات المتحدة الأمريكية بعد أحداث ١١ أيلول عام ٢٠٠١ هي:

١. الحمل الإضافي الهائل والتي نتجت عن هجمات ١١ أيلول .٢٠٠١

٢. الحرب.

٣. النظرة قصيرة الأمد.

فبعد هجمات ١١ أيلول ٢٠٠١ وضعت على أجندة جهاز السياسة الخارجية الأمريكية الكثير من الموضوعات، ويعود ذلك إلى تشعب مصالح الولايات المتحدة وامتداد نفوذها في معظم دول العالم.

وحتى الأوروبيون الذين يشجبون الأحادية الأمريكية غالباً ما يكونون مقتنعين بأن الولايات المتحدة تكون مضطرة للتصرف بشكل أحادي عند التعامل مع القضايا الدولية ذات الأهمية.

تواجه السياسة الأمريكية بعد أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ مشكلات تحتاج إلحل قبل ان تفرض سيطرتها السياسية والعسكرية على العالم، هذه المشكلات تتمثل في المشكلات الاقتصادية على الصعيدين الداخلي والخارجي وانتشار الفساد الداخلي، وفضائح الشركات الكبرى والانخفاض المستمر لأسعار البورصة في الولايات المتحدة.

السياسية الأمريكية الخارجية بناء جيل جديد من التحالفات

خلال الحرب الباردة وفي العقد الذي تلاها أسست الولايات المتحدة استراتيجيتها العالمية على نظام من التحالفات يعتمد في الأساس على منظمة حلف

الناتو واليابان وهذا النظام من التحالفات يتعرض الآن للتآكل بشكل حثيث، ويرجع هذا التآكل جزئياً إلى أسباب لا تتعلق بالولايات المتحدة كدولة ولكنها ترتبط ارتباطاً مباشرة بسياسات ومواقف. وهذا التآكل إذا ما تم اهماله سيؤدي إلى وضع تجد الولايات المتحدة نفسها فيه واقفه بمفردها وسط عالم معاد. ولهذا السبب فإن الولايات المتحدة بحاجة إلى تكوين جيل ثان من التحالفات التي تخدم المتطلبات الأمنية طويلة الأمد للدول.

باستثناء الولايات المتحدة يمكن القول أن كافة حكومات الدول الأعضاء في الناتو، قد لجأت إلى تخفيض استثماراتها العسكرية منذ سقوط الاتحاد السوفيتي وانفراط عقد حلف وارسو، وقد أدى ذلك إلى وجود هوة كبيرة ومتزايدة باستمرار في الوقت الراهن بين القدرات العسكرية للولايات المتحدة وبين قدرات حلفائها الأوروبيين. وعلى الرغم من ذلك، فإن الولايات المتحدة ترى أن أوروبا تصر على بناء قوة عسكرية على الورق على الأقل يبلغ قوامها ٦٠ ألف جندي يتم سحبهم من قوات الناتو ونشرهم في دول الاتحاد الأوروبي لدعم المهام التي تتم خارج المنطقة والتي يقرر الناتو أو الولايات المتحدة في الحقيقة عدم القيام بها أو دعمها. وعلى ما يبدو فإنه لا يوجد حتى الآن تحديد دقيق للقدرات العسكرية التي تحتاجها هذه القوة، وهو ما يدعو للقول: أن هذه القوة ليست صعبة لتقوية العلاقات الأمنية الشمال أطلسية ولكن لإضعافها.

وعلى النقيض من حلفائنا الأوروبيين تمتلك اليابان قوة عسكرية يتم تطويرها بعناية ودأب كي تصبح قوة إقليمية ذات شأن في نهاية المطاف ومع ذلك فإن هناك إحساساً متنامياً بأن اليابان تواجه تحديات حقيقية لأمنها تأتي من جانب الصين في المقام الأول فالخبراء اليابانيون يرون أن قدرة أميركا على المحافظة على الاستقرار في المنطقة تتقلص بشكل مطرد ويخشون أن ينتهي الأمر بحرب صينية أميركية يقود إليها نزاع يقع بين الدولتين حول تايوان، كما يخشى اليابانيون أيضاً أن يؤدي سعي الولايات المتحدة إلى بناء منظومة صواريخ باليستية إلى دفع الصين إلى تجاوز كافة التوقعات الأمريكية وزيادة حجم قواتها النووية بدلاً من المنظومات الأمنية، وهم يخشون أيضاً أن تسير الهند في الطريق نفسه لمعادلة القدرات الصينية مما يؤدي إلى الدخول في دورة جديدة من التسابق النووي مع باكستان، وهذا ما

حصل في شهر آذار من عام ٢٠٠٤ حيث قامت كل من الهند وباكستان بتطوير أسلحة صاروخية نووية تصل لنحو ٢٠٠٠كم.

ويضاف إلى ذلك أيضاً أنه توجد لدى اليابان أسباب وجيهه تدفعها للشعور بالقلق من برامج الصواريخ الباليستية النووية لكوريا الشمالية ومع وجود كل تلك الاحتمالات فإنه ليس من المستغرب أن يقوم المسؤولون اليابانيون من آن إلى آخر بإطلاق بالونات اختبار يتحدثون فيها عن الخيار النووي لبلدهم.

والسياسات والمواقف التي تتبناها الولايات المتحدة تساهم في مفاقمة المشكلات الخاصة بهذين التحالفين إلى حد كبير كما يذكر في هذا الصدد أيضاً أن الولايات المتحدة تقوم في الوقت الراهن بفك تحالفاتها واستبدالها بسياسات أحادية تتسم بغرور القوة والغطرسة والإحساس بالتميز. وهي كلها صفات أصبحت مميزة لنهجها الحالي الأمر الذي يهدد بوصولنا في النهاية إلى مرحلة نجد فيها أنفسنا واقفين بمفردنا في هذا العالم.

والولايات المتحدة تسعى إلى إجراء تغييرات جوهرية في السياسة الخارجية بحيث تتخلى عن الهدف الخاص بإنشاء نظام عالمي قائم على المؤسسات التعددية ومدعوم بتحالفات أمنية يكون مركزها ومستقرها في الولايات المتحدة وتنوي الولايات المتحدة أن تتبنى بدلا من ذلك الهدف الخاص بإنشاء نظام عالمي يخدم المصالح الأمريكية ويقوم على التفوق العسكري والاقتصادي مع القيام في الوقت نفسه ببذل أقصى جهد ممكن لتلافي التورط في أية التزامات طويلة الأمد سواء في صورة عمليات عسكرية أو عمليات لإعادة اعمار الدول التي تحتلها وتدمرها.

وبمعدل التقدم الحالي للإدارة الأمريكية فإن العودة إلى الوضع القائم سابقاً لن يمثل خياراً مناسباً، وبالتالي فإن الموضوع الذي ينبغي التفكير فيه ليس هو العودة إلى ما كان قائماً ولكن بحث كيفية التقدم إلى الأمام وهذا هو السبب الذي يجعل الولايات المتحدة تقول أنها في حاجة إلى جيل ثان من التحالفات الدولية الجديدة.

وترى الولايات المتحدة أن أوروبا والولايات المتحدة يستطيعان أن يتخذا من الخطوات ما يمكنها من التأكد من أن قوة رد الفعل السريع الجديدة لن تزيد عن كونها جزءاً من حلف الناتو ثم تزويده وتدريبه للقتال على قدم المساواة مع قوات الولايات المتحدة في المهام التي تتم خارج المنطقة.

وترى الولايات المتحدة أنه يجب على الأوروبيين أن يركزوا على فهم الاتجاهات الثورية في القدرات والعقيدة العسكرية للولايات المتحدة الأمريكية وأن يخططوا لتطوير قوة رد فعل سريع قادرة على اللحاق بهذه القدرات خلال عدد معين من السنوات وهذا الخيار يعتبر أقل صعوبة بكثير من الناحية التقنية والمالية من محاولة تطوير تحالف كامل.

كما ترى الولايات المتحدة أنه يجب على اليابان من جانبها ان تجد طريقة تتمكن بها من إزالة أو على الأقل تخفيف قيودها الدستورية التي تمنع مشاركة قواتها العسكرية خارج حدود اليابان كما يجب عليها أيضاً تخفيف القيام بتحديد الأشكال الرئيسية للتعاون المستقبلي مع الولايات المتحدة وإيجاد طريقة إما لتصميم تلك الأشكال بحيث تكون متماشية مع الدستور ذاته بما يمكنها من تطوير العلاقات الأمنية المشتركية مع الولايات المتحدة.

وهذا الموضوع يصل إلى أحرج مراحلة عندما يتعلق الأمر بمنظومة الدفاع الصاروخي الأمريكي. ففي الوقت الحالي بالذات تفترض اليابان أن دستورها هو الذي يحول دون تحقيق أي نوع من التكامل بين منظوماتها ومنظومات الولايات المتحدة الخاصة بالدفاع ضد خطر الصواريخ البالستية، وهي عندما تفترض ذلك فإنها تكون قد قامت بإعاقة تحقيق التعاون الفعال ضد الجزء الأكثر خطورة من التهديد الأمني الذي يواجهها. قد تكون هناك طرق للالتفاف حول هذه المشكلة وهي طريقة يجب على كل من الولايات المتحدة واليابان أن تجعلا التوصل إليها أولوية قصوى بالنسبة لهما.

والولايات المتحدة بالذات مطالبة بتقديم تصور شامل على الكيفية التي يمكن بها إدخال آسيا في مرحلة تتغير فيها علاقات القوى من اجل تحقيق نوع من التوازن مع القدرات الصينية المتنامية بشكل حثيث.

وعلاوة على ذلك ترى الولايات المتحدة أنه يجب ان تسعى إلى تحقيق ذلك بواسطة طرق غير القوة العسكرية على الأقل في البداية مع القيام في الوقت نفسه بالمحافظة على تلك القوة كي تكون بمثابة خيار أخير يتم اللجوء إليه عند اللزوم.

كما تسعى الولايات المتحدة إلى إحداث تغير جوهري في الصين وإجراء ترتيبات أمنية ملائمة لمواجهة القوة الصينية المتزايدة مع إحاطة ذلك بسياج متين

من خلال وضع لبنات بناء نظام دفاعي إقليمي مشترك وليس مطلوباً إنشاء تحالف رسمي، وإنما المطلوب هو تشجيع الاهتمام بالأمن الجماعي في كافة أرجاء المنطقة، وهو الأمن القادر على خلق تحالفات مفصلة حسب الطلب ولأغراض محددة مع التزويد في الوقت نفسه بالوسائل والقدرات اللازمة لخوض عمليات عسكرية مشتركة وفاعلة بصورة مشتركة مع الولايات المتحدة الأمريكية.

وفي أوروبا كما في آسيا تعتقد الحكومات اعتقادا جازما أن هدف التحالف بقيادة الولايات المتحدة في الوقت الراهن يمتد ليشمل الحاجة إلى الانخراط في جهد جماعي مستقبلي ضد مرض ينتشر كالوباء وهو التدهور البيئي، وانتشار الفقر، وعندما تنسى دول العالم ضرورة المحافظة على القدرة في العمل الدفاعي العسكري الجماعي فإنها تكون بذلك قد نسيت أو تجاهلت دروس الماضي. أما عندما تقوم الولايات المتحدة بمحاولة تخفيض التزاماتها إلى أقصى حد فيما يتعلق بجميع الموضوعات باستثناء موضوع الأمن في صورته المادية تكون الولايات المتحدة حينئذ قد أخفقت في تحقيق التزامها الأساسي بالقيادة المتمثل في القيام برسم خريطة لمستقبل جدير بتحقيق طموحاتها .

وترى الولايات المتحدة أن أهم أهداف الجيل الثاني من التحالفات لم تعد أهدافاً إقليمية بحتة ولكنها أصبحت أهدافاً عالمية وهذه الأهداف لم تعد كذلك أهدافاً عسكرية بحتة ولكنها أهداف عالمية، وهذه الأهداف لم تعد كذلك مجتمعية ولتحقيق هذه الأهداف فان الولايات المتحدة تبقى هي الدولة التي لا غنى عنها ليس بتأثير العرف أو نتيجة لحق الهي ولكن بفضل رؤيتها الواضحة والتزاماتها الدائمة في كافة المجالات.

التحول في العلاقة الأمريكية - الروسية

عندما وقع الرئيس الأمريكي والرئيس الروسي إعلاناً مشتركا عن وضع إطار استراتيجي جديد للعلاقات الأمريكية - الروسية في موسكو في ٢٤ أيار مايو من عام ٢٠٠٢. وضع البلدان في مسار يفضي مباشرة إلى علاقة متحولة هذه العلاقة المتحولة تعد بخدمة مصالح البلدين في السنوات القادمة.

فالإعلان المشترك يقوم بإرجاع دور سياسة القوة العسكرية في العلاقات الأمريكية - الروسية إلى موضعها الصحيح أثناء الحرب الباردة. فأصبحت سياسة

القوة العسكرية هي المهيمنة إن لم نقل المحددة بالكامل للعلاقة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وفرضت هذه العلاقة أعباء ثقيلة على مواطني البلدين وبالأخص على مواطني الاتحاد السوفيتي، أما العلاقة المتحولة بين الولايات المتحدة وروسيا فتتيح للجانبين التخلص من هذه الأعباء واغتنام فرص جديدة للتنمية الاقتصادية.

ومن وجهة نظر الجغرافيا السياسية فإن العلاقة المتحولة لا تعدو كونها انعكاسا لتفوق قوة الولايات المتحدة على قوة روسيا، وأنها أمر فرضته الولايات المتحدة على الحكومة الروسية على حساب الشعب الروسي، وفي حين يبدو واضحاً ان الولايات المتحدة هي أقوى الدولتين في هذا الوقت، وان سياسات القوة ستلعب دائما دورا مهما في العلاقة بينهما فان هذا التحليل لا يأخذ في الحسبان حقيقة غياب هيمنة سياسة القوة العسكرية الأمريكية في عام ٢٠٠٣ عندما انفردت في غزو العراق متجاهلة كل الرأي العام العالمي بما فيه رأي معظم الشعب الأمريكي.

الاتحاد السوفيتي وهيمنة سياسة القوة العسكرية

تأسس الاتحاد السوفيتي كدولة تمجد تكديس القوة لاسيما قوة الدولة والأيديولوجية الشيوعية التي شرعت النظام، نتيجة لذلك دفعت الدولة إلى اعتبار القوة وسيلة لبسط نفوذها على الدول الشيوعية، ودفعت الدولة أيضاً إلى أن تطلب من الشعب الروسي أن يبذل دائما المزيد من التضحيات خدمة لهدف زيادة قوتها ومكانتها، هذا الرأي للساسة الأمريكان هو رأي مرحلي تحاول الولايات المتحدة إشاعته بعد انهيار الاتحاد السوفيتي.

وعلى الصعيد الدولي دفع الهدف نفسه نظام الاتحاد السوفيتي إلى قياس هيبته بقدرته على تهريب وإكراه دول أخرى مجاورة له على الالتزام بسياسته، ودفع الشعب السوفيتي ثمناً مريعاً لطموحات الدولة السوفيتية، فتم حرمان الناس من الحرية الشخصية وأصبح الاقتصاد عسكرياً بصورة مفرطة وهبط مستوى المعيشة كل ذلك بسبب تآزر القوى الغربية ضد الاتحاد السوفيتي.

إن السعي إلى القوة على حساب قيم أخرى أمر لا يمكن الحفاظ عليه، ومصيره الفشل كما اكتشف الاتحاد السوفيتي في نهاية المطاف أن قدراته كقوة عظمى كانت بالحقيقة تجابه من كل القوى الغربية .

وإن مطالب الاتحاد السوفيتي من شعبه أدت في نهاية الأمر إلى إصابة المجتمع بالإعياء، فالدولة كانت تأخذ من الناس ولا تعطيهم في المقابل سوى الإعلان عن مكانتها كقوة عظمى.

على نقيض ذلك سعت الولايات المتحدة إلى القوة، وطالبت شعبها بذل التضحيات فيما كانت توفر إمكانية المزيد من الازدهار. فالحكومة والقوة خدمتا الشعب بعكس ما كانت عليه الحال في الاتحاد السوفيتي حيث كان الشعب يخدم الحكومة من اجل إشباع الدولة التي لا تشبع إلى المزيد من القوة.

كان الفارق بين البلدين كقوتين عظميين واضحا، فقد تبين أن قيام الولايات المتحدة ببناء وتكديس القوة، حيث عملت القوة على تحسين نصيب الشعب الأمريكي في الحياة كان اكثر قابلية للبقاء والعكس صحيح بالنسبة للشعب السوفيتي.

إن المواجهة بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة إبان الحرب الباردة زادت من الضغط عل الشعب السوفيتي وسرّعت معدل الأعباء، وفي نهاية الأمر كان السؤال الذي واجهه الشعب السوفيتي هو ما إذا كانت المنافسة مع الولايات المتحدة على القوة جديرة بالتضحيات التي يبذلها الشعب السوفيتي، وبحلول نهاية عام ١٩٩١ انهار الاتحاد السوفيتي تماماً وتفسخ إلى ١٥ دولة، ووضعت الحرب الباردة أوزارها منذ عام ١٩٩١ وشعب روسيا يواجه السؤال عما إذا كان البدء في محاولة تحقيق قوة تضاهي قوة الاتحاد السوفيتي في وجه الولايات المتحدة يتم مرة أخرى، وللإجابة على السؤال لا بد من فهم المبادئ الجيوستراتيجية للولايات المتحدة في القرن الواحد والعشرين.

في ٢٤ أيار مايو ٢٠٠٢ وقع الرئيسان الروسي والأمريكي إعلاناً عن إطار استراتيجي جديد جاء رداً على هذا السؤال في جزء منه ما يعنيه الإعلان ضمناً هو أن حكومتي روسيا والولايات المتحدة تضعان الشعب الروسي في المقام الأول وتكديس القوة العسكرية كغاية في حد ذاتها في المقام الأخير.

الإسهامات الروسية والأمريكية في إطار العمل الاستراتيجي الجديد

هناك عدد من الطرق المحددة أسهمت فيها روسيا والولايات المتحدة مجتمعتين ومنفردتين في إقامة إطار العمل الاستراتيجي الجديد، ولكن من المناسب

في البداية التنويه باسهامين-لكلا هاتين الحكومتين. الإسهام العام للحكومـة الروسـية في إطـار العمل الاستراتيجي هو إدراكها أنها ليست بحاجة إلى قياس قيمتها الذاتية على أسـاس مـا إذا كان لديها من القوة العسكرية اكثر مما لدى الولايات المتحـدة، بـل أنهـا تبـدو الآن مسـتعدة للحكم على نجاحها بمقياس قدرتها على تحسين نوعية حياة شعبها. وكما ينص الإعلان على أن (الولايات المتحدة وروسيا) تدركا بأن أمن وازدهار شعبيهما وآمـالهما بالمسـتقبل تعتمـد عـلى وجود بيئة أمنية مسالمة ودعـم الحريـات السياسـية والاقتصـادية والتعـاون الـدولي وبخـلاف الاتحاد السوفيتي يبـدو أن الحكومـة الروسـية تضـع أولوياتهـا الترتيـب الصـحيح ولعـل مـن المفارقات أن الأولويات الجديدة تحسن بالفعل احتمالات تمكـن روسـيا مـن تجديـد وتقويـة نفسها بمرور الزمن.

والإسهام الأمريكي الرئيسي ضمن إطار العمل الاستراتيجي مماثل لما قامت بـه إسـهامات أخرى في مجالات أخرى: التصرف بصداقة تجـاه الأعـداء السـابقين، فقـد اسـتطاعت الولايـات المتحدة احتواء دول أوروبا الشرقية التي كانـت في يـوم مـا تـدور في فلـك الاتحـاد السـوفيتي لتصبح جزءاً من السياسية الأمريكية بل مساهمة معها في حربها في العراق عام ٢٠٠٣.

إطـار العمـل الاستراتيجـي بين روسيـا والولايـات المتحـدة:

تتمثل العناصر الإيجابية لإطار العمل الاستراتيجي الجديد بالنسـبة إلى الشـعب الـروسي بالآتي:

١. تحسن احتمالات السلام على الجبهة الروسية الغربيـة وفي مـا يخـص الشـؤون الإقليميـة يقرب إطار العمل الاستراتيجي الجديد روسيا من الهيكلة الأمنية التـي يقودهـا الحلـف الأطلسي في أوروبـا، تسـاعد هـذه الهيكلـة التـي قامـت بعـد الحـرب البـاردة في تقليـل احتمالات اضطراب الأمـن والنـزاع المسـلح في أوروبـا. نتيجـة لـذلك لا يواجـه الشـعب الروسي خطر وقوع نزاع عسكري ينبع من بلدان تقع إلى الغرب من روسيا.

٢. حرب اكثر فعالية على الجريمة المنظمة تشكل الجريمة المنظمة مشكلة خطـيرة في روسـيا والولايات المتحدة. ويعزز إطار العمل الاستراتيجي الجديد

التعاون بين روسيا والولايات المتحدة في هذا المجال البالغ الأهمية. وفي كانون الثاني من عام ٢٠٠٤ دخلت المعاهد الأمريكية الروسية حول المساعدة المتبادلة في الشؤون الإجرامية حيز التنفيذ، تهدف المعاهدة إلى المساعدة في خفض إمكانية تعرض الشعب الروسي والشعب الأمريكي للأخطار بسبب نشاطات الجريمة المنظمة الدولية.

٣. تحسن الإمكانيات الاقتصادية المستقبلية: تكمن في زيادة الفرص الاقتصادية في صلب الجهد الرامي إلى تحسين معيشة الشعب الروسي والشعب الأمريكي، ويتصور إطار العمل الاستراتيجي الجديد دمج روسيا في الاقتصاد العالمي بالموافقة على انضمامها إلى منظمة التجارة العالمية.

ولقد قطع الرئيس الأمريكي وعداً راسخاً بأن يقنع الكونغرس بتخليص روسيا من مفاعيل تعديل جاكسون- فانيك، وهو تشريع من أيام الحرب الباردة يهدف إلى توفير حرية الهجرة من الاتحاد السوفيتي.

٤. تكون الولايات المتحدة مستعدة للعمل مع روسيا في مجال استكشاف وتطوير الطاقة.

٥. المساعدة في مكافحة الإرهاب الدولي تلقت الولايات المتحدة ضربه قوية في ١١ أيلول ٢٠٠١، ومنذ ذلك الوقت تحاول التفاهم مع روسيا وجميع دول العالم بالوقوف جنبها لضرب كل ما تعتقد الولايات المتحدة أن له صلة بمن نفذوا هجمات ١١ أيلول ٢٠٠١.

٦. استقرار استراتيجي أكبر وعبء دفاعي أصغر: إن توقف روسيا عن اعتماد سياسة القوة كأساس لعلاقتها مع الولايات المتحدة أتاح لها ان توقع معاهدة مع الولايات المتحدة تقضي بتخفيض عدد الرؤوس النووية المنشورة إلى ما بين ١٧٠٠-٢٢٠٠ لكل جانب. هذا الأمر سيساعد في تقليص العبء الدفاعي المفروض على الاقتصاد الروسي. كما ان تدابير الشفافية ستحد إلى اقل قدر ممكن من احتمال وقوع مجابهة استراتيجية بين الدولتين، ويشكل التعاون في الدفاع الصاروخي جزءاً من إطار العمل الاستراتيجي بين روسيا والولايات المتحدة الأمر الذي يتيح للبلدين التصدي لخطر انتشار الصواريخ[٨].

وتهـدف الولايـات المتحـدة مـن توقيعهـا مـع الاتحـاد السـوفيتي إعلانـاً يوضـح الإطـار الإستراتيجي الجديد بين روسيا والولايات المتحدة في ٢٤ أيار ٢٠٠٢ إلى إقنـاع الشـعب الـروسي فلا يكون سلبياً ومتردداً، كما قال ماشال ليبمان، في دعم سياسة تعاونية مع الولايات المتحـدة بل عليه أن يبتهج فهو سوف يتلقى فوائد ملموسة من علاقة الولايات المتحـدة وروسـيا التـي لم تعد موجهة نحو المحاولات اليائسة لتحقيق موقع هيمنـة، بقيـام هـذه العلاقـة لـن يبقـى الشعب الروسي مطالباً من حكومته بتقديم التضحيات باسم المنافسة السياسية مـع الولايـات المتحدة، ولذلك يجب أن يدرك هذه الفرصة المتاحة له بفعل العلاقة الجديـدة بـين الولايـات المتحدة وروسيا ولكن ما مدى إيمان الشعب والحكومة الروسية بهذه الطروحات الأمريكية.

نص المشروع الأمريكي لـ (الشرق الأوسط الكبير)

المشروع يهدف للحفاظ على مصالح أمريكيا وحلفائها بتغيير الأنظمة وبناء مجتمع معرفي وتوسيع الفرص الاقتصادية

أوروبا لم تستشر والدول العربية لم تتلق مضمونه

نص مشروع "الشرق الأوسط الكبير" الـذي يعتـبر الشرـق الأوسـط منطقـة عنـد مفـترق طرق. مقرراً أن البديل هو الطريق إلى الإصلاح الذي "استجاب له عدد من الـزعماء". ويقـول أن بلدان مجموعـة الــ ٨ الصـناعية أيـدت هـذا الخيـار مشـيراً في هـذا المجـال إلى "الشرـاكة الأوروبية المتوسطية" ومبادرة الشراكة ين الولايات المتحـدة والشرـق الأوسـط وجهـود إعـادة الاعمار المتعددة الأطراف في أفغانستان والعراق.

وتعمل واشنطن للحصول على تأييد كامل من مجموعـة الـدول الـثماني لمبادرتهـا هـذه. وتعد لإطلاقها في قمة دول المجموعة في سي إيلاند في ولاية جورجيا في حزيران من عام ٢٠٠٤، ولذا وزعت الإدارة الأمريكية ورقة العمل على دول المجموعة ولم تبادر بعـد إلى إبـلاغ الـدول العربية مضمونها.

وتحمل هذه الشراكة من دون شريك في طياتها مشروعا أمريكيا لتغيير أنظمة الحكم وإدارة شؤون الشرق الأوسط من منظور الإدارة الأمريكية التي ستجعل منه ركيزة للحملة الانتخابية للرئيس الأمريكي الحالي.

وتحدد ورقة العمل المشروع بـ الحفاظ على مصالح الولايات المتحدة الأمنية ومصالح حلفائها وتركز على الدفاع باتجاه إعادة تشكيل منطقة الشرق الأوسط عبر الإصلاح الاقتصادي والاجتماعي وإذ تتحدث الورقة عن تشجيع الديموقراطية والحكم الصالح فإنها ترمي إلى تغيير سياسي على المدى الطويل وهو ما سبق لكثير من المسؤولين الأمريكيين أن أشاروا إليه بمعنى تغيير الأنظمة لكنه تغيير بمنظور أمريكي ووفقا لتقويم أمريكي لمنطقة واسعة تعتبرها واشنطن ذات نمط واحد لا تمايز فيها وفقاً لملاحظات محللين سياسيين رأوا فيه أيضاً مشروعا قائما على فرض نموذج وقيم أمريكية بشكل أبوي ويحمل في طياته خطراً حقيقياً نظراً إلى تعقيد الأمور في دول المنطقة التي بدأت مساراً إصلاحياً في ظل وضع معقد وحساس، ولا تتضمن ورقة العمل أي إشارة إلى موافقة المنطقة على المشروع الذي لا يمكن أن يكون أكثر فاعلية لو حظي بتشاور أوسع لذا يطرح المحللون تساؤلات عن سبل إنجاح مثل هذه الشراكة من دون حل للصراع العربي الإسرائيلي وفي غياب الاستقرار في العراق ونية الولايات المتحدة إحياء عصر الاستعمار على حساب الدول العربية.

وإذا توحي الخطوة الأمريكية بأن مجموعة الدول الثماني تحولت حلفاً سياسياً للحفاظ على مصالح تعتبرها الإدارة الأمريكية مشتركة فإن الدول الصناعية نفسها لم تستشر مسبقاً، ويقول خبيرٌ أوروبي أن ما حاولت أوروبا تجنبه من خلال رفضها الحرب على العراق قد تجد نفسها مضطرة إليه من خلال تورطها في هذه الشراكة المبهمة التي قد تحول مجموعة ألـ ٨ أداة لهيمنة الولايات المتحدة التامة على أوروبا التي تمثل أحياناً للدول العربية بديلاً من سياسة **أمريكية غير مقبولة في الشرق الأوسط.**

وتستند ورقة العمل الأمريكية إلى تقرير عامي ٢٠٠٢و ٢٠٠٣ لبرنامج التنمية التابع للأمم المتحدة بشأن العالم العربي لكنها تختار منه ما يناسبها. ومع أن تقرير التنمية هذا يشير إلى أن الاحتلال الإسرائيلي عائق أساسي أمام التنمية في العالم العربي إلا أن الورقة لا تأتي على ذكر هذا الصراع. وعلى الرغم أن تقرير التنمية

يختص بالعالم العربي إلا أن الورقة الأمريكية تقدم الشرق الأوسط على أنه المنطقة الممتدة من المغرب إلى باكستان وتشمل أيضاً أفغانستان وتركيا وإيران وإسرائيل.

أن الورقة ترى كل هذه الدول كأنها متماثلة، وأن الإصلاح يمكن أن يطبق عليها بشكل واحد، في حين أن لكل من هذه الدول التي يجمع بينها الإسلام باستثناء إسرائيل خصوصيات تميز بعضها عن بعض وتحدد الورقة الأمريكية أولويات مشتركة للإصلاح في ثلاثة اتجاهات:

- تشجيع الديموقراطية والحكم الصالح.
- بناء مجتمع معرفي.
- توسيع الفرص الاقتصادية.

وفي الورقة تركز الولايات المتحدة في مجال تشجيع الديموقراطية على: مبادرة الانتخابات الحرة، تعزيز دور البرلمانات، زيادة مشاركة النساء في الحياة السياسية والمدنية، المساعدة القانونية للناس العاديين مبادرة وسائل الإعلام المستقلة، مكافحة الفساد، حرية العمل لمنظمات المجتمع المدني وتعزيزها، تمويلاً للتقنية والتكنولوجيا وبالنسبة إلى الاتجاه الثاني بناء مجتمع معرفي تركز الورقة على: مبادرة التعليم الأساسي ومحو الأمية وإصلاح التعليم، والتعليم بالإنترنت، وتدريس إدارة الأعمال. أما في شأن الاتجاه الثالث توسيع الفرص الاقتصادية فتركز على:

١. مبادرة تمويل النمو عبر: إقراض المشاريع الصغيرة ومؤسسة المال للشرق الأوسط الكبير وبنك تنمية الشرق الأوسط الكبير تنفيذ خطط الإصلاح التي تخفض سيطرة الدولة على الخدمات المالية..

٢. مبادرة التجارة الانضمام إلى منظمة التجارة الدولية، المناطق التجارية، مناطق رعاية الأعمال...)

النـص الكامـل للمشـروع الأمريكـي[٩]:-

يمثل الشرق الأوسط الكبـير (١) تحـديات وفرصـة فريـدة للمجتمـع الـدولي. وسـاهمت النواقص الثلاثة التي حددها الكتاب العرب لتقريـري الأمـم المتحـدة حـول التنميـة البشريـة العربية للعامين ٢٠٠٢و ٢٠٠٣ الحرية المعرفـة وتمكـين النسـاء في خلـق الظـروف التـي تهـدد المصالح الوطنية لكل أعضاء المجموعة الـ ٨ وطالما تزايد عدد الأفراد المحرومين مـن حقـوقهم السياسـية والاقتصـادية في المنطقـة سنشـهد زيـادة في التطـرف والإرهـاب والجريمـة الدوليـة والهجرة غير المشروعة. إن الإحصائيات التي تصـف الوضـع الحـالي في الشرق الأوسـط الكبـير مروعة:

١- مجموع إجمالي الدخل المحلي لبلدان الجامعـة العربيـة ألــ ٢٢ هـو أقـل مـن نظـيره في إسبانيا.

٢- حوالي ٤٠ في المئة من العرب البالغين ٦٥ مليون شخص أميون وتشكل النساء ثلثـي هـذا العدد.

٣- سيدخل أكثر من ٥٠ مليونـاً مـن الشـباب سـوق العمـل بحلـول ٢٠١٠، وسـيدخلها ١٠٠ مليـون بحلـول ٢٠٢٠ وهنـاك حاجـة لخلـق مـا لا يقـل عـن ٦ ملايـين وظيفـة جديـدة لامتصاص هؤلاء الوافدين الجدد إلى سوق العمل.

٤- إذا استمرت المعدلات الحالية للبطالة سيبلغ معدل البطالة في المنطقة ٢٥ مليوناً بحلـول ٢٠١٠.

٥- يعيش ثلث المنطقة على أقل من دولارين في اليوم، ولتحسين مسـتويات المعيشـة يجـب أن يزداد النمو الاقتصادي في المنطقة أكثر من الضعف في مستواه الحالي الـذي هـو دون ٣ في المئة إلى ٦ في المئة على الأقل.

٦- في إمكان ٦.١ في المئة فقط من السكان استخدام الإنترنت وهو رقم أقل مما هو عليه في أي منطقة أخرى في العالم بما في ذلك بلدان أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى.

٧- لا تشغل النساء سوى ٥.٣ في المئة فقط من المقاعد البرلمانية في البلدان العربية.

٨- عبر ٥١ في المئة من الشبان العرب الأكبر سناً عن رغبتهم في الهجرة إلى بلدان أخرى وفقا لتقرير التنمية البشرية العربية للعام ٢٠٠٢ والهدف المفضل لديهم هو البلدان الأوروبية.

وتعكس هذه الإحصائيات أن المنطقة تقف عند مفترق طرق ويمكن للشرق الوسط الكبير أن يستمر على المسار ذاته ليضيف كل عام المزيد من الشباب المفتقرين إلى مستويات لائقة من العمل والتعليم والمحرومين من حقوقهم السياسية، وسيمثل ذلك تهديداً مباشراً لاستقرار المنطقة وللمصالح المشتركة لأعضاء مجموعة الثماني.

البديل هو الطريق إلى الإصلاح ويمثل تقريرا التنمية البشرية العربية نداءات مقنعة وملحة للتحرك في الشرق الأوسط الكبير وهي نداءات يرددها نشطاء وأكاديميون والقطاع الخاص في أرجاء المنطقة وقد استجاب بعض الزعماء في الشرق الوسط الكبير بالفعل لهذه النداءات واتخذوا خطوات في اتجاه الإصلاح السياسي والاجتماعي والاقتصادي، وأيدت بلدان مجموعة الثماني بدورها هذه الجهود بمبادراتها الخاصة للإصلاح في منطقة الشرق الأوسط وتبين الشراكة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط وجهود إعادة لأعمار المتعددة الأطراف في أفغانستان والعراق والتزام مجموعة الثماني بالإصلاح في المنطقة.

أن التغيرات الديموغرافية المشار إليها أعلاه ونشوء نبضات الديموقراطية في أرجاء المنطقة بمجموعها تتيح لمجموعة الثماني فرصة تاريخية وينبغي للمجموعة في قمتها في سي أيلاند أن تصوغ شراكة بعيدة الأمل مع قادة الإصلاح في الشرق الأوسط الكبير وتطلق ردا منسقا لتشجيع الإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي في المنطقة. ويمكن لمجموعة الثماني أن تتفق على أولويات مشتركة للإصلاح تعالج النواقص التي حددها تقريرا الأمم المتحدة حول التنمية البشرية العربية عبر:

- تشجيع الديموقراطية والحكم الصالح.
- بناء مجتمع معرفي
- توسيع الفرص الاقتصادية

وتمثل أولايات الإصلاح هذه السبيل إلى تنمية المنطقـة: فالديموقراطيـة والحكـم الصـالح يشكلان الإطار الذي تتحقق التنمية، والأفراد الذين يتمتعون بتعليم جيد هم أدوات التنميـة والمبادرة في مجال الأعمال هي ماكينة التنمية.

أولاً: تشجيع الديموقراطية والحكم الصالح

توجد فجوة كبيرة بين البلدان العربية والمناطق الأخرى على صعيد الحكـم القـائم عـلى المشاركة ويضعف هذا النقص في الحرية التنمية البشـرية وهـو أحـد التجليـات الأكـثر إيلامـاً للتخلف في التنمية السياسية (تقرير التنمية البشرية ٢٠٠٢).

أن الديموقراطية والحرية ضروريتان لازدهار المبادرة الفريدة لكنهما مفقودتـان إلى حـد بعيد في أرجاء الشرق الأوسط الكبير وفي تقرير فرويد هاوس للعام ٢٠٠٣ كانت إسرائيل البلد الوحيد في الشرق الأوسط الكبير. الذي صنف بأنه "حر". ووصفت أربعـة بلـدان أخـرى فقـط بأنها "حرة جزئياً". ولفت تقرير التنمية البشرية العربية إلى أنه من بين سبع مناطق في العالم حصلت البلدان العربيـة عـلى أدنى درجـة في الحريـة في أواخـر التسـعينات وأدرجـت قواعـد البيانات التي تقيس التعبير عن الـرأي والمسـاءلة المنطقـة العربيـة في المرتبـة الأدنى في العـالم. بالإضافة إلى ذلك لا يتقدم العالم العربي إلا على أفريقيا جنوب الصحراء الكـبرى عـلى صـعيد تمكين النساء من المشاركة بالبرلمانات. ولا تنسجم هذه المؤشرات المحبطة إطلاقاً مع الرغبات التي يعبر عنها سكان المنطقة في تقرير التنمية البشرية العربية للعام ٢٠٠٣. على سبيل المثال تصدر العرب لائحة من يؤيد في أرجاء العالم الـرأي القائـل بـأن الديموقراطيـة افضـل مـن أي شكل آخر للحكم وعبروا عن أعلى مستوى لرفض الحكم الاستبدادي.

مبـادرة الانتخابـات الحـرة

في الفترة بين ٢٠٠٤و ٢٠٠٦ أعلنت بلدان عدة في الشرق الأوسط الكبير (٢) نيتهـا إجـراء انتخابات رئاسية أو برلمانية أو بلدية.

وبالتعاون مع تلك البلدان التي تظهر اسـتعداداً جـدياً لأجـراء انتخابـات حـرة ومنطقـة يمكن لمجموعة الثماني أن ستقدم بفاعلية مساعدات لمرحلة ما قبل الانتخابات بـ:

تقديم مساعدات تقنية عبر تبادل الزيارات أو الندوات لإنشاء أو تعزيز لجان انتخابية مستقلة لمراقبة الانتخابات والاستجابة للشكاوى ومناقشة التقارير الانتخابية. تقديم مساعدات تقنية لتسجيل الناخبين والتربية المدنية إلى الحكومات التي تطلب ذلك مع تركيز خاص على الناخبات.

الزيارات المتبادلة والتدريب على الصعيد البرلماني

من أجل تعزيز دور البرلمانات في دمقرطة البلدان يمكن لمجموعة الثماني أن ترعى تبادل زيارات لأعضاء البرلمانات مع تركيز الاهتمام على صوغ التشريعات وتطبيق الإصلاح التشريعي والقانوني وتمثيل الناخبين.

معاهد للتدريب على القيادة خاصة بالنساء

تشغل النساء ٥.٣ في المئة فقط من المقاعد البرلمانية في البلدان العربية. ومن أجل زيادة مشاركة النساء في الحياة السياسية والمدنية يمكن لمجموعة الثماني ان ترعى معاهد تدريب خاصة بالنساء تقدم تدريبا على القيادة للنساء المهتمات بالمشاركة في التنافس الانتخابي على مواقع في الحكم أو إنشاء تشغيل منظمة غير حكومية. ويمكن لهذه المعاهد ان تجمع بين قياديات من بلدان مجموعة الثماني والمنطقة.

المساعدة القانونية للناس العاديين

في الوقت الذي نفذت فيه الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي مبادرات كثيرة لتشجيع الإصلاح القانوني والقضائي فان معظمها يجري على المستوى الوطني في مجالات مثل التدريب القضائي والإدارة القضائية وإصلاح النظام القانوني ويمكن لمبادرة من مجموعة الثماني أن تكمل هذه الجهود بتركيز الانتباه على مستوى الناس العاديين في المجتمع حيث يبدأ التحسس الحقيقي للعدالة. ويمكن لمجموعة الثماني أن تنشئ وتمول مراكز يمكن للأفراد أن يحصلوا فيها على مشورة قانونية بشأن القانون المدني أو الجنائي أو التشريعي ويتصلوا بمحامي الدفاع (وهي غير مألوفة إلى حد كبير في المنطقة) كما يمكن لهذه المراكز أن ترتبط بكليات الحقوق في المنطقة.

مبــادرة وسائــل الإعــلام المستقلــة

يلفت تقريـر التنميـة البشرـية العربيـة إلى أن هنـاك اقـل مـن ٥٣ صـحيفة لكـل١٠٠٠ مواطن عربي بالمقارنة مع ٢٨٥ صحيفة لكل ألـف شـخص في البلـدان المتطـورة وان الصـحف العربية التي يتم تداولها تميل إلى أن تكـون ذات نوعيـة رديئـة ومعظـم بـرامج التلفزيـون في المنطقة تعود ملكيتها إلى الدولة أو تخضع لسيطرتها وغالبا ما تكون النوعية رديئـة إذ تفتقـر البرامج إلى التقارير ذات الطابع التحليلي والتحقيقـي ويقـود هـذا الـنقص إلى غيـاب اهـتمام الجمهـور وتفاعلـه مـع وسـائل الإعـلام المطبوعـة ويحـد مـن المعلومـات المتـوفرة للجمهـور. ولمعالجة ذلك يمكن لمجموعة الثماني أن:

١- ترعى زيارات متبادلة للصحافيين وفي وسائل الإعلام المطبوعة والإذاعية.
٢- ترعى برامج تدريب لصحافيين مستقلين.
٣- تقدم زمالات دراسة لطلاب كي يداوموا في مدارس للصحافة في المنطقـة أو خـارج الـبلاد، وتمول برامج لإيفاد صحافيين أو أساتذة صحافة لتنظيم ندوات تدريب بـأن قضـايا مثـل تغطية الانتخابات أو قضاء فصل دراسي في التدريس في مدارس بالمنطقة.

الجهــود المتعلقــة بالشفافيــة / مكافحــة الفســاد

حدد البنك الدولي الفساد باعتباره العقبة المنفـردة الأكـبر في وجـه التنميـة وقـد أصـبح متأصلاً في الكثير من بلدان الشرق الأوسط الكبير ويمكن لمجموعة الثماني أن:

١- تشجع على تبني مبادئ الشفافية ومكافحة الفساد الخاصة بمجموعة الثماني.
٢- تدعم علنا مبادرة منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية برنامج الأمم المتحـدة للتنميـة في الشرق الأوسط (شمال أفريقيا) التي ينـاقش مـن خلالهـا رؤسـاء حكومـات ومـانحون IFIS ومنظمات غير حكومية اسـتراتيجيات وطنيـة لمكافحـة الفسـاد وتعزيـز خضـوع الحكومة للمساءلة.
٣- إطلاق واحد أو أكثر من البرامج التجريبية لمجموعة الثماني حول الشفافية في المنطقة.

المجتمــع المدنـــي

أخذا في الاعتبار أن القوة الدافعة للإصلاح الحقيقي في الشرق الأوسـط الكبـير يجـب أن تأتي من الداخل، وبما أن أفضل الوسائل لتشجيع الإصـلاح هـي عـبر مـنظمات تمثيليـة ينبغـي لمجموعة الثماني أن تشجع على تطوير مـنظمات فاعلـة للمجتمـع المـدني في المنطقـة ويمكـن لمجموعة الثماني أن:

١- تشجع حكومات المنطقة على السماح لمنظمات المجتمع المـدني ومـن ضـمنها المـنظمات غير الحكومية الخاصة بحقوق الإنسان ووسائل الإعلام على أن تعمل بحريـة مـن دون مضايقة أو تعقيدات.

٢- تزيد التمويل المباشر للمنظمات المهتمة بالديموقراطية وحقوق الإنسان ووسـائل الإعـلام والنساء وغيرها من المنظمات غير الحكومية في المنطقة.

٣- تزيد القدرة التقنيـة لمـنظمات غـير الحكوميـة في المنطقـة بزيـادة التمويـل للمـنظمات المحليـة مثـل مؤسسـة وستمنسـتر في المملكـة المتحـدة أو مؤسسـة الـدعم الـوطني للديموقراطية الأمريكية لتقـديم التـدريب للمـنظمات غـير الحكوميـة في شـأن كيفيـة وضع برنامج والتأثير على الحكومة وتطوير استراتيجيات خاصة بوسائل الإعلام والنـاس العاديين لكسب التأييد كما يمكـن لهـذه الـبرامج أن تتضـمن تبـادل الزيـارات وإنشـاء شبكات إقليمية.

٤- تمول منظمة غير حكوميـة يمكـن أن تجمـع بـين خـبراء قـانونين أو خـبراء إعلاميـين مـن المنطقة لصوغ تقويمات سنوية للجهود المبذولة مـن اجـل الإصـلاح القضـائي أو حريـة وسائل الإعلام في المنطقة. يمكن بهذا الشأن الاقتـداء بنمـوذج تقريـر التنميـة البشريـة العربية.

ثانياً: بناء مجتمع معرفي

تمثل المعرفة الطريق إلى التنمية والانعتاق خصوصا في عالم يتسم بعولمة مكثفة (تقريـر التنمية البشرية العربية ٢٠٠٢).

لقد أخفقت منطقة الشرق الأوسط الكبير التـي كانـت في وقـت مضىـ مهـد الاكتشـاف العلمي والمعرفة إلى حد بعيد في مواكبة العالم الحالي ذي التوجه

المعرفي. وتشكل الفجوة المعرفية التي تعانيها المنطقة ونزف الأدمغة المتواصل تحديا لآفاق التنمية فيها ولا يمثل ما تنتجه البلدان العربية من الكتب سوى ١.١ في المئة من الإجمالي العالمي (حيث تشكل الكتب الدينية نحو ١٥% منها).

ويهاجر حوالي ربع كل خريجي الجامعات، وتستورد التكنولوجيا إلى حد كبير، ويبلغ عدد الكتب المترجمة إلى اللغة اليونانية (التي لا ينطق بها سوى ١١ مليون شخص) خمسة أضعاف ما يترجم إلى اللغة العربية.

وبالاستناد على الجهود التي تبذل بالفعل في المنطقة يمكن لمجموعة الثماني ان تقدم مساعدات لمعالجة تحديات التعليم في المنطقة ومساعدة الطلاب على اكتساب المهارات الضرورية للنجاح في السوق المعولمة لعصرنا الحاضر.

مبادرة التعليم الأساسي

يعاني التعليم الأساسي في المنطقة من نقص وتراجع في التمويل الحكومي بسبب تزايد الإقبال على التعليم متماشيا مع الضغوط السكانية كما يعاني من اعتبارات ثقافية تقيد تعليم البنات. وفي مقدور مجموعة الـ ٨ السعي إلى مبادرة للتعليم الأولى في منطقة الشرق الأوسط الكبرى تشمل هذه العناصر:

أ. محو الأمية: أطلقت الأمم المتحدة في ٢٠٠٣ برنامج عقد مكافحة الأمية تحت شعار محو الأمية كحرية. ولمبادرة مجموعة الـ ٨ لمكافحة الأمية ان تتكامل مع برنامج الأمم المتحدة من خلال التركيز على إنتاج جيل متحرر من الأمية في الشرق الأوسط خلال العقد المقبل في المنطقة إلى النصف بحلول ٢٠١٠ وستركز مبادرة مجموعة الـ ٨ مثل برنامج الأمم المتحدة على النساء والبنات. وإذا أخذنا في الاعتبار معاناة ٦٥ مليونا من الراشدين في المنطقة من الأمية يمكن لمبادرة مجموعة الـ ٨ أن تركز أيضاً على محو الأمية بين الراشدين وتدريبهم من خلال برامج متنوعة من مناهج تدريس على إنترنت إلى تدريب المعلمين.

ب. فرق محو الأمية: يمكن لمجموعة الـ٨ سعيا إلى تحسين مستوى القراءة والكتابة لدى الفتيات، إنشاء أو توسيع معاهد تدريب المعلمين مع التركيز على النساء. ولمعلمات المدارس والمختصات بالتعليم القيام في هذه المعاهد بتدريب

النساء على مهنة التعليم. (هناك دول تحرم تعليم الذكور للإناث) لكي يركزن بدورهن على تعليم البنات القراءة وتوفير التعليم الأولي لهن.

للبرنامج أيضاً استخدام الإرشادات المتضمنة في برنامج التعليم للجميع التابع لـ يونسكو بهدف إعداد فرق محو الأمية التي يبلغ تعدادها بحلول ٢٠٠٨ مئة ألف معلمة.

ج. الكتب التعليمية: يلاحظ تقرير التنمية البشرية العربية نقصا مهما في ترجمة الكتب الأساسية في الفلسفة والأدب وعلم الاجتماع وعلوم الطبيعة كما تلاحظ الحالة المؤسفة للمكتبات في الجامعات، ويمكن لكل من دول مجموعة الـ ٨ تمويل برنامج لترجمة مؤلفاتها الكلاسيكية في هذه الحقول أيضاً، وحيث يكون ذلك مناسبا تستطيع الدول أو دور النشر في شراكة بين القطاعين العام والخاص إعادة نشر الكتب الكلاسيكية العربية الخارجة عن التداول حاليا والتبرع بها إلى المدارس والجامعات والمكتبات العامة المحلية.

د. مبادرة مدارس الاكتشاف: بدأ الأردن بتنفيذ مبادرته لإنشاء مدارس الاكتشاف حيث يتم استعمال التكنولوجيا المتقدمة ومناهج التعليم الحديثة ولمجموعة الـ ٨ السعي إلى توسيع هذه الفكرة ونقلها إلى دول أخرى في المنطقة عن طريق التمويل ضمنه من القطاع الخاص.

هـ. إصلاح التعليم: ستقوم المبادرة الأمريكية للشراكة في الشرق الأوسط قبل قمة مجموعة الـ ٨ المقبلة في آذار أو نيسان من عام ٢٠٠٤ برعاية قمة الشرق الأوسط لاصلاح التعليم التي ستكون ملتقى لتيارات الرأي العام المتطلعة إلى الإصلاح، والقطاع الخاص، وقادة الهيئات المدنية والاجتماعية في المنطقة ونظرائهم من الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي وذلك لتحديد المواقع والمواضيع التي تتطلب المعالجة والتباحث في سبل التغلب على النواقص في حقل التعليم، ويمكن عقد القمة في ضيافة مجموعة الـ٨ توخيا لتوسيع الدعم لمبادرة منطقة الشرق الأوسط الكبرى عشية عقد القمة.

مبــادرة التعليــم بالإنترنــت

تحتل المنطقة المستوى الأدنى من حيث التواصل مع الإنترنت ومن الضروري تماما تجسير الهوة "الكومبيوترية" هذه بين المنطقة وبقية العالم نظـرا إلى تزايـد المعلومـات المودعـة عـلى الإنترنت وأهمية الإنترنت بالنسبة للتعليم والمتاجرة. ولدى مجموعة الـ٨ القدرة عـلى إطـلاق شراكة بين القطاعين العام والخاص لتوفير الاتصال الكومبيوتري أو توسـيعه في أنحـاء المنطقـة وأيضا بين المدن والريف داخل البلد الواحد. وقـد يكـون مـن المناسـب أكـثر لـبعض المنـاطق توفير الكومبيوترات في مكاتب البريد مثلما يحصل في بلدان وقرى روسيا. وقد يركـز المشرـوع أولا على بلدان الشرق الأوسط الأقـل اسـتخداما للكومبيـوتر (العـراق، أفغانسـتان، باكسـتان، اليمن، سـورية، ليبيـا، الجزائـر، مصرـ، المغـرب) والسـعي ضـمن الإمكانـات الماليـة إلى تـوفير الاتصال بالكومبيوتر إلى أكثر ما يمكن من المدارس ومكاتب البريد.

ومن الممكن أيضاً ربط مبادرة تجهيز المدارس بالكومبيوتر بـ "مبادرة فرق محـو الأميـة" المذكورة أعلاه، أي قيام مدرسي المعاهد بتدريب المعلمين المحليين على تطوير مناهج دراسـية ووضعها على إنترنت في مشروع يتولى القطاع الخاص توفير معداتـه ويكـون متاحـاً للمعلمـين والطلبة.

مبـادرة تدريـس إدارة الأعمــال

لمجموعة ألـ٨ في سياق السعي إلى تحسين المنطقة إقامة الشراكات بـين مـدارس الأعـمال في دول مجموعـة ألـــ٨ والمعاهـد التعليميـة (الجامعـات والمعاهـد المتخصصـة) في المنطقـة. وبمقدور مجموعة ألـ٨ تمويل هيئة التعليم والمواد التعليمية في هذه المعاهـد المشـتركة التـي تمتد برامجها من دورة تدريبية لمـدة سـنة للخـريجين إلى دورات قصـيرة تـدور عـلى مواضـيع محددة مثل إعداد خطط العمل للشركات أو استراتيجيات التسويق .

النموذج لهذا النوع من المعاهد قد يكون معهد البحرين للمصارف والمال وهو مؤسسة بمدير أمريكي ولها علاقة شراكة مع عدد من الجامعات الأمريكية.

توسيـــع الفـــرص الاقتصاديـــة

تجسير الهوة الاقتصادية للشرق الأوسط الكبير يتطلب تحـولا اقتصـاديا يشـابه في مـداه ذلك الذي عملت به الدول الشيوعية سابقا في أوروبا الشرقية.

وسيكون مفتاح التحـول إطـلاق قـدرات القطـاع الخـاص في المنطقـة خصوصـا مشـاريع الأعمال الصغيرة والمتوسطة التي تشكل المحركـات الرئيسـية للنمـو الاقتصـادي وخلـق فـرص العمل.

وسيكون نمو طبقة متمرسة في مجال الأعمال عنصرا مهـما لنمـو الديموقراطيـة والحريـة ويمكن لمجموعة ألـ٨ في هذا السياق اتخاذ الخطوات التالية:

أولاً: مبادرة تمويل النمو

تقوية فاعلية القطاع المالي عنصر ضروري للتوصل إلى نسـب أعـلى للنمـو وخلـق فـرص العمل. ولمجموعة ألـ٨ أن تسعى إلى إطلاق مبادرة مالية متكاملة تتضمن العناصر التالية:

أ. إقراض المشاريع الصغيرة: هناك بعض المؤسسات المختصـة بتمويـل المشـاريع الصـغيرة في المنطقة لكن العاملين في هذا المجال لا يزالون يواجهون ثغرات مالية كبـيرة إذ لا يحصـل على التمويل سوى خمسة في المئة من الساعين إليه ولا يتم عموما تقديم أكـثر مـن ٠.٧ في المئة من مجموع المال المطلوب في هذا القطاع. وبإمكان مجموعة ألـ٨ المساعدة على تلافي هذا النقص من خلال تمويل المشـاريع الصـغيرة مـع التركيـز عـلى التمويـل بهـدف الربح خصوصا للمشاريع التي تقوم بها النسـاء. إن مؤسسـات الإقـراض الصـغيرة الـربح قادرة على إدامـة نفسـها ولا تحتـاج إلى تمويـل إضـافي للاسـتمرار والنمـو. ونقـدر أن في الإمكان قرض من ٤٠٠ مليـون دولار إلى ٥٠٠ مليـون دولار تـدفع عـلى خمـس سـنوات مساعدة ١.٢ مليون ناشط اقتصادي على التخلص من الفقر ٧٥٠ ألفاً منهم من النساء.

ب. مؤسسـة المـال للشرـق الأوسـط الكبـير: باسـتطاعة مجموعـة ألــ٨ المشـاركة في تمويـل مؤسسة على طراز مؤسسة المال الدولية للمساعدة عـلى تنميـة مشـاريع الأعـمال عـلى المستويين المتوسط والكبير بهدف التوصل إلى تكامل اقتصادي

لمجال الأعمال في المنطقة وربما الأفضل إدارة هذه المؤسسة من قبل مجموعة من قادة القطاع الخاص في مجموعةألـ٨ يقدمون خبراتهم لمنطقة الشرق الأوسط الكبير.

ج. بنك تنمية الشرق الأوسط الكبير: في إمكان مجموعة ألـ٨ ومشاركة مقرضين من منطقة الشرق الأوسط الكبير نفسها إنشاء مؤسسة إقليمية للتنمية على غرار البنك الأوروبي للاعمار والتنمية، لمساعدة الدول الساعية إلى الإصلاح على توفير الاحتياجات الأولية للتنمية كما تستطيع المؤسسة الجديدة توحيد القدرات المالية لدول المنطقة الأغنى وتركيزها على مشاريع لتوسيع انتشار التعلم والعناية الصحية والبنى التحتية الرئيسية. ولـ "بنك تنمية الشرق الأوسط الكبير" هذا أن يكون مذخرا للمساعدة التكنولوجية واستراتيجيات التنمية لبلدان المنطقة. اتخاذ قرارات الإقراض أو المنح يجب أن تتحد بحسب قدرة البلد المقترض على القيام بإصلاحات ملموسة.

د. الشراكة من أجل نظام عالمي أفضل: بمقدور مجموعة ألـ٨ توخيا لاصلاح الخدمات المالية في المنطقة وتحسين اندماج بلدانها في النظام المالي العالمي ان تعرض مشاركتها في عمليات إصلاح النظم المالية في البلدان المتقدمة في المنطقة. وسيكون هدف المشاركة إطلاق حرية الخدمات المالية وتوسيعها في عموم المنطقة من خلال تقديم تشكيلة من المساعدات التقنية والخبرات في مجال الأنظمة المالية مع التركيز على:

تنفيذ خطط الاصلاح التي تخفض سيطرة الدولة على الخدمات المالية.

رفع الحواجز على التعاملات المالية بين الدول.

تحديث الخدمات المصرفية.

تقديم وتحسين وتوسيع الوسائل المالية الداعمة لاقتصاد السوق.

إنشاء الهياكل التنظيمية الداعمة لاطلاق حرية الخدمات المالية.

ثانياً: مبادرة التجارة

إن حجم التبادل التجاري في الشرق الأوسط متدن جداً، إذ لا يشكل سوى ستة في المئة من كل التجارة العربية ومعظم بلدان الشرق الأوسط الكبير تتعامل تجاريا

مع بلدان خارج المنطقة وتوصلت إلى اتفاقات تجارية تفضيلية مع أطراف بعيدة جداً بدلاً من جيرانها.

ونتيجة لذلك أصبحت الحواجز الجمركية وغير الجمركية هي الشيء المعتاد فيما لا تزال التجارة عبر الحدود شيئاً نادراً. ويمكن لمجموعة ألـ٨ أن تنشئ مبادرة جديدة مصممة لتشجيع التجارة في الشرق الأوسط الكبير تتألف من العناصر التالية:

الانضمام/ التنفيذ على صعيد منظمة التجارة الدولية وتسهيل التجارة يمكن لمجموعة ألـ٨ أن تزيد تركيزها على انضمام البلدان في المنطقة إلى منطقة التجارة الدولية. (٣) وستتضمن برامج محددة للمساعدة التقنية توفير مستشارين يعملون في البلد ذاته في شأن الانضمام إلى منظمة التجارة الدولية وتحفيز التزام الاهتمام على تحديد وإزالة الحواجز غير الجمركية، وحالما ينجز الانضمام إلى توقيع التزامات إضافية لمنظمة التجارة الدولية مثل "الجوانب التجارية لحقوق الملكية الفكرية" و "اتفاق مشتريات الحكومة"، وربط استمرار التقنية بتنفيذ هذه الالتزامات الخاصة بمنظمة التجارة الدولية، ويمكن لهذه المساعدات التقنية أن تربط برنامج على صعيد المنطقة برعاية مجموعة ألـ٨ بان التسهيلات والجوانب اللوجستية المتعلقة بالرسوم الجمركية للحد من الحواجز الإدارية والمادية بوجه التبادل التجاري بين بلدان المنطقة.

ثالثاً: المناطق التجارية

ستنشئ مجموعة ألـ٨ مناطق في الشرق الأوسط الكبير للتركيز على تحسين التبادل التجاري في المنطقة والممارسات بالرسوم الجمركية وستتيح هذه المناطق مجموعة متنوعة من الخدمات لدعم النشاط التجاري للقطاع الخاص والصلات بين المشاريع الخاصة بما في ذلك التسويق من منفذ واحد للمستثمرين الأجانب وصلات مع مكاتب الجمارك لتقليل الوقت الذي يستغرقه إنجاز معاملات النقل وضوابط موحدة لتسهيل دخول وخروج السلع والخدمات من المنطقة.

رابعاً: مناطق رعاية الأعمال

بالاستناد على النجاح الذي حققته مناطق التصدير ومناطق التجارة الخاصة في مناطق أخرى يمكن لمجموعة ألـ٨ أن تساعد على إقامة مناطق محددة خصيصاً

في الشرق الأوسط الكبير تتولى تشجيع التعاون الإقليمي في تصميم وتصنيع وتسويق المنتجات ويمكن لمجموعة ألـ٨ أن تعرض منافذ محسنة إلى أسواقها لهذه المنتجات وتقدم خبراتها في إنشاء هذه المناطق.

منبر الفرص الاقتصادية للشرق الأوسط الكبير

لتشجيع التعاون الإقليمي المحسن يمكن لمجموعة ألـ٨ أن تنشئ منبر الفرص الاقتصادية للشرق الأوسط الكبير (مع إمكان عقد اجتماعات جانبية لمسؤولين وأفراد غير حكوميين من وسط رجال الأعمال) لمناقشة القضايا المتعلقة بالإصلاح الاقتصادي.

ويمكن للمنبر أن يستند في شكل مرن على نموذج رابطة آسيا - المحيط الهادئ للتعاون الاقتصادي (أبك) وسيغطي قضايا اقتصادية إقليمية من ضمنها القضايا المالية والتجارية وما يتعلق بالضوابط.

١- يشير الشرق الأوسط الكبير إلى بلدان العالم العربي زائداً باكستان وأفغانستان وإيران وتركيا وإسرائيل.

٢- تخطط أفغانستان والجزائر والبحرين وإيران ولبنان والمغرب وقطر والسعودية وتونس وتركيا واليمن لإجراء انتخابات.

٣- البلدان التي قدمت طلباً للانضمام إلى منظمة التجارة الدولية (شكلت لجنة عمل تابعة للمنظمة): الجزائر ولبنان والسعودية واليمن. وبلدان قدمت طلبا للانضمام (لم ينظر بعد في الطلب) أفغانستان وإيران وليبيا وسورية. وبلدان طلبت منحها صفة مراقب العراق.

نص المشروع الفرنسي - الألماني
من أجل مستقبل مشترك مع الشرق الأوسط

وضعت فرنسا وألمانيا مشروعا للإصلاح في الشرق الأوسط تحت عنوان شراكة استراتيجية لمستقبل مشترك مع الشرق الأوسط، ويركز المشروع على الجهود الأوروبية المبذولة في المنطقة وضرورة التشاور والتنسيق والتفاهم مع بلدانها التي عبرت عن حوار جماعي قوي في وجه أي محاولة لفرض نموذج من الخارج، والتشديد على خصوصية كل دولة على أن يكون التنسيق كاملاً بين بلدان المنطقة والاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة والحلف الأطلسي خلال الاجتماعات الثقافية أو الجماعية، ويشدد المشروع أيضاً على ضرورة التوازي بن تسوية النزاع العربي - الإسرائيلي وإنشاء حكومة الأسياد ومسؤولة في العراق من جهة، ومسيرة الشراكة المقترحة من جهة أخرى.

نص المشروع[١٠]:

أولاً: الأهداف

١- إن مستقبل منطقة الشرق الأوسط مصدر قلق مشترك نتقاسمه مع شركائنا في المنطقة، والشركاء الأطلسي نحن على استعداد لدعم بلدان الشرق الأوسط وتشجيعها في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. إن كل مبادرة في شأن الشرق الأوسط ينبغي أن تلبي حاجات المنطقة وتطلعاتها ونجاحها يتوقف بالدرجة الأولى على هذه البلدان. إن تطلعات المواطنين وهم في غالبيتهم سكان المنطقة هم دون الثامنة عشرة ويقضي التحدي الحقيقي بتعديل الوضع القائم على أساس شراكة صادقة وتعاون ورؤية مشتركة. أن الحكومات مثلها مثل المجتمع المدني شريكة في هذه المهمة.

٢- إن على الاتحاد الأوروبي أن يستجيب لهذه الأمور إذ إن لأوروبا مصلحة كبيرة في التطور الإيجابي للمنطقة فإلى جانب التحديات الأساسية للأمن هناك الروابط الجغرافية والثقافية والاقتصادية والبشرية بين أوروبا والمنطقة التي تدفع بوضوح في هذا الاتجاه ودول البحر المتوسط والشرق الأدنى والأوسط،

أولويـة مركزيـة في إطـار العمـل الأوروبي. وفي هـذا الإطـار عمـل الاتحـاد خـلال الاجـتماع الأوروبي - المتوسطي "يوروميد" في نابولي والقمة الأوروبيـة في بروكسـل في كـانون الأول الماضي على تحديد استراتيجية تخدم هذه المنطقة.

٣- اقترحت الولايات المتحدة أفكاراً في شأن الشرق الأوسـط الكبـير وسـبل مواكبـة تحديثـه وإحلال الديموقراطية فيه وعلينا أن نستقبل بإيجابية إمكان عملنا معا وتنسيق جهودنا، وينبغي على الاتحاد الأوروبي أن يتطلع إلى شراكة عبر الأطلسي مع الشرق الأوسـط كـما ينبغـي عليـه أن يحـدد مقاربـة مميـزة تكمـل مقاربـة الولايـات المتحـدة بالاسـتناد إلى مؤسساته الخاصة وأدواته.

ثانيـاً: مبادئ العمل

١- إن قوة الدفع ينبغي أن تأتي من المنطقة، أن كل الدول والمجتمعات المعنيـة عـبرت عـن حذر جماعي قوي في وجه أي محاولة لفرض نموذج من الخارج. سنعمل مع كل البلـدان لاستجابة مطالبها قدر الإمكـان عـبر مشـاركتها الوثيقـة وفي أبكـر مرحلـة ممكنـة علينـا التحرك عبر الحوار والتحفيز مع الحكومات وأيضاً مع المجتمعات المدنيـة بالالتصـاق إلى أقصى قدر بحقائق كل بلد.

٢- لا بد من الأخذ في الاعتبار للمشاعر الوطنية وهوية كل بلد: ينبغي الحرص عـلى تجنـب مخاطر المقاربة الشديدة العمومية التي تغيـب الخصوصـيات الوطنيـة وتصـف الإسـلام باعتباره غير قابل للحداثة ولا بد بموازاة ذلك من حض البلدان المعنية على التعبـير عـن آرائها سواء في إطار الجامعة العربية أو في المنتديات المخصصـة لـذلك مـن أجـل إشـهار تطلعاتها.

٣- التزام على المدى البعيد أننا منخرطون منـذ سـنوات عـدة في هـذا الالتـزام بعيـد المـدى ودائم. أنها مهمة ستستمر عبر أجيال عدة.

٤- استراتيجية الأمن الأوروبية: أن مقاربتنا تسـتند إلى الاسـتراتيجية الأمنيـة الأوروبيـة التـي أقرها الاتحاد الأوروبي في كانون الأول ٢٠٠٣ وهـذا سيشـمل الأوجـه السياسـية والأمنيـة والاقتصادية والاجتماعية بما في ذلك تشكيل مجتمع مدني.

٥- النطاق الجغرافي: أن هذه الشراكة ينبغي أن تكون مفتوحة أمام كل دول الشرق الأوسط ونأمل بالانطلاق من المسارات القائمة مثل نهج برشلونه والحوار المتوسطي وعلينا تعميق علاقاتنا مع مجلس التعاون الخليجي.

٦- قاعدة العمل: أن تقارير برنامج الأمم المتحدة للتنمية تتضمن تشخيصاً جيداً، وتشكل بحد ذاتها برنامج إصلاحات، فالحاجة إلى تغيرات في العمق ملموسة عمليا في كل مكان أن بلدانا عدة بدأت تنفذ إصلاحات ملحوظة، وتميل هذه الظاهرة إلى الاتساع حالياً. وعلى المستوى الإقليمي تتضمن المبادرة السعودية لكانون الثاني (يناير) ٢٠٠٣ اقتراحات إقليمية وإصلاحات داخلية في كل من البلدان وتشكل إلى جانب سواها قاعدة جيدة للمناقشة.

٧- فاعلية العمل المتعدد الأطراف: لا بد من السعي إلى فاعلية شاملة لعملنا من خلال تعبئة الهيئات المعنية. أن القيمة المضافة لكل من المنظمات والهيئات ينبغي أن تستخدم بأفضل السبل، ومنها خصوصا الاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة وحلف شمال الأطلسي في ما يخص قضايا الأمن والدفاع إلى جانب المؤسسات المالية الدولية. بالنسبة إلى قضايا التطور أن كلا من الاستحقاقات المقبلة (القمم الأوروبية) (قمة الدول الصناعية الثماني الكبرى) (القمة الأوروبية الأمريكية) (حلف شمال الأطلسي) ستقدم مساهمتها المحددة وتشكل مناسبة لاعطاء قوة الدفع الضرورية في المجالات المحددة.

٨- تعزيز التزام الاتحاد الأوروبي: أن عمله ملحوظ من خلال نهج برشلونة وبدرجة أقل الحوار بين الاتحاد الأوروبي ومجلس التعاون الخليجي. أن أدوات هذه الشراكة "ميدا" والحوار السياسي تعمل منذ ٨ سنوات وتحظى بإمكانات مالية مهمة أن هذا المكسب الأوروبي ينبغي أن يطور ويتعزز.

٩- مسيرة السلام في الشرق الأوسط: أن الاستراتيجية الأمنية الأوروبية تشير إلى أن تسوية النزاع العربي - الإسرائيلي تشكل أولوية استراتيجية لأوروبا، وفي غياب مثل هذا الحل لن تكون هناك أي فرصة لتسوية المشاكل الأخرى في الشرق الأوسط، ولهذا السبب من الضروري إعادة إطلاق نهج السلام في الشرق الأوسط بالتوازي من أجل التوصل إلى التسوية المنتظرة منذ مدة بعيدة، لكل مساراته ومن الضروري أيضاً إنشاء حكومة مسؤولة وسيدة في العراق.

أن أياً من هاتين المسألتين ينبغي ألا تعرقل تطوير شراكة على المدى الطويل لكـن لا يمكننـا توقع النجاح الكامل ما لم تتقدم مسيرة السلام في الشرق الأوسط.

ثالثـاً: اقتراحات حل

على الاتحاد الأوروبي أن يعد مقاربة ومساهمة مشتركتين:

١. مبادرة أوروبية

أن المبادرة الأوروبية ستحدد في إطـار القمـم الأوروبيـة واجتماعـات مجـالس الشـؤون العامة والعلاقات الخارجية. هناك مساهمة مرتقبة من الأمانـة العامـة للمجلـس والمفوضـية والمقصود بذلك زيادة جهودنا لتعزيز الأدوات القائمة والتي تسـتند إليهـا شراكتنـا مـع بلـدان المتوسط وبلدان الخليج بالتعاون مع بلدان أخرى من الشركاء.

٢. مبادئ الاتحاد الأوروبي

أ- حوار سياسي وأمني في شأن السلام والاستقرار في المتوسط خصوصا إجراءات ثقة.

ب- ديموقراطية وحقوق إنسان ودولة قانون وحرية إعلامية وحكم جيد.

ج- إصلاحات هيكلية في المجال الاقتصادي

د- تطور اجتماعي خصوصا في مجال التعليم والمساواة بين الرجل والمرأة.

هـ- دعم انبثاق مجتمعات مدنية وتطوير تعبيرها وتطلعاتها.

٣. أعمال الاتحاد الأوروبي

أ- أن نهج برشلونه يؤمن سلسلة واسعة من الأدوات الملائمة لتطبيق المبادئ المذكورة سـابقاً بعد التقدم الذي أحرز خلال القمة الأوروبية المتوسطة في نابولي في كانون الأول المـاضي: اتفاقات الشراكة مشروع لمنطقة تبادل حر برنـامج ميـدا-٢ تسـهيل الاسـتثمار والشراكة الأوروبية - المتوسطة (فيميب) وأسس أوروبية - متوسطة جديدة من أجـل الحـوار بـين الثقافات. أن هـذه الأدوات تمـزج بـين الحـوار السـياسي والاقتصـادي والاجتماعـي عـلى مستويات عدة بما في ذلك المستوى الوازي وتحظى بإمكانات مهمة يمكن أن تستخدم

للحث على الإصلاح والتغير هذا الحوار يمكن أن يتعزز ويتوسع من خلال الجمعية البرلمانية الأوروبية- المتوسطية المقبلة. وعلينا أيضاً الإعداد لمناقشة صريحة ومنفتحة في شأن تطبيق المكسب الذي تحقق في يرشلونه.

ج- أن مبادرة الجيران الجدد أيضاً ستساهم في إعادة تنشيط علاقاتنا في المنطقة وفقا لمبادئ الاتحاد الأوروبي.

سيكون من الضروري تكثيف الحوار السياسي مع مجلس التعاون الخليجي وتسريع المفاوضات بشأن منطقة للتبادل الحر على أساس المبادئ المذكورة سابقاً. أن الوضع مختلف في دول الخليج ونظراً إلى ثروتها النسبية (باستثناء اليمن) فإن المشكلة لديها ليست التمويل. والتركيز ينبغي أن يتم على صعيد المهارة العملية والمساعدة التقنية التي تحتاج إليها هذه البلدان فعلياً.

د- وعلى الاتحاد الأوروبي أن يشجع ويدعم المبادرات من اجل التعاون الإقليمي الخليجي ومنها على سبيل المثال تلك المتعلقة بالدول المتاخمة للخليج بما في ذلك إيران والعراق ومن شان ذلك ان يشكل طريقة لبدء إحلال الثقة مثلا من خلال إنشاء مائدة مستديرة تتناول مسائل الأمن العملية مثل المخدرات وتبيض الأموال وحماية البيئة البحرية أو حول مسائل المياه الإقليمية.

مسائل الأمن

في مجال الأمن تقود المشكلات الخاصة لكل منطقة إلى اعتماد مقاربة مميزة في منطقة المتوسط بما فيها الشرق الأوسط والخليج ويجب أن يبقى إطارٌ للتعاون مع الاتحاد ومع حلف شمال الأطلسي مختلفين ويلزم تطوير تبادل وجهات النظر في شأن مسائل الأمن والتعاون في منطقة المتوسط في منتديات الحوار بين الحلف الأطلسي والاتحاد. والتحركات التي ينبغي للاتحاد الأوروبي القيام بها:

أ- تكثيف المبادرات نحو حوار أكثر فاعلية في إطار تعاون مرن ومفتوح على قاعدة التطوع.

ب- متابعة التحرك القائم في مجال محاربة الإرهاب والانتشار النووي ومكافحة الجريمة المنظمة والهجرة غير الشرعية.

ج- التفكير في إطلاق مشروع ميثاق سلام واستقرار في منطقة المتوسط متى يسمح الوضع في الشرق الأوسط بذلك.

هـ- في إطار الشرق الوسط الأشمل يمكن للاتحاد أن:

١. يعزز الحوار السياسي والأمن مع دول الخليج.

٢. إطلاق مبادرة تهدف إلى حض دول الشرق الأوسط ومواكبتها في اختبار هيكلية محلية للأمن يمكنها في مرحلة أولى أن تتناول عدم تجنب النزاعات انطلاقا من المواضيع التالية:

عدم المس بالحدود وحمايتها، إجراءات الثقة والأمن، مكافحة الإرهاب، وتهريب أسلحة الدمار الشامل، ومعاودة التفكير في المناطق الخالية من هذه الأسلحة.

٣. تنظيم ندوات إعلامية تعبوية لدول المنطقة تتناول الدروس التي يمكن استخلاصها من سياسة منع النزاعات التي طورها الاتحاد الأوروبي في مناطق أخرى (ميثاق الاستقرار في البلقان). تعزيز القدرات المحلية لحفظ السلام في أفريقيا على سبيل المثال.

في ما يتعلق بالقمم المقبلة

أ. قمة الجامعة العربية في تونس في ٢٩و ٣٠ آذار من عام ٢٠٠٤، يجب ان تستخدم الرئاسة والممثل الأعلى والمفوضية اتصالاتهم مع الشركاء العرب (والاجتماع الوزاري مع الولايات المتحدة) من أجل تقديم وجهة نظرنا والمساهمة في هذه العملية واستطلاع مدى الاهتمام والتشجيع على المشاركة والمبادرة الذاتية بهدف إصدار إعلان تونس الذي يؤكد التمسك بالمبادئ الأساسية والإصلاح والديموقراطية والتحديث التي تحكم هذه العملية.

ب- قمة مجموعة الثماني في سي أيلاند من ٨ إلى ١٠ حزيران من عام ٢٠٠٤.

توفر هذه القمة فرصة لاعطاء دفع سياسي بتبني إعلان من اجل مستقبل مشترك، وأن يأتي إذا أمكن كرد على إعلان يصدر عن قمة تونس العربية. ويجب على دول الاتحاد الأوروبي الأعضاء في مجموعة الثماني أن تتحدث باسم شركائها في الاتحاد ويصاغ نص هذا الإعلان السياسي في إطار

اجتماعات وزارات الخارجية (اجتماع المديرين السياسيين في ١١ آذار من عام ٢٠٠٤ واجتماع وزراء الخارجية في منتصف أيار من عام ٢٠٠٤). ويمنكن للاعن ان:

١- يشرح المنطق الذي قاد إلى هذه المبادرة.

٢- يبرز استناد المبادرة إلى خطوة جماعية.

٣- يشير إذا أمكن إلى قمة الجماعة العربية ويعرب عن تقدير إيجاب للجهود الإصلاحية التي بدأت في المنطقة.

٤- يستعيد الخطوط الأساسية للمبادرة الأمريكية (الشرق الأوسط الكبير) والاجتماعات الأوروبية - يشير إلى أن أعضاء مجموعة ألـ٨ مستعدون لتطوير التعاون كل وفق آلياته على هذه الأسس مع الدول المهتمة مع الإشادة بالجهود التي بدأها البعض.

٥- توجيه نداء إلى المنظمات المعنية (الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي) لتقديم مساهمتها وفق هذه الأسس.

وفي إطار مواز يعمل خبراء وزارات الخارجية على اقتراح مشروع يأخذ في الاعتبار الاقتراحات الواردة في وثائق الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي. ويمكن لهذه الأفكار أن تقدم إلى دول المنطقة في شكل اقتراح داعم لجهود الإصلاح القائمة ويمكن تماشيا مع الطابع السياسي لاعلان القمة ضم اقتراح المشروع السياسي إلى الإعلان نفسه بصفته خطة تحرك لمجموعة الثماني.

أن علينا تشجيع شركائنا الأمريكيين على تنظيم اجتماع لوزراء خارجية مجموعة ألـ٨ مع نظرائهم من المنطقة على هامش قمة سي أيلاند واجتماع منفصل مع جميع أو بعض قادة دول المنطقة مما يبرز الطابع الجماعي للمبادرة ويكرس في الوقت نفسه انضواء الدول المعنية في هذا المبادرة التي ستتحول عندها إلى شراكة حقيقية مما قد يعني بشكل أو بآخر انطلاقتها الفعلية.

ج- قمة الاتحاد الأوروبي خلال الاجتماع الوزاري (الأوروبي- الأمريكي) على موعدها لم يحدد. تندرج هذه القمة في إطار مبادرة مجموعة الثماني.

سنقدم موقفنا الأوروبي خلال الاجتماع الوزاري (الأوروبي - الأمريكي) على مستوى وزراء الخارجية الذي يعقد في مطلع آذار من عام ٢٠٠٤ ونناقش مبادرتنا مع شركائنا في (يوروميد) خلال الاجتماع في دبلن يومي ٥و ٦ أيار من عام ٢٠٠٤ وسيوضح الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة عندها نقاط مقاربتهما ويشيران إلى رغبتهما في إقامة حوار كل بخصوص ما يهمه مع الدول والمنظمات المهتمة ويعلنان استعدادهما للتنسيق بشكل وثيق مع المبادرات المعنية بمنطقة الشرق الأوسط.

د- يمكن وفق رؤيتنا المشتركة، لحلف شمال الأطلسي أن يطلق في اسطنبول سلسلة مبادرات تهدف إلى تعزيز حواره مع منطقة المتوسط وان يقدم إلى دول الشرق الأوسط اقتراحات في مجال الأمن.

المبادئ الجيوبولوتيكية
الأوروبية والأمريكية في القرن الواحد والعشرين

من خلال وجهات النظر المرافقة لمشكلات العالم السياسية في بدايات القرن الواحد والعشرين تقف أوروبا في مواجهة الولايات المتحدة الأمريكية، فوجهات نظرهما تختلف في حل مشكلات العالم الحالية. فأوروبا ممثلة بالدرجة الأولى في فرنسا وألمانيا وبلجيكا تساندها بقوة روسيا وإلى حد ما الصين تنأى عن استخدام القوة العسكرية في حل المشكلات الدولية، تتحرك باتجاه ما بعد القوة نحو عالم يحل مشاكله بنفسه عبر مجلس الأمن الدولي أي عبر القوانين وأسس ومبادئ ومفاوضات. بمعنى تتجه أوروبا في القرن الحالي لنظرية "ايمانيول" ليعم السلام الدائم لشعوب العالم كافة، ليدخل العالم جنة ما بعد التاريخ، جنة السلم والرفاهية النسبية، وبالتالي إعطاء الأخلاق فرصة السيادة ما بعد الاستعمار.

وعند تناول المبادئ الجديدة للولايات المتحدة وأوروبا بعد ١١ أيلول من عام ٢٠٠١، نجد أنهما مجزأتان متباعدتان، أو حتى أنهما (الأوروبيين والأمريكيين) لا يتشاركون رؤى مشتركة للعالم، أوحتى أنهم يشغلون الحيز نفسه منه.

فالولايات المتحدة صاحبة القوة العظمى، آمنت بعد ١١ أيلول من عام ٢٠٠١ بالقوة وبالمجد المادي، فقد انتهجت مبادئ استراتيجية خاصة بها من جانب واحد إزاء مختلف التهديدات بالوسائل التي تراها مناسبة.

فالولايات المتحدة تمارس بعد أحداث ١١ أيلول من عام ٢٠٠١ القوة في عالم هوبز الفوضوي تاركة خلف ضهرها القوانين الدولية وقواعد التعامل الدولي، فهي تعتقد أن الأمن الحقيقي للولايات المتحدة الأمريكية والدفاع عن أراضيها وتعزيز النظام الليبرالي لا يتحقق لها إلا بامتلاك واستخدام القوة العسكرية.

إن تباين الاستراتيجيتين الأوروبية والأمريكية إزاء طرق حل المشكلات الدولية الراهنة، أوضحت للعالم أنهما اتفقوا على القليل، ويفهم أحدهما الآخر أقل. هذا التباين الأوروبي الأمريكي تجاه حل المشكلات الدولية يتميز بالآتي:

١. التضاد الأوروبي الأمريكي الذي يميز مستهل القرن الواحد والعشرين ليست حالة مؤقتة، بمعنى أنها ليست مصاحبة لفترة رئيس أمريكي أو لحادث مأساوي.

٢. الانقسامات عبر حلف شمال الأطلسي عميقة، مزمنة في تفاقمها، وتبرز أكثر عندما يتعلق الوضع بالأولويات الوطنية، ومناقشة التهديدات الدولية، ووضع وتنفيذ السياسيات الخارجية والدفاعية، واستخدام قوة الأطلسي. فاليوم الاثنين ٢٠٠٣/٢/١١ استخدمت فرنسا وألمانيا وبلجيكا حق النقض الفيتو في حلف شمال الأطلسي تجاه المشروع الأمريكي بضرورة تقديم حلف شمال الأطلسي المعونة العسكرية لتركيا أثناء قيام الولايات المتحدة الأمريكية بغزو العراق. علماً بأن فرنسا لم تستخدم حق الفيتو في مجلس حلف شمال الأطلسي منذ عام ١٩٥٦.

٣. إصرار أوروبا على عدم السماح للولايات المتحدة الأمريكية بالسيطرة التامة على نفط العراق بعد سيطرتها على نفط شبة الجزيرة العربية.

وتجدر الإشارة إلى أنه من السهل على المثقفين رؤية التناقض والاختلافات المتنامية بين الأوروبيين والأمريكيين، ولم يعودوا يتشاركون بالاستراتيجية الثقافية للعالم العربي. فالثقافة الأمريكية "ثقافة الموت"، مزاجها استخدام القوة والحرب وبالتالي الموت والدمار ففي يوم الأربعاء الموافق ٢٠٠٤/٤/٦ تنقل لنا الأخبار

العالمية قيام القوات الأمريكية بحصار مدينة الفلوجة العراقية وقتل المئات منهم دون تميز، بل أدت الهجمات العسكرية الأمريكية إلى قتل (٢٥) شخص من عائلة واحد معظمهم من الأطفال والنساء. فهذه هي القوة والمبادئ الجيوبولوتيكية للولايات المتحدة تترجم عملياً على أراضي الفلوجة العراقية، إلا أن هذه الثقافة هي نتاج طبيعي لمجتمع بني أساساً على الاستيلاء على أموال الغير دون حق، يملك كل فرد في المجتمع الأمريكي سلاحاً يستعمله في مقابل الحصول على دولار.

وترى أوروبا لتنفيذ سياستها الخارجية ما لا تراه الولايات المتحدة، إذ إن هناك اختلافات عميقة في الطريقة والأسلوب. فالولايات المتحدة الأمريكية تلجأ إلى القوة أسرع مما تلجأ إليها أوروبا، وهي أقل صبراً في دبلوماسيتها، يرى الأمريكيون العالم مقسماً بين الخير والشر بين الأصدقاء والأعداء، بين مع وضد، ويميل الأمريكيون عند مواجهة خصمهم إلى تفضيل سياسة الإكراه على الإقناع، يؤكدون على أخذ ما يريدونه بالقوة على أن يأخذوه بالمفاوضات، يؤمنون بفرض العقوبات على الدول بدلاً من التفاهم، يشدون على العصا أكثر من الجزرة.

فالقوة الأمريكية تعمل بشكل متزايد نحو الأحادية في حل القضايا الدولية، وأنهم أقل ميلاً للعمل عبر المؤسسات الدولية، مثل الأمم المتحدة أو المؤسسات الإقليمية والأحلاف العسكرية مثل حلف شمال الأطلسي، أنهم أكثر تشككاً في اللجوء للقوانين الدولية، والميل نحو العمل خارج مؤسسات الأمم المتحدة. وبالمقابل يميل الأوروبيين لحل المشكلات الدولية بالمفاوضات والخداع والصبر في الدبلوماسية والإقناع على الإكراه.

اختلاف جذري أمريكي أوروبي:

لا يمكن التعامي عن الثنائية للأوروبيين تجاه المشكلات الدولية، فالبريطانيون بشكل خاص، والأسبان والإيطاليين بشكل عام أكثر أمريكية للقوة من الأوروبيين. وبالمقابل فالديموقراطيين الأمريكيون أكثر أوروبية من الجمهوريين الأمريكيين تجاه القضايا الدولية، إلا أن هناك أوروبيين مع قساوة السياسة الخارجية الأمريكية، وبالمقابل أمريكيين مع تقدير قيمة القوة ووضعها الموضع الصحيح لما يراه الأوروبيين.

والسـؤال، مـا هـي مصـادر الخـلاف الأمـريكي الأوروبي في المنـاظير الإسـتراتيجية؟ هـذه الاختلافات تنبع كليـاً مـن الثقافـة الاسـتراتيجية لكلـيهما، مـن المميـزات القوميـة للأوروبيـين والأمريكيين. فبعد أفول عصر الاستعمار الأوروبي وحلول عصر الاسـتعمار الأمـريكي بـدلاً منـه، ركبت الثقافة الاستراتيجية الأوروبية قطار السلام، بدلاً من قطـار الحـرب الـذي ميـز تاريخهـا الاستعماري والدموي في القرنيين الثامن عشر والتاسع عشر.

فالسياسة الأمريكية الحالية تجاه حل النزاعات الدولية شبيهة تماماً بالسياسـة الأوروبيـة في القرنيين الثامن عشر والتاسع عشر.

ويرى الأوروبيون أن التجارة الدولية، وبناء العلاقات الاقتصادية بين الـدول هـو البلسـم الملطف والشافي للصراعات الدولية، وهم أكـثر مـن أي وقـت مضى يلجـأون للقـانون الـدولي والرأي العام العالمي ضد استخدام القوة. إلا أن ميل الولايات المتحدة لحل النزاعـات الدوليـة بالقوة قد يكون استمرار لوجودها الفتـي كدولـة دون تـاريخ أو حضـارة سـابقة اسـتمرار لمـا فعلته مع الشعور الأضعف منها في أمريكيا الشمالية مثل الهنود الحمر.

اليوم ونحن نشهد التضاد المتنامي للسياسة الأوروبيـة، تبـادل الأوروبيـون والأمريكيـون المواقع تجاه حل الأزمات الدولية، وقد يكون مرد ذلك العوامل الآتية:

١. أفول نجم الاتحاد السوفيتي كقوة عظمى في العالم ومجلس الأمن الدولي.

٢. تغيير معادلة القوة ما بين عامي ١٨٠٠-٢٠٠٠ بين أوروبا الولايات المتحدة الأمريكية.

القوة هي الأساس الذي تبنى عليها مبادئ الدول الاستراتيجية ففي الوقـت الـذي كانـت فيه الولايات المتحدة في بدايات تكوينها كدولة، كانت دولة ضـعيفة، تعـيش همومهـا داخـل حدودها السياسية، مارست وقتها سياسات المخادعة والتروي، أما اليوم بعد أفول نجم معظم الدول العظمى (فرنسا، بريطانيا، ألمانيا، الاتحاد السوفيتي، الصين، واليابان)، وانفراد الولايـات المتحدة بالقوة المهيمنة على العالم، فهي تتصرف كما كانت هذه الدول تتصرف عنـدما كانـت في أوج قوتها. حيث آمنت بالقوة وبالمجد العسكري والمادي والثقافي.

فجـوة القـوة: إدراك وحقيقـة

إن ضعف أوروبا اليوم مبطناً، فالحربين العالميتين دمرتا أوروبا كقوة عظمى، كما فقـدت قوتها البحرية للمحافظة على امبراطوريتهـا الاسـتعمارية في آسـيا وأفريقيـا والشرـق الأوسـط. هذا الضعف للقارة الأوروبية ما بين ١٩٥٠-٢٠٠٠ ضعفاً مقنعاً بالظروف الجيوسياسية للحرب الباردة.

فبرغم أن الاتحاد السوفيتي سابقاً والولايات المتحدة اللتين حاصرتا أوروبا، قد قزمتاهـا ، شكلت أوروبا الوسط الاستراتيجي في الصراع العالمي بين الشيوعية والرأسمالية.

بعد انهيار الحـرب البـاردة خسرـت أوروبـا مركزيتهـا الاسـتراتيجية رغـم بقائهـا العنصرـ الجيوبولوتيكي المحوري في العلاقـات الدوليـة. فحـرب البلقـان في نهايـة القـرن المـاضي أبقـت الأوروبيين والأمريكيين على حد سواء مركزين على الأهمية الاستراتيجية للقارة الأوروبية وعلى وثاقة صلة حلف شمال الأطلسي ليشمل أعضاء سابقين في حلف وارسو (ففي شهر نيسان من عام ٢٠٠٤ تم دخول سبع دول من عالم الاتحاد السوفيتي السـابق -مـن أوروبـا الشرـقية- إلى حلف شمال الأطلسي ليصل عددها إلى ٢٦ دولة).

تسعى أوروبا في القرن الواحد والعشرين إلى برمجة سياستها على أساس:

١. الانتقال من مهمة المحافظة على الأراضي الأوروبية من الاحتلال السوفيتي في الفـترة مـن ١٩٥٠-٢٠٠٠ إلى مهمة المحافظة على أراضيها من الأطماع الأمريكية.

٢. محاولة عدم استمرار زعزعة أهمية أوروبا الاستراتيجية عالمياً.

٣. اندماج "أوروبا الجديدة" سياسياً واقتصادياً وعسكرياً.

٤. العمـل عـلى تفعيـل معاهـدة ماسـتريخت ١٩٩٢ التـي تعـد الانجـاز التـاريخي لأوروبـا الموحدة.

٥. أوروبا الموحدة ستكون الدولة العظمة الموحدة.

٦. العمل على إبقاء أوروبا الموحدة لاعب عالمي رئيسي في الأحداث الدولية.

٧. الإبقاء على قوة أوروبا موحدة لضمان التعددية القطبية العالمية التي انتهت بانتهاء الحرب الباردة.

٨. على أوروبا العمل على أساس نبوءة صموئيل هنتنفتون بأن لحمة أوروبا هي النقلة الأكثر أهمية في رد الفعل العالمي ضد الهيمنة الأمريكية، وستنتج التعددية الحقيقية للقرن الواحد والعشرين.

إلا أن سير الأحداث العالمية من البلقان إلى أفغانستان إلى العراق تؤكد على أن قدرة القارة الأوروبية تتمثل في نشر قوات حفظ السلام بعدما تكون الولايات المتحدة قد أنجزت غالباً بمفردها المراحل الأساسية من المهمة العسكرية، وتؤمن استقرار الوضع إلى حد ما على الأرض. هذا التقسيم في العمل ما بين أوروبا والولايات المتحدة وكأنه شبيه بقيام الولايات المتحدة بإعداد وجبة العشاء بينما الأوروبيون ينظفون الصحون.

وللحفاظ على أحادية القطبية للولايات المتحدة في القرن الواحد والعشرين، عملت الولايات المتحدة على:

١. الإبقاء على ٣% من مجمل الإنتاج القومي للولايات المتحدة لصالح الموازنة الدفاعية. يقابلها ٢% في الجانب الأوروبي.

٢. قيام الولايات المتحدة باستخدام القوة العسكرية خارج حدودها السياسية وعلى نطاق واسع وبحرية في أي مكان وأي زمان تختارهما. هذا التوجه بدأ بغزو بنما عام ١٩٨٩، ومهاجمة العراق عام ١٩٩١، والتداخل في الصومال عام ١٩٩٢، ثم التدخل في البلقان، وفي أفغانستان عام ٢٠٠١، وفي العراق مرة أخرى عام ٢٠٠٣ وفي هايتي عام ٢٠٠٤.

٣. تخشى الولايات المتحدة إمساك العالم بالقوانين الدولية وبالأمم المتحدة التي قد تقيدها أكثر مما تخشى الفوضى حيث تؤمن بأن قواتها العسكرية تجلب لها الأمن والرفاهية.

لماذا يخشى الأوروبيون الأحادية الأمريكية؟ يعتقد الأوروبيين أن عالم أحادي القطبية يخلق عالماً فوضوياً، ولأن الولايات المتحدة لا تؤمن بمبادئ أوروبا القديمة، فالأمريكان مجتمع ليبرالي يؤمن بالقوة التي هي الوسيلة لتقدم مبادئ الحضارة الأمريكية والنظام العالمي الليبرالي.

مصـادر السياسية الأوروبية الحديثة

تتمثل مصادر وخواص الثقافة الأوروبية في القرن الواحد والعشرين بالآتي:

١- التشديد على المفاوضات والدبلوماسية والعلاقـات التجاريـة والقـانون الـدولي بـدلاً مـن استخدام القوة في حل النزاعات الدولية. والتركيز على الإغراء بدلاً من الإكراه، والتعددية بدلاً من الأحادية.

٢- الثقافة الاستراتيجية الأوروبية الحديثة تمثـل رفضـاً واعيـاً للـماضي الاسـتعماري الأوروبي، رفضاً للماكتبوليتيك الأوروبية الشريرة.

٣- الإيمان بعدم عودة التاريخ للماضي الاستعماري للعالم.

٤- إن علماء الجغرافيا السياسية والجيوبولوتيكا في أوروبا في القرن الواحد والعشرين قلقـين بشأن كيفية تعاطي الولايات المتحدة الأمريكية مع مشكلة العراق، عبر القيام بعمليـات عسكرية هدفها احتلال العراق عسكرياً واستعماره خارج الشرعية الدولية. هذا التصرف أحادي الجانب من قبل الولايات المتحدة يمثل هجوماً على أوروبا.

٥. يتحدث الأوروبيون بثقة كبيرة عن عظمة تفوقهم في الفهم الشـمولي عـن الحكمـة التـي ينبغي أن يقدموها إلى الأمـم الأخـرى-بمـا فيـه المجتمـع الأمـريكي- بشـأن حـل الصراع وطريق مواجهة المشاكل الدولية.

مراجع الفصل الثامن:

١. محمد حجازي محمد، (١٩٩٩)، مصدر سابق، ص ٣١١-٣١٨.

٢. R. Muir. R. (١٩٦٥) Modern Political geography" the Macmillian Press Ltd., London. PP٩٨-١٠٥

١. - محمد حجازي، مصدر سابق، ص ٣٢٧-٣٣٠

- قاسم دويكات (٢٠٠٢)، مصدر سابق، ص ١٦٨-١٦٩.

٤. علي الجباوي، مصدر سابق، ص ٧٣٣-٧٥٣.

٥. المصدر السابق، ص ٧٢٨.

٦. شارل روسو (١٩٨٢)، القانون الدولي العام، (مترجم)، الأهلية للنشر والتوزيع - بيروت، ص ٢٠٢-٢٢٤.

٧. نشرة واشنطن التي يصدرها مكتب برامج الإعلام الخارجي بوزارة الخارجية الأمريكية (٢٠٠٢).

٨. المزيد من المعلومات راجع بيكر سبرينغ (٢٠٠٤)، مقالة التحول في العلاقات الأمريكية- الروسية: وضع سياسة القوة العسكرية في موضعها الصحيح. المجلة الإلكترونية عن أسلحة الدمار الشامل.

٩. راجع نص المشروع الأمريكي لـ (الشرق الأوسط الكبير) (٢٠٠٤)، الذي صدر عن الولايات المتحدة الأمريكية في عام ٢٠٠٤.

١٠. راجع نص المشروع الفرنسي- الألماني من أجل مستقبل مشترك مع الشرق الأوسط (٢٠٠٤).

١١. روبرت كايفان بولسي ريفيو (٢٠٠٤)، أمريكيا وأوروبا: تنافر لا التقاء" مقالة صدرت في عام ٢٠٠٤ ، الكاتب يشغل مدير مشروع القيادة الأمريكية في معهد كارينفي أندومنت.

SEATO	منظمة جنوب شرق آسيا لمناهضة الشيوعية، تأسست سنة ١٩٤٥، وانتهى أمرها بعد تفكك الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩٠
NATO	حلف شمال الأطلسي، أسس سنة ١٩٤٩ لمواجهة الاتحاد السوفيتي والدول الشيوعية الأخرى
EC	الجماعة الأوروبية
OAS	رابطة الدول الأمريكية، أسست عام ١٩٨٤، مقرها واشنطن دي سي
OAU	منظمة الوحدة الأفريقية، أسست عام ١٩٦٣
CENTO	حلف دول وسط آسيا، أسس عام ١٩٥٩ لمناهضة الشيوعية، انتهى أمره عام ١٩٩٠
COMECON	مجلس التعاون الاقتصادي الشيوعي ، أسس عام ١٩٤٩ وانتهى عام ١٩٩٠ (الاتحاد السوفيتي، فيتنام، بلغاريا، تشيكوسلوفاكيا، المجر، منغوليا، كوريا الشمالية، بولندا، رومانيا)
Authoritarian	الحكم الاستبدادي، ينسحب على الحكومات المتسلطة والتي تصل إلى الحكم عن طريق الانقلابات العسكرية
Autonomy	الحكم الذاتي (حكم منقوص)
Bloc	كتلة سياسية أو اقتصادية
Bourgeoisie	الطبقة الوسطى من المجتمع بين الأرستقراطية الزراعية والبورجوازية الصناعية وتنظر إليها الماركسية بأنها طبقة أصحاب المال الذين يملكون وسائل الإنتاج
Capitalism	النظام الرأسمالي
Capitalist World - economy	الاقتصاد الرأسمالي العالمي

Centre / Centrist	اتباع حزب الوسط، لا هم من اليمين ولا هم من اليسار، ليس لديهم أيديولوجية
Colonialism	الاستعمار أو الإمبريالية
Congruent Politics	التطابق بين سياسة الدعم وسياسة القوة وهي مبدأ الديموقراطية الليبرالية
Contradictory Politics	الموقف، تتناقض سياسة الدعم مع سياسة القوة
Disconnected Politics	السياسات المنفصمة (أي لا رابطة بين سياسات الدعم وسياسات استخدام القوة)
Conservative	سيادة محافظة على القديم (سياسة اليمينين)
Containment	سياسة الاحتواء
Core	دول المركز (الدول القوية)
Core- area of States	النطاق الجغرافي الأصلي للدولة
Democracy	الديموقراطية (حكم الشعب) وهي أما أن تكون ديموقراطية مباشرة أي حكم الشعب لنفسه بنفسه أو غير مباشرة أي الحكم عن طريق الأحزاب
Development	دول الأطراف أي الدول الفقيرة الضعيفة
Iconography	الأيقونوغرافيا (تمثل التراث والمشاعر الوطنية والعادات)
Ideology	الإيديولوجية (المعتقدات والأفكار)
Idealism	المثالية
Informal imperialism	الإمبريالية غير الرسمية: أي الهيمنة الاقتصادية لدولة على دولة دون احتلال عسكري أو سيطرة سياسية.
Isolation	سياسة العزلة والابتعاد عن الأخلاق
Lebensaram	كلمة ذات أصل ألماني تعني التوسع في أراضي الغير
Left Wing	أحزاب اليسار (الشيوعية)
Liberal	الليبرالية (حرية الأفراد)

Mercantalism	المركنتيليـة: سياسـية اقتصـادية للحمايـة الجمركيـة وتخـزين الـذهب في الدولة
Nation- State	الأمة - الدولة (تعني جميع سكان الدولة - من قومية واحدة)
Elite	الصفوة من المجتمع
Federation	الفيدرالية: الصيغة التي تجمع بـين ولايـات لهـا حكوماتهـا الخاصـة بهـا، وتجمعها حكومة مركزية
Frontier	التخوم
Geopolitical Code	القاعدة الجيوبولوتيكية التي تأتى في المرتبة بعد نظام الاستراتيجية، طبقـاً لنظرية سول كوهين
Geopolitical region	النطاق الجيوبولوتيكي
Geopolitical transition	النقلة الجيوبولوتيكية من نظام عالمي إلى نظام عالمي جديد
Geopolitics	الجيوبولوتيكا: دراسة توزيع القوة عالميا
Geopolitical world - order	استقرار العلاقات الدولية كما تحدده القوة العظمى في أجندتها السياسية
Hegemony	الهيمنة
Households	البيوتات (وهي واحدة من أربع مؤسسـات تمثـل مجتمـع صـغير يعتمـد على نفسه والمؤسسات الثلاث الأخرى هي الطبقات والشعب والدولة)
Pan- region	منطقة متكاملة جغرافيا تتمتع بالاكتفاء الذاتي
Partition	تمزيق الدول وتجزئتها
Patriarchy	التسلط الأبوي (سيطرة الذكور على المجتمعات)
Peoples	الجماهير (واحـدة مـن مكونـات المنظومـة العالميـة إلى جانبهـا الطبقـات والبيوتات والدول)
Periphery	دول الأطراف وهي الدول الفقيرة
Semi- Periphery	دول أشباه الأطراف

الحركات الشعبية	Populism
السياسة الحمائية (فرض الجمارك)	Protectionism
العنصرية	Racism
كلمة ذات أصل ألماني تعني من يملك القوة يملك الحق	Realpolitik
أحزاب اليمين المناهضة للشيوعية	Right Wing
حركة انفصالية	Secession
القوة العظمى	Super Power
المدن العالمية، وهي مدن عالمية مرتبطة مع بعضها البعض تملك رؤوس الأموال العالمية	World Cities

اليونيكتاد:	UNICTAD مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية
دول الشمال:	الدور المتقدمة ومعظمها يقع شمال دائرة عرض ٣٠° شمالاً
دول الجنوب:	الدول الفقيرة (النامية) معظمها يقع جنوب دائرة عرض ٣٠° شمالاً
التميز العنصر:	هو ممارسة سلوكيات سلبية من أفراد عرق أو قومية معينة ضد الأقليات من قوميات أو أعراق أخرى
التركيب العرقي:	يطلق عليه التركيب الأثني وهو تركيب السكان حسب أصولهم القومية
الأقليات:	هم مجموعة من الأفراد الذين ينتمون إلى قومية مختلفة أو أصول عرقية مختلفة عن الأصل العرقي لغالبية سكان الدولة
منظمة اليونسكو الدولية:	UNESCO هي إحدى المنظمات الدولية التي تهتم بالعلوم والتربية والثقافة في العالم ومقرها باريس عاصمة الدولة الفرنسية
الجيوبولتيكا:	هو العلم الذي يهتم بدراسة المطالب المكانية للدولة أي بمجالها الحيوي
الجغرافية العسكرية:	هي العلم المترابط بين الظواهر الجغرافية وبين الفعاليات العسكرية

الدولة الحبيسة:	هي الدول البرية التي ليس لها واجهات بحرية
الدول الحاجزة:	هي الدولة التي تقع بين دولتين قويتين، وتدين في وجودها إلى الدور الحاجز الـذي تقوم به.
الجغرافية السياسية:	هي جغرافية الدول أو الوحـدات السياسـية التـي تشـتمل عـلى دراسـة كـل دولـة كوحدة تتسم بمميزات جغرافية معينة تفسر العلاقة القائمة بينها وبـين غيرهـا مـن الدول على أساس جغرافي.
الدولة:	رقعة من الأرض يعيش فوقها مجموعة من السكان معترف بها سياسياً ، لهـا سـيادة على تلك الأرض.
النظام الدولي الجديد:	هو عبارة عن ائتلافية بين عدد قليل من الدول الكبرى لإعادة فرض سـيطرتها عـلى العالم
الأمن القومي:	هو الإجراءات التي تتخذها الأمة في حدود طاقاتها للحفاظ على كيانها ومصالحها
الأمن القطري:	الإجراءات التي تتخذها الدولة في حدود طاقاتها للحفاظ على كيانها ومصالحها.
الشرق الأوسط الكبير:	مصطلح أطلقته الولايات المتحدة على المنطقة الممتدة مـن المغـرب إلى أفغانسـتان عام ٢٠٠٤ (يضم دول الوطن العربي بالإضافة إلى باكستان وأفغانستان وإيران وتركيا و "إسرائيل")
المانحون:	IFIS هي مجموعة الـدول التـي تملـك المـال وتقـوم بتمويـل المشروعات وتقـديم القروض والمن للدول الفقيرة.
الدول الثماني:	هي مجموعة الدول الغنية في العالم، الدول الصناعية الثماني الكبرى
أبك:	رابطة آسيا - المحيط الهادئ للتعاون الاقتصادي
يوروميد:	أطلق على الاجتماع الأوروبي -المتوسطي في نابولي
ميدا:	الشراكة (الشراكة الأوروبيـة -المتوسـطية والشراكة الأوروبيـة - مجلـس التعـاون الخليجي)
قمة سي آيلاند:	هي قمة مجموعـة الـدول الـثماني التـي عقـدت مؤتمرهـا في سي آيلانـد مـن ٨-١٠ حزيران من عام ٢٠٠٤.